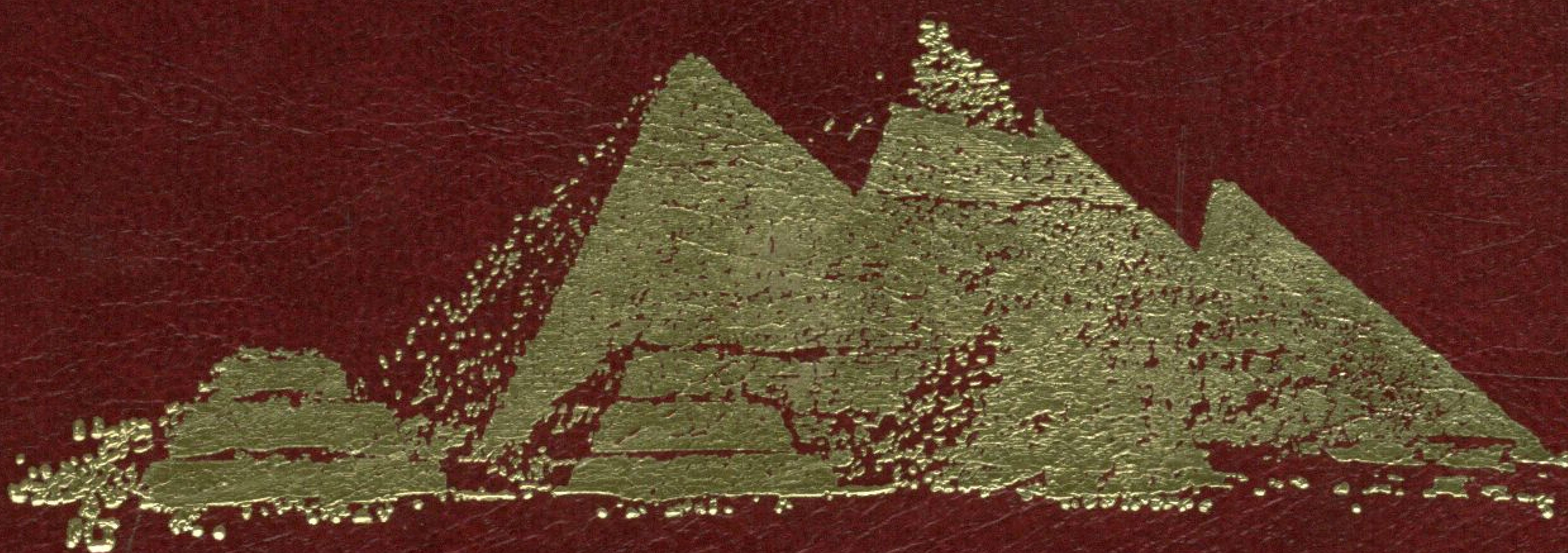
موسوعة

تاريخ مصر





موسوعة

التاريخ المصري

(٨)

ميخائيل شاروبيم بك

موسوعة

التاريخ المصري

المجلّد الثامن

الكافـــــــي

في تاريخ مصر القديم والحديث

الجزء الأول - ١ -

عن فترة من ٤٠٥٠ق.م. إلى سنة ٦٤٠م

٥٦٢٦ ق.هـ إلى سنة ١٩ هـ

دار نوبليس

اسم الموسوعة:	موسوعة التاريخ المصري
اسم الكتـــاب:	الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الأول ـ ١ ـ
اسم المؤلــف:	ميخائيل شاروبيم بك
قيـاس الكتـاب:	١٧ × ٢٤
عدد الصفحات:	٢١٦
عدد صفحات الموسوعة:	٨٨٤٠
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبِليس
تلفاكس:	٩٦١ (١) ٥٨ ٣٤ ٧٥
هاتــف:	٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ ـ ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١
صندوق بريـد:	٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان
بريد إلكتروني:	info@nobilis-int.com
الطبعة الأولى:	٢٠١٢

EAN 9786144031339

ISBN 978-614-403-133-9

المحتويـــات

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم تستفتح المطالب، وتستمنح الرغائب، وبشكرك تستزاد النعم، وتستذاد النقم، تفرّدت سبحانك بالعزة والجبروت، وتوحدت بالملك والملكوت، وتنزهت فى التدبير عن الشريك والمعين، وتقدّست فى التقدير عن الحدس والتخمين، فصرّفت خلقك بين رفع وخفض، وبسط وقبض، وإبرام ونقض، وإماتة وإحياء، وإيجاد وإفناء، وهداية وإضلال، وإعزاز وإذلال، أنزلت الكتب السماوية مخبرة بأخبار الأخيار، مسفرة عن محاسن أخيار الأخبار، فكانت لقوم تذكره، ولآخرين تبصره، يدرك بها المتأخرون ما للأوائل، ويكونون معهم على حدّ قول القائل:

من فاته نظر الديار بعينه ... فعليه أن يصغى إلى الأخبار
ليشاهد الآثار ممن قد مضى ... والمرء ليس له سوى الآثار

ونسألك اللهم أن تصلى وتسلم على أنبيائك الذين صربوا لنا الأمثال، بوقائع الأمم والأجيال، وسردوا أخبار الأولين، تبصرة وذكرى للمتأخرين، وعلى آلهم وأصحابهم، الذين نسجوا على منوالهم، فجاءوا بأصدق الروايات، وأمروا باجتناب الأنباء الكاذبة ونبذ الخرافات، ونهوا عن الأخذ بما تولع به الإخباريون والقُصَّاص من الأباطيل والترهات.

(وبعد) فيقول الفقير إلى مولاه الكريم ، ميخائيل بن شاروبيم بن ميخائيل بن شاروبيم، لما كان بين تاريخى مصر القديم والحديث نسب مجهول، وسبب فى الظاهر مقطوع غير موصول، حيث مضت على أوّلهما أجيال وأحقاب، وأعين الكتاب تنظر إليه من وراء حجاب، كانت الحاجة داعية لأن ينتظما فى عقد نضيد، ويجتمعا بعد شتات الشمل فى بيت القصيد، ولا يكون ذلك إلا بالإسهاب

والتطويل، ولا يستغنى فيه قط بالإجمال عن التفصيل، إذ كم تولّى مصر من دولة، وكم حكمها من سلطان ذى بأس وصولة، وكم من ممالك هى كذلك أخضعتها، وأمم ساستها، وعهود أبرمتها، ومدائن أحدثتها، وهياكل ومساجد شادتها وكل ذلك كما لا يخفى يستلزم بياناً ويستتبع النص عليه عصراً فعصراً وزماناً فزماناً، على توالى الأيام، وتتابع الفراعنة والبطالسة والقياصرة والملوك والسلاطين والحكام، وبالنظر إلى ما وقع لكل منهم من يوم أنشئت مصر، إلى عهدها الأخير من هذا العصر، ففكرت كثيراً فى الحصول على هذا الغرض المهم، والوصول إلى المقصود فى هذا الطريق المدلهم.

لعلي أن أنال بها مرادي وأحظى بالمنى بين البرية
فانظر من خلال سطور قوم مآثرهم فأكتسب القضية
ويحكم لي بأني مستحق حقوقاً لي دلائلها قوية

غير إنى كنت أرى أن السابقين إلى طلبها كانوا أطول باعا، بل أوفر علماً وأكثر بحثاً واطلاعاً، وأولى بصناعة الكتابة، وأحق بسمة البراعة والنجابة، وهم لم يفوزوا بالمنال، مع ما سهروه فى تحصيل ذلك من الليالى الطوال.

وكل يدّعى وصلا بليلي وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

وكان من أتى منهم بشىء جديد، بعد عناء وجهد جهيد، فإنما أتى برسائل مجملة، أو فصول غير مفصلة، لا تشفى لمحبى التاريخ غليلاً، ولا تغنى عن الرجوع إلى الكثير من المعلقات التاريخية فتيلاً، ومنهم من تعرض لتاريخها جملة واكتفى بالإجمال، وأعرض عن التفصيل فى مقام البيان الذى هو مقتضى الحال، فلما سار بى الفكر يتردّد فى فيافى الأمل، ويستطلع ماعساه أن يكون من وسائل العمل، كدت أن أنبذ هذا الأمر ظهريا، وأطرحه عنى قصياً، وأجعله منى نسياً منسياً، فلا أكون متعسفاً جهالات، ولا خابط عشوات سيما وقد كان لى من المناصب الديوانية فى خدمة وطنى شاغل يحدو بى حدو الزاجر المقيم ويذرى سويعات نهارى إذراء الريح الهشيم، مع ما يضاف إلى ذلك من قلة البضاعة ووجوب الوقوف عند حدّ عدم الاستطاعة، فقيض الله لى من جعل يقول، ياهذا لا يقعدك الخمول، ولا يبعدك عن بلوغ هذه الأمنية ونيل الأمل، ما أراك فيه من التردد والوجل، بل سر فمن سار على الدرب وصل، ومن يعرف المطلوب يستزر ما بذل،

ولله در من قال :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله　　　ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذلّ النفس في طلب العلا　　　قليلاً يعش دهراً طويلاً أخاذلّ

وقال:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى　　　فما انقادت الآمال إلا لصابر

واعلم أنه لا يترك منار فى مغار، ولا تدرك أوطار إلا بركوب الأخطار، ومالك لا تجدّ حتى تعتصر مآربك، وتنتصر فى هذه الآونة الصالحة مطلبك، والله تعالى يحل عقدة من لسانك، ويجرى فى ميدان البراعة يراع بنانك، فقلت يارعاك الله إنى أسير وساوس كثير ظنون وهواجس، وهذا لا يخفاك من عوائق النجاح، وموانع الفوز والفلاح والعاقل من لا يأتى أمراً حتى يخبر مشروعه، ولا يقدم على عمل حتى يدرك بمرآة التبصر موضوعه، وهذا الذى تشير علىّ بطلابه، وتستفزنى إلى الإقدام على طرق بابه، لهو غاية مرامى، ولكنه وايم الله من أبعد المرامى، لأن من يعدّ نفسه فى عداد المؤرخين ويدّعى أنه من الرواة والمحدثين، يجب عليه أن يطابق بين الواقع وواقع الأمر، ولا يحول عن الحقائق ولو تقلب على الجمر، ومن لى بالعصمة عن الغواية، وإصابة الحقيقة فى الرواية والتاريخ كما تعلم صحيفة الزمان، وصورة من الماضى تمثلها أقلام الكتاب بأتم حجة وأقوى برهان، وفى المثل من ألف فقد استهدف.

وهذا هو الداعي لتأخير بغيتي　　　ومنع يراعي من قراع الكتائب
فأنت ترى لي العذر ياخير ناصح　　　لئلا أرى في الناس مضغة عائب
وحفظي عرضي واجب ومحتم　　　وتنزيهه عن ترّهات المثالب

فقال: بلى ولكن لا يجمل بخاطب المعالى، أن يتهيب سهر الليالى، ولله در القائل:

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به　　　ولا تكون له في الأرض آثار

وما زال بى حتى سرّى عن سرّى، واشتدّ بالعزم أزرى، وتحققت أن الكدّ أحسن معين على تحصيل الأمل، والجدّ أيمن قرين لتيسير العمل، فنشطت من عقال، وقلت على الله سبحانه الاتكال، وأجريت القلم فى حلبة البراعة، وأخرجت

نفسى من أرض الخمول إلى روضة اليراعة، وأطلقتها من عقال الفهاهة واللكنة، إلى أعمال الفكرة والفطنة، ولكن بين تقديم وتأخير، وصفاء وتكدير، حتى تصرم أجل تلك الخدمة وقدّر الله بانفصام عروة تلك الحزمة، فاعتزلت منصبى راضياً عما كان، شاكراً تصاريف الزمان، لما سكنت بعزلتى نفثات بعض الصدور، وتم نفوذ ذلك القدر المقدور، رحلت عن الكنانة إلى مسقط رأس الوالدين، وقد كنت لم أره منذ نشأتى إلى ذلك الحين وأنخت به مطية الرضا والتسليم، وسجدت لله شكراً على ما أولاه من فضله العميم، ثم ما لبثت أن اتخذت القرطاس سميرى، والجدّ معينى على الكدّ ونصيرى، ومضيت فى الذى نهجه لى الأمل، قمت ناشطاً بماعصبه بى العمل، فسهل الله ما كنت ألاقيه قبل من المتاعب، وزال عنى بمنه وكرمه ما كان ملازماً لعملى من المصاعب.

وما زلت حتى ظفرت بالذى كنت أتمناه، وأتيت بمايحبه محب التاريخ ويرضاه، فجاء كتابى بحمد الله خير كتّاب، وعمدة ما صنف فى هذا الباب، حقيقا بما قال فيه القائل

كتاب إن نظرت إليه تلقى يتيم الدرّ في لبات حور
ترى الروض النديّ به نضيراً وباسم زهره بين السطور
ترى الخود الحسان مخدّرات تبدّى حسنها خلف الستور

وها هو بين أيديكم اليوم يتلو عليكم عبراً من آثار الماضين، وسيرا من أخبار آبائكم الأولين، فاحفظوا منها حكماً ظواهر، واتخذوا لكم من أحاديث أيامهم مواعظ وزواجر فقد طالما كانت البلاد غرضاً لكل نابل، وأكلة لكل آكل، وفريسة لكل صائل، حتى اختلط فيها الحابل بالنابل، وهذا كله من عبث الغرباء وإفسادهم، وتطاول أطماعهم إلى معالى الحكم وعنادهم، وما برحت هذه السطوة الأجنبية تزرع الروع فى القلوب، وتثير القطوب والخطوب والكروب، حتى لم تبق من آثار المجد الأثيل إلا بقايا جدران، ولم تترك من معالم الفخر الذى لم يكن له مثيل إلا رسوم مدنية وعمران، وقد ذلت هاتيك السلطة وذهبت تلك الهيبة، وتفرّق شمل الهيئة باستفحال داء هاته العلة، وانصرف هذا العنصر الطيب بتوالى الأيام، وكرور الشهور والأعوام، عن وجهته بعض الانصراف وأصبح منكباً عن منهاجه فاقداً كثيراً من مزاياه بحكم ذلك الجور والاعتساف، غير أنه لم تزل فيه بقايا هى السائدة على

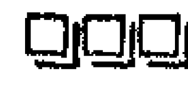
أهليه، الحافظة لما بقى من رفيع شرفه ومجد ذويه، ينبيك عنهـا ما تراه من الهدوء وثبات الجنان، والدعـة واللطف والحنان، وخفض الجناح للقـريب، وتوطين النزيل والغريب، فكأن الذى قضى على بقايا تلك الآثار القديمـة بالبقاء، لتكون مـرشداً وهادياً لسائر الأمم فى تمدنهم الحديث إلى سلم الارتقـاء، هو الذى حفظ فيهم هذه الباقيات الصالحات لتكون عنواناً على هاتيك الشمائل، وبرهاناً على تفردهم بأحاسن هذه المحاسن والفضائل.

وقد بدأته بنوح أبى البشر الثانى عليـه السلام، ثم حام ومن جاء من ولد حام، ثم من قام بعدهم من الفراعنة والبطالسة والقـياصرة والسلاطين والحكام، ثم ذكرت قسمـاً كبيراً من تاريخ جـاهلية العرب، وتدرّجت إلى ذكر تاريخ صـاحب الشريعة الإسلامية (صلعم) وكيف ساد وغلب، وقد تتبعت سنى الخلافة سنة بعد سنة، على أسلوب مفيد وخطة مستحسنة، إلى انقراض الخلافة العباسـية، سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هجرية، ثم أتيت على ذكر من قام بالأمر بعدها من ملوك آل عثمان، وهو السلطان سليم ابن السلطان الغـازى بايزيدخان، ولكنى استطردت فـأتيت على سائر من سبق من السلاطين توفية للمقام وبياناً لمن شـاء الاستقراء من الباحثين، وذكرت فى سنى ملكهم أخبـار من تولى من الولاة والعمال، وسيـرة من أحسن منهم ومن أساء فى الأعـمال، وأضـفت إلى أخبـار من ملك من القيـاصرة والخلفـاء والملوك والسلاطـين، عدد من تولى البطريكيـة من المتأصلين والملـكيين، وذكرت طـرفا من الانشقـاقات الدينية، والمـناظرات الحزبية، والكوارث التى ترتب عـليها تفـرّق كلمة الدين، والفتن التى قامت بين الأحزاب فانجزم بها حبل اليقين .

ثم إنى اعتمدت فى تأليفى هذا على بعض الكتب الشهـيرة الأجنبية، وكثير من كتب التاريخ القديمة والحديثة العربية، وأفرغته فى قالب لا يشوبه خلل، ولا يعترى القارئ منه إن شاء الله أدنى ملل، وجزأته إلى أربعة أجزاء الأوّل منها ينتهى إلى سنة تسع عشرة هجريـة، أعنى قبل أن تحتل البلاد الجيوش الإسلامـية، وبعد تقلص ظل ملك الدولة الرومانية، وابتدأت الجزء الثانى منه بتاريخ العرب الجاهلية، وانتهيت منه إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هلالية، وهى السنة التى دخل فيها السلطان سليم البلاد بجيوشه التركية، والجزء الثالث يبتدأ بتاريخ ملوك آل عثمان، وينتهى إلى سنة عشرين ومائتين وألف وهى سنة الامتنان، التى علا فيـها شرف نجم الأمير الشهير،

الحاج محمد على باشا الكبير، والجزء الرابع منه ابتداؤه تاريخه رحمه الله وانتهاؤه إلى سنة ثمان وثلاثمائة وألف على التحقيق، وهى السنة التى انتقل فيها إلى رحمة مولاه الخديوى محمد باشا توفيق وقد ارتقت بعده الأريكة المصرية بجناب شبله الأعظم، ذى المجد الأثيل الداورى الأفخم، مالك أزمة المعالى، وطود مجدها الشامخ العالى، مولانا الخديوى الأكرم (عباس حلمى باشا الثانى) بلغه الله من كل ما يحبه غاية الأمانى، وإنما وقفت عند هذا الحد ليكون عصره مبدأ تاريخ جديد، وأوّل زمن طالعه سعيد، وسأفرد لعصره الزاهر كتاباً زاهراً، وأخصص له فيما بعد تاريخاً باهراً، ليكون مفرداً بمقال، كما تفرّد صاحبه حرسه الله بمحاسن الخلال.

وقد سميت كتابى هذا {الكافى} فى تاريخ مصر القديم والحديث وإنى أحمد الله على ما وفق له عبده، فبلغ بمنه وجوده منيته وقصده، وأسأله سبحانه بنعمته حفظاً من الخطل وبمعونته إخلاصاً فى العمل، وبقدرته بعداً عن الزلل، فهو خير مسئول، وأكرم مرجوّ ومأمول.



(تنبيه)

سئل أحد العلماء عن التاريخ فقال: هو المعاد المعنوى لأنه يعيد الإعصار التى سلفت ويبعث أهلها من القبور، كأنهم فى عالم الظهور، بعد أن يكونوا قد تلاشت أخبارهم وعفت آثارهم، قال والتاريخ حافظ للأنساب، ضابط للأحساب، لولاه لخفيت أخبار الأول، وعفت آثار الممالك والدول، ولم تعرف حقوق ولا حفظت عهود، ولا برز ما فى عالم الغيب إلى عالم الشهود . اهـ.

قلت: والتاريخ خطيب قائم يقرر الحوادث الماضية على تعدّد أنواعها، ويتلو عجائب الوقائع الغابرة على تباين أوضاعها، فإن كان ما دوّنه على أسلوب بسيط مفيد، خال من الحشو والتعقيد إنساق السامعون إلى حفظ عباراته، وفهم إشاراته، وإن كانت عباراته وحشية المبانى معقدة، لم ينل سامعها منها المأمول، ويعسر عليه فى سلوك طريقها إلى مقصود الوصول، وليس من تمام الفائدة فى شىء أن يكتب صاحب التاريخ ما يعتنى بجمعه من الحوادث والأخبار مقفى منسقاً منسوجاً على

منوال مقامات البديع أو رسائل الصابى، أو يجعله كله رموزاً لا يتسنى لكل إنسان أن يفكها فإن هذا كله ممتنع فى مذهب أهل التاريخ وشرعة أصحاب الانتقاد، هذا تاريخ العلامة عماد الدين أبى عبد الله محمد بن محمد الأصفهانى المسمى بالفتح القسى فى الفتح القدسى قد حوى من ضروب البلاغة وكمال المحافظة على النفائس اللغوية فى مفرداتها وتراكيبها مع تزيين الكلام وتحسينه بالتنميق والسجع والتنسيق والترصيع والتورية والجناس وغير ذلك ما لا يقدر عليه إلا القليل من الكتاب وأهل الإنشاء، ولكنه ليس من السهل المتيسر لسائر مطالعى التاريخ إدراك ما فى عباراته من تلك المعانى العالية والاستعارات البعيدة فيلزم على كل من شاء قصداً من قصوده أن لا يقرأه إلا وبين يديه معجم اللغة يقلب صفحاته عند كل سجعة فينصدع لذلك فكره، لعمر الله أن فى ذلك لمنتهى الجور وغاية التثقيل على محبى التاريخ بل ربما كان داعياً إلى إذهاب ولوعهم به، ومثل ذلك تاريخ الإمام محمد بن عبد الجبار المدعو بأبى النصر العتبى المؤلف فى وقائع السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين فإنه مع صغر حجمه ووقوف تدوينه عند انتهاء سنى ملك ابن سبكتكين المذكور قد تضمن من حسن التنسيق وإشباع الكلام من رقائق لغة العرب ما قام بشرحه الإمام أحمد بن على بن عمر المنينى فى مجلدين ضخمين لا ينقصان عن نيف وثمانمائة صحيفة وكلها شواهد على ما فيه من حُسن صناعة الإنشاء وعلى أن صاحبه من أكابر البلغاء متمكنة فيه ملكة تلك الصناعة التى قد استلزمت ذلك الشرح الطويل الذى لولاه لاستعصى على الكثير فهم مقاصده ومناحيه.

وكأن طالب التاريخ لا ينال منه شيئاً إلا إذا كان متمكناً من فنون اللغة العربية كما أشرنا إلى ذلك وهذا على ما أظن ضرب من العسف، نعم لا يسوغ التوسع فى القول حتى يقال إنه ينبغى أن يكون التأليف باللغة العامية لا سيما تدوين الأخبار التاريخية بدلاً عن اللغة الصحيحة الفصحى وذلك لأن لغة هذا المصر العامية مفعمة بالحشو الأعجمى الذى لا يمكن معه التحرير ولا يصح معه التأليف مع أن الألسنة قد انطبعت عليها أعنى على هاته اللغة الجافية واستوى فى التخاطب بها العالم والجاهل حتى فى مجامع الإفادة والاستفادة والتعليم والتعلم وعمّ ضررها بحيث إذا سمعك عالم أيا كان عمله تنطق ببعض كليمات فى التخاطب صحيحة غير عامية امتعض ورماك بالتكلف ووسمك بالتعسف وربما خاطبك بهدر الكلام بأن يقول لك ياسبحان الله كأنك وسيبويه رأسان فى قلنسوة فإن حاججته تأفف ولم ينصفك وبالغ

فى مناقضة قولك ونازعك حقك الذى بيدك آمنا غير خائف لعلمه أن الناس طراً تقوم لنصرته ويمثّل ذلك أنى كنت أخاطب رجلاً يوماً فى أمر يعنيه وفى الذى صح فى يدى منه فطال بيننا الأخذ والرد حتى غلبت حجتى حجته وكدت أزهق ما يدعيه فقال إنى أقول لك الحق إنى رجل لا أحب التشدق بعبارات النحاة واستعارات أهل البيان فقلت وما الذى أنكرته من ذلك فقال إنك تنطق بألفاظ ضخمة معظمة وهذه خطة مذمومة فى عرف التخاطب العام وماذا عليك لو نطقت بها كما ينطق بها كتابنا وأصحاب الذوق السليم منا وكأنى بك لم تسمع قول القائل:

وللناس عادات وهم يألفونها   لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يوافقهم على العرف بينهم   فذاك ثقيل عندهم وبغيض

فقلت :يا هذا ليس فى الشرّ أسوة ولا فى اتباع الخطأ قدوة فإن كان هذا كله مبلغ إنكارك ومنتهى انتقادك فيالخيبة الرجاء وأين ما كنت تدعيه الآن من الإحاطة بكل شيء ثم كيف تدعونى إلى غير الهدى الذى أنت مقيم عليه ولغتك التى عمت فأطفأت نور اللغة الصحيحة بما أدخلته عليها من النساد والتحريف قد كانت ولن تزال علة انحطاط الأمة وحرمان السواد الأعظم وأعنى بهم العامة من فوائد العلوم والآداب والاشتراك فى جنى ثمار الحضارة والمدنية فأمسوا وهم لا يحسبون فى عداد الهيئة الاجتماعية والجامعة القومية إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً إذ لا حركة عندهم مرتبة ولا قصد صحيح ولا تفريق بين ما يضرهم وما ينفعهم، ولعمر الحق إنك ياهذا قد أخطأت من حيث أخطأت وتهافت على غير مساغ للقول فإنك إن أنكرت أنت فالناس طراً لا ينكرون أن اللغة كاملة غنية فى ذاتها عن حشو ودخيل وكما أن فيها من التدوينات العالية العربية المجملة بالمحسنات البديعية ورقائق الألفاظ ما لايكاد يدخل تحت الحصر فكذلك فيها الاصطلاحات السهلة البسيطة الجامعة بين صحيح اللغة وصحيح عرف التخاطب العامّ وعندى أن النوع الثانى أهم وفائدته أكمل وأعمّ إذ يستوى فى فهمه العلماء ومن دونهم من سائر طبقات الناس ولذلك نسقت كتابى هذا الكافى على هذا النسق ليعم إن شاء الله تعالى نفعه وتجزل فائدته غير ناظر إلى ما يقوله العائبون العاتبون ولا حافل بما سيرمونني به إذ ليس فى أيديهم من الحجة ما ليس فى يدى، هذه مقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون المغربى قد حوت من العربية الخالصة فضلاً عن صحة الانتقاد وقوة الحجة وفصاحة التعبير ما عم بشهرته مشرق الأرض ومغربها حتى روى عنه الرواة ونقل الكتاب وترجم المترجمون واحتجوا بحجته وأخذوا بقوله ومع كل ذلك فقد عاب بعض ما فيها

بعض أهل الانتقاد من المتقدمين والمتأخرين وسفهوا رأى صاحبها ونازعوه حقه الذى بيده.

ومن ذلك ما سمعته من بعض الناس قال لى يوما: إني غير كاتم عنك ما أنا معتقده ولا وجل من أن أقوله لك إنى أرى تاريخ ابن خلدون خلواً من البلاغة والفصاحة التى جمعتها فصول مقدمته ولا أظننى مخطئاً إذا قلت إن كانت هذه المقدمة لذلك المغربى كان ما فى الكتاب لغيره وإن كان ما فى الكتاب من عندياته كانت فصاحة المقدمة وطلاوة عباراتها من عنديات غيره فقلت يا رعاك الله أما المقدمة فإنى أرى أنها وضعت لقوم، وأما الكتاب فلآخرين وذلك أن هذا الفاضل رحمه الله قد التزم فى تنسيق مقدمة كتابه التى هى عنوان فضله ودليل عالميته واحاطته بكل فنّ ما يجمل بكل باحث فى فضل عالم التاريخ وفى حقيقة النبوة والكهانة وفى اختلاط الأنساب كيف يقع وفى أخلاق البشر وتأثير العناصر وغير ذلك من ضروب الفلسفة التى قصد من تنسيقها على هذا النحو من البلاغة وحسن الترصيف عرضها على ذوى المكانة العالية إظهاراً لفضله ومبلغ قدرته على التأليف والاستنباط الذى لم يسبقه إليه أحد من المشارقة والمغاربة ولذلك نراه قد كتب بقدر علمه والذى صح فى يده منه وما قامت به الحجة عنده آمناً مطمئناً غير مقصر ولا كاتم لما فى نفسه فجاءت عبارته غاية فى الطلاوة وحسن السبك حتى عدّت من المصنفات الفريدة فى بابها، وأما الكتاب فقد استعمل فيه السهولة فى التعبير ليطلع عليه العلماء ومن دونهم ابتغاء التعميم والمشاركة فى فوائده العملية وهذه أصلح الله حالك خطة محمودة لا يهتدى إليها إلا من كشف العلم عن بصيرته وبصره وهداه إلى سواء السبيل.

وبالله كأن سرعة الانتقاد عند المتقدمين والمتأخرين واحدة والأمر بينهما فيها مشاع غير مقسوم إلا أنها عند المتقدمين خير منها عند المتأخرين لأنك إذا ناظرتهم ناظروك طلباً للحق وأسقطوا بينك وبينهم اللجاج والمراء والمكابرة وأوسعوك تلطفاً بأن تقوم بحجتك غير مؤاخذيك فى شىء ولا متعنتين عليك فى شىء والانتقاد إذا كان القصد به الإفادة والاستفادة وتحقيق الحق والإتيان على ما صح من أصول الشىء المنتقد وفروعه كانت نتيجته حسنه، وفائدته عامة مستحسنه، وحمد الناس أمر صاحبه ومدحوه، أما إذا كان القصد به المهاترة والمكابرة على غير حق كان مثل صاحبه كمثل الفراشة التى إذا رأت نور السراج فرحت به ورقصت حوله ثم لا تلبث أن تحترق وتموت.

وأما التعييب: فخطة مذمومة ولطخة فى وجه الأدب لاسيما إذا كان المراد منه التشنيع والتقريع فإنه بدون المناظرة الحقة التى هى مجال للاستفادة ومحط للإفادة ممتنع وكان صاحبه مدفوعاً إليه بعامل الغيرة ودافع الحسد وكان إذا تلطفت معه فى القول وحاججته حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة بشىء من المكابرة وهذر الكلام فتحتاج أن تقبض لسانك ولا تبسطه له ببيان حجتك لأنك لا تقدر على تقويم الظلل مع اعوجاج العود، وكانّ التعييب ملكة إذا رسخت واستحكمت فى النفس لا يجيد صاحبها المناظرة الصحيحة.

قال أصحاب الكلام: لأن الملكات صفات للنفس فلا تتزاحم دفعة ولا تلتقى فى واد واحد إلا فى القليل النادر من الأحوال، والعائب إذا شب على هذا الخلق غلب على طبعه التنطع فى القول والتشدق والمماحكة وهى من أعراض هذا الخلق فلا يبقى من ورائها إلا ذهاب المروءة والنقص فى النظر القلبى والإدراك؛ فيرى حينئذ السليم معيباً والصحيح سقيماً والمستقيم معوجاً، وهكذا تنقلب الأشكال فى عينيه إلى أضدادها والصور إلى عكس ما هى عليه، والعائبون فضلاً عن أنهم يقتحمون مواطن التعييب من غير أبوابها لا يأتونها إلا إرضاء لشيطان الحسد ثم هم يحقدون على من يعارضهم أو يخالف رأيهم وربما أدخلوا على أنفسهم الهموم والأحزان من قيام أهل النصفة فى وجوههم واستمروا فى عناء عظيم من أجل إيجاب الحق لأنفسهم فيحصل لهم المقت من الناس لما فى الطباع البشرية من حب الترفع عن الصغار والهوان إذ قل أن تسلم نفس لنفس بالكمال والترفع عليها إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة أو بعصمة من الله وهداية منه، وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود.



المقدمة

(وفيها فصلان)

(الفصل الأول)

(فى دخول نوح ـ عليه السلام ـ السفينة وفيمن نزل مصر من ذريته)

هبط آدم وحوّاء ـ عليهما السلام ـ من جنات النعيم، كماجاءت به الكتب المنزلة وكثرت ذريتهما فسعوا فى الأرض فساداً، فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم نوحاً عليه السلام فنهى وأنذر فلم يرعووا ولم تأخذهم آخذة من الخوف فشاء الله تعالى أن يبيدهم بطوفان فأوحى إلى نوح أن يصنع لنفسه ولذريته فلكاً وأن يدخله هو وبنوه وامرأته ففعل فلما صار نوح ومن معه فى الفلك أمر الله تعالى فانفتحت أبواب السماء وانفجرت ينابيع الغمر وعلت المياه على وجه الأرض فمات كل ذى روح على وجه الأرض وكان فلك نوح عليه السلام طافياً على وجه الماء فلم يبق سوى نوح وبنيه ومن معهم وكان ذلك بعد الخليقة بألف وستمائة وست وخمسين سنة على ما أخبر به المؤرخون.

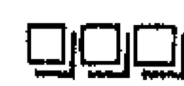
ولما غيض الماء استوى الفلك على الجودىّ ففرح نوح وعائلته وتفرقت الحيوانات التى كانت فى الفلك فى أنحاء الأرض فلم تمض عليها الأحقبة من الدهر حتى تناسلت وملأت الأرض وانطلق بنو نوح مع عيالهم إلى أرض شنعار الواقعة جنوبى الجبل المذكور على مقربة من دجلة والفرات فاستوطنوا هناك وتوالدوا وأخذوا فى النماء حتى صاروا فى خلال جيل بعد الطوفان شعباً عظيماً، وكان أكثر حديثهم فى ذاك الجين عن الطوفان وما ترتب عليه من انقراض العالم فأوجسوا خيفة من أن يعود مرة أخرى ورأوا أن يبنوا صرحاً عظيماً يلجؤن إليه عند الحاجة ويتخلصون من غائلة الطوفان فأقاموه على شاطىء الفرات إلى جهة الشرق وبالغوا جدّاً فى إعلائه حتى قيل إنهم كانوا يريدون أن يصلوا به إلى عنان السماء فراراً من الموت.

وبينما هم على هذا الحال من الاجتهاد إذ ابتلاهم الله تعالى بأمر منه فبلبل ألسنتهم فتفرقت كلمتهم ووقع بينهم الخلاف وصاروا لا يعرفون كلام بعضهم فكفوا عن العمل وخاب منهم الرجاء والأمل وهاموا على وجوههم شرقاً وغرباً فاستوطن كل فريق منهم قسماً من الأرض كما جاءت به الكتب، وسمى ذلك الصرح ببرج بابل، وكان أولاد نوح الذين عمرت بهم الأرض بعد الطوفان كما تقدم ثلاثة سام وحام ويافث، وكان ليافث سبعة أولاد أولهم دجومر وهو الذى هاجر إلى الشاطىء الشمالى من البحر الأسود وتفرق نسله غرباً وسكنوا فى الجنوب الغربى من أوروبا وفى جزائر بريطانيا وأكثر الأوربيين من نسله على المشهور من قول جماعة من المؤرخين، وكان لدجومر ثلاثة أولاد الأول اشكينار وقد نزل بالشاطىء الجنوبى من البحر الأسود، والثانى ريفات وقد نزل شرقى اشكينار، والثالث تجرمة وقد نزل بالجانب الشرقى من ريفات، الثانى مأجوج ومقره ببلاد التتر أى الشاطىء الشمالى من بحر الخزر وأكثر سكان أواسط آسية من نسله كالمغول وغيرهم، الثالث مادى وموطنه شمالى بلاد العجم، الرابع ياوان وقد سكن بلاد اليونان وباسمه سمى دانيال النبىّ أهالى هذه البلاد وكان لياوان هذا أربعة أولاد الأوّل منهم الشتة استوطن هيلاس وهى الولاية الجنوبية الغربية من بلاد اليونان، الثانى ترشيش ومقرّه كليكيا فى آسية الصغرى وباسمه سميت مدينة ترسيس وذهب بعضهم إلى أن طائفة من نسله سكنت أيضاً بلاد أسبانيا، الثالث كنيم ومكانه عند شواطىء بحر إيطاليا وبلاد اليونان، الرابع رودانيم ومكانه ألبانيا التى هى بلاد الأرناؤد على جنوبى مدينة تريسته ويظن أيضاً أنه سكن فى نواحى مرسيليا جنوبى بلاد الفرنسيس، الخامس نويال ومحله بجوار مأجوج وما بين البحر الأسود وبحر الخزر، السادس ماشك ومسكنه فى جوار نويال ومأجوج وقد سكن بعض نسله فى شواطىء بحر البلتيك ومنه تسلسل بعض المسكوبيين، السابع نيراس ولم يعلم المؤرخون أين سكن قالوا والمظنون أن نصف أهل الأرض من نسل يافث.

وأما حام: فكان له أربعة أبناء أوّلهم كوش وكان له ستة ذكور ومحله غربى بلاد العرب وقد سكن أكثر نسله إفريقية قيل ومنهم من سكن عند الشواطىء الشمالية من خليج العجم وامتدّ شمالاً إلى ما بين النهرين ويظنّ أن أكثر أهالى إفريقية من نسله لأنهم كانوا ينسبون إليه وإن بنيه جميعاً سكنوا بلاد العرب وإفريقية ماعدا نمرود فإنه سكن على سواحل الفرات وهو الذى أسس مدينة بابل، الثانى (مصرايم) وقدنزل بمصر فسميت بهذا الاسم نسبة إليه وقد تفرع منه سبع قبائل الأولى لوديم ومحلها غربى مصر الثانية غايم وهى من القبائل الرّحالة الثالثة لهاييم

سكنت جنوبى لوديم الرابعة نفتوحيم ومحلها على الشاطىء البحرى أى على شاطىء البحر فى الجهة الغربية من مصر، قالوا ويظن أن اسم نبتون إله البحر عند الأقدمين مأخوذ منها، الخامسة فتروسيم ومحلها مصر العليا السادسة كلوحيم ومحلها بين مصر وأرض كنعان على شاطىء البحر ومنها الفلسطينيون السابعة كفتوريم ومحلها جزيرة قبرص، وأما الثالث من أولاد حام واسمه فوط فقد سكن شمالى إفريقية ونسله مذكور مع كوش ولود والرابع كنعان ومحله الأرض المنسوبة إليه وكان لكنعان هذا ابنان الأول صيدون وهو الذى بنى المدينة المعروفة الآن باسمه وهى صيدا ويقال إنها أقدم مدن العالم والثانى حث وقد عقب غير هذين تسع قبائل سكنت أرض كنعان فى أيام يوشع بن نون، وأما سام فكان له خمسة بنين الأوّل عليوم ومحله جنوبى بلاد العجم الثانى آشور ومنه الآشوريون الذين استعبدهم النمرود وكوش الثالث ارفكشاد وقد توطن بين النهرين ومن نسله إبراهيم الخليل عليه السلام وكان لارفكشاد هذا ولدان هما فالخ ويفطان وكان ليفطان ثلاثة عشر ولداً منهم قبائل بلاد العرب وقد سكن الإسماعيليون بينهم الرابع لود ومن نسله اللوديون ومقامه الأناطولى الخامس أرام ومقامه بين النهرين ولذلك سميت هذه الأرض سهل أرام وكان لأرام أربعة بنين الأوّل عوص ومقامه عند رأس خليج العجم الثانى حول ومقامه منبع نهر الأردن حيث يدعى باسمه الثالث لم يذكر له المؤرّخون اسماً ولا محلاً الرابع ماش وقد سكن الأناطولى أيضاً، فمما تقدّم يتضح أن أكثر سكان إفريقية ومنها ديار مصرهم من نسل حام ولد نوح عليه السلام.

واعلم أن مصر التى بناها مصرايم ولد حام وتوطنها بنوه من بعده [إذا صح هذا القول] يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق البحر الأحمر وخليج السويس ومن الجنوب بلاد النوبة ومن الغرب الصحراء وبلاد برقة وهى واد يكتنفه جبلان شرقاً وغرباً يتخللهما النيل من الجنوب إلى الشمال ويصب فى البحر الأبيض المتوسط عند مدينتى رشيد ودمياط بمصبيهما، وكان المصريون يعتقدون أنهم أوّل من سكن هذه الديار وعمرها ولذا سموا أنفسهم لوت ونقشوه على الآثار ومعناه أصل البشر ظناً منهم أنهم آباء البشر، قال ده روجيه فى كتابه الذى ألفه فى تاريخ الست عائلات الأول: أن الذى تحقق له من الآثار أن أصلهم وتمدّنهم إنما هو من آسية لا من الجهة الجنوبية.



الفصل الثانى

(فى تاريخ مصر القديم وفيما يعتبره المصريون قاعدة لتأسيس مملكتهم)

اختلف أهل التاريخ على اختلاف طبقاتهم فى تحديد مبدأ تأسيس المملكة المصرية وتاريخ نشأتها وكيفية ارتقائها مراقى ذلك التمدن العجيب فمن قائل إنها قديمة العهد جداً ومن قائل إنها ابنة اثنين وخمسين قرناً ومن قائل خمسة وثلاثين ولكل على قوله حجة وبرهان فالقائلون بأنها قديمة العهد جداً جعلوا مستندهم على أنه لما لم يهتد قدماء المصريين إلى معرفة مبدأ تأسيس مملكتهم وتاريخ نشأتها فرضوا لظهورها ثلاث عائلات أولية على وجه الاحتمال والتقريب وسموا العائلة الأولى منها بعائلة المعبودات التى يقال لها العائلة المقدّسة والثانية العائلة الشبيهة بالمقدّسة والثالثة عائلة آبائهم الأوّلين وهم الحورشو وقد ذكر كلٌّ من كهنة منف وطيبة عائلة المعبودات المذكورة على الترتيب الآتى :

عدد	جدول أسماء المعبودات بمنف		عدد	جدول أسماء المعبودات بطيبة	
١	بتاح		١	أمون	المشتري
٢	رع		٢	منتو	المرّيخ
٣	شو	وأخته نفتوت	٣	توم	
٤	سب	وزوجته نوت	٤	شو	وأخته نفتوت
٥	أزوريس	وزوجته إزيس	٥	سب	وزوجته نوت (زحل)
٦	ست	وزوجته نفتيس	٦	أزوريس	وزوجته إزيس
٧	حور	وزوجته حاتحور	٧	ست	الشيطان وزوجته نفتيس
		الشعري اليمانية	٨	حور	وزوجته حاتحور

قالوا: ومعنى بتاح الفتاح وهو رمز للقدرة الإلهية التى أوجدت الكون ومعنى رع عنصر النار وشو عنصر الهواء وسب عنصر التراب وأزوريس عنصر الماء، قال صاحب العقد الثمين أما حور فإنه يدل على الزمن المستقبل ولذا كان المصريون

يلقبون به ولى العهد كما أنهم يلقبون الملك الحاكم برع أى الشمس والأموات بأزوريس وكانوا يعتبرون هذه المعبودات ملوكاً حقيقية وجعلوا لها أسماء وألقاباً رسمية. قال: وأما العائلة الشبيهة بالمقدسة وعائلة أجداد المصريين فلم يوجد لها على الآثار القديمة شىء يذكر غير ما رأيناه فى ورقة تورينو يعنى المحفوظة فى خزانة التحف بمدينة تورينو إحدى عمالات إيطاليا المبينة لترتيب الملوك ومدة ملكهم من أن الذين حكموا مصر قبل الملك (مينا) وسبقوه فى الترتيب كانوا يدعون حورشسو ومعناه خدمة المعبود حور ولعلهم كهنة . اهـ. قال لبسيوس: إن قدماء المصريين ينسبون لمعبوداتهم أو لأجدادهم حورشسوسنّ القوانين المدنية، وإبداع الفنون، والصنائع، واختراع الورق، والكتابة، وإيجاد الأسماء المقدسة، وترتيب الديانة والمذاهب، ولذلك كان قدماء المؤرّخين من اليونان يقولون إن البركان حكمها (أى مصر)، كذا من السنين ومعناه أن كاهن هيكل النار التى كانت إحدى المعبودات قد حكمها كذا سنة، ويقال إن أوّل هؤلاء الملوك يعنى الكهنة كان من مدينة طيبة كما يقال إن أوّل من أسس مدينة طيوه التى هى الآن بلدة الأقصر وما حولها هو الشمس يعنى كاهن الشمس، ثم خرجت بعد ذلك العائلة الملوكية من هاتين المدينتين، وأما من قال بأنها ابنة اثنين وخمسين قرنا فجماعة من كبار أصحاب التاريخ المتقدمين وتبعهم جماعة من المتأخرين منهم مانيتون المؤرخ قال إن العائلات التى ملكت مصر إحدى وثلاثون عائلة تنقسم إلى ثلاث طبقات وقد جعل لكل منها باباً مخصوصاً، فالباب الأول فى الطبقة الجاهلية أو الطبقة القديمة ومدة ملكها ألفان ومائة سنة وخمس سنين وتشتمل على إحدى عشرة عائلة من العائلة الأولى إلى الحادية عشرة والثانى فى الطبقة الوسطى ومدة ملكها ألف وثلاثمائة وإحدى وسبعون سنة وتشتمل على ست عائلات من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة، والثالث فى الطبقة الأخيرة ومدة ملكها ألف وثلاثمائة وإحدى وسبعون سنة وتشتمل على أربع عشرة عائلة من الثامنة عشرة إلى الحادية والثلاثين فيكون مجموع سنى ملك هذه العائلات زهاء خمسة آلاف سنة، وقد عد هذه العائلات جماعة من المؤرخين نحو ثلاثين عائلة وعدها آخرون ستاً وثلاثين، وقارن جماعة من المتأخرين بين مبدأ ظهور كل طبقة من الطبقات الثلاث المذكورة وبين التاريخ الميلادى والهجرى فكان مبدأ ظهور الطبقة الأولى منها أى الطبقة الجاهلية موافقاً لسنة أربعة آلاف وخمسين قبل الميلاد المسيحى وسنة ست وعشرين وستمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية، والطبقة الوسطى منها لسنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد، وسنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة، والطبقة الأخيرة منها لسنة اثنتين وسبعمائة وألف

قبل الميلاد أى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف قبل الهجرة. قال مانيطون وكانت كل عائلة من هذه العائلات تلقب بمركز حكومتها فإذا كانت العائلة فى مدينة طيبة مثلاً سميت بالطيبية وإن كانت فى مدينة منف سميت بالمنفية ورتب مانيطون هذه الطبقات الثلاث وحقق سنى ملك كل منها فى كتابه على الترتيب الآتى : ـ

ترتيب العائلات		تخت المملكة لكل عائلة فى القدم	سنو ملك كل عائلة	
			سنة	
العائلة	الأولى	تنيس	٢٥٣	الطبقة الجاهلية كما رواه مانيطون
«	الثانية	منفيس	٣٠٢	
«	الثالثة	«	٢١٤	
«	الرابعة	«	٢٨٤	
«	الخامسة	«	٢٤٨	
«	السادسة	إيليفنتيين	٢٠٣	
«	السابعة	«	٧٠	
«	الثامنة	منفيس	٢٤٢	
«	التاسعة	هرفيليوپوليس	١٠٩	
«	العاشرة	«	١٨٥	
«	الحادية عشرة	طينية	..	
العائلة	الثانية عشرة	طينية	٢١٣	الطبقة الوسطى كما رواه مانيطون
«	الثالثة عشرة	«	٤٥٣	
«	الرابعة عشرة	اكسويس	١٨٤	
«	الخامسة عشرة	الرعاة	..	
«	السادسة عشرة	«	٥١١	
«	السابعة عشرة	«	..	

	سنو ملك كل عائلة	تخت المملكة لكل عائلة فى القدم	ترتيب العائلات
الطبقة الأخيرة كما رواه مانيطون	٢٤١	طيبة	العائلة الثامنة عشرة
	١٧٤	«	« التاسعة عشرة
	١٧٨	«	« العشرون
	١٣٠	تانيس	« الحادية والعشرون
	١٧٠	بوباست	« الثانية والعشرون
	١٨٩	تانيس	« الثالثة والعشرون
	٦٦	سيبس	« الرابعة والعشرون
	٥٠	اتيوبيه	« الخامسة والعشرون
	٠٧	سيبس	« السادسة والعشرون
	١٢١	الفرس	« السابعة والعشرون
	٠٧	سيبس	« الثامنة والعشرون
	٢١	منريس	« التاسعة والعشرون
	٣٨	سبيانيس	« الثلاثون
	٠٨	الفرس	« الحادية والثلاثون

وممن حذا حذو مانيطون هذا فى حسابه وتحقيقه العلامة الفلكى محمود باشا المصرى فقد قرأت فى رسالته التى حررها بالافرنسية فى سنة اثنتين وستين وثمانمائة وألف ميلادية تحت عنوان (عمر الأهرام والغرض من بنائها) ما ملخصه قال، رحمه الله.

كنت تعودت أن أزور هذه الآثار الشريفة، يعنى الأهرام، فى أول فصل الربيع أحد الاعتدالين حينما يكون الليل والنهار متساويين ويقع ذلك مرتين فى السنة فى نحو الحادى والعشرين من كل من مارس وسبتمبر فلما جاء اعتدال مارس من سنة اثنتين وستين وثمانمائة وألف ميلادية استقدمنى الجناب الخديوى، يعنى به إسماعيل

باشا، إلى سرايه بالجيزة ورسم لى بالذهاب إلى الأهرام وتعيين اتجاهاتها واستنتاج كل ما يمكن استنتاجه منها من القواعد العلمية فقمت بالأمر طائعاً وضربت لى مضربا فى جوار الهرم الكبير ولبثت أربعة أيام كاملة كنت أرى فى لياليها النيرة نجومها اللامعة تتلألأ كأنها تحيى بابتسام تلك الآثار العظيمة الدالة على ذلك المجد الإنسانى فلما أمعنت الطرف فى حركات تلك النجوم والكواكب وسيرها استوقف نظرى ضياء ذلك الكوكب المعروف بسيريوس يعنى الشعرى اليمانية الذى هو أعظم كواكب برج الكلب الأكبر وأشرقها ضياء فكنت أرى أن أشعته تنبعث عمودية إلى الوجهة القبلية من الهرم بلا انحراف فجعلت أفكر فى ذلك وأدقق النظر والتأمل حتى ثبت عندى أن هذا الأثر العظيم لابد وأن يكون مقاماً لأحد الآلهة الفلكية وأصحاب المقامات العلوية وهذا الإله على معتقدهم إنما هو نجم الشعرى اليمانية، إلى أن قال، وليس الهرمان الكبيران هما المتجهين فقط تمام الاتجاه للأربع نقط الأصلية بل إن كافة الأهرام الصغيرة وسائر الآثار الجنازية هى كذلك أيضاً مما يدل على أن إنشاءها كان لغرض دينى أشبه بالذى حدا بالأمم الحاضرة إلى بناء مقابر موتاهم على وضع وشكل مخصوص، فإنك ترى عند معاشر المسلمين مثلاً أن وضع اللحد عمودى على اتجاه مكة المكرمة التى فيها بيت الله الحرام بحيث إذا وضعت الجثة على جانبها الأيمن كان وجه الميت متجهاً نحو الكعبة، قال ومما يؤيد أن بناء الأهرام كان لغرض دينى ما يراه الرائى من ميل سائر جهاتها على سطح الأفق بزاوية لا تزيد ولا تنقص عن اثنتين وخمسين درجة ونصف تقريباً وهذا لا يمكن وقوعه أبداً بطريقة الصدفة والاتفاق ولابد أن يكون لهم فيه مآرب ويكون لهذا الوضع العجيب علاقة بأحد الكواكب التى كانت آلهة لقدماء المصريين، إلى أن قال: وأما معرفة سنى الأهرام وما مضى عليها من الأعوام فينحصر فى البحث بين سنة (٢٢٥٠) وسنة (٣٢٥٠) وهو زمن يكون فيه الميل موافقاً ٢٢ درجة و٣٠ دقيقة وبعمل الحساب على مقتضى هذا يتضح أن بناء الأهرام كان سنة اثنتين وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد المسيحى وهذا التاريخ وإن كان على وجه التقريب نظراً لما يحصل عادة من الفرق فى حساب الأميال لكنه موافق لما ذكره معظم مؤرخى العرب مثل الفوضائى وابن عبد الحكم والمسعودى والمقريزى وغيرهم وهم القائلون بأن حدوث الطوفان كان فى القرن الحادى عشر قبل تجسد السيد المسيح وإن الأهرام كان بناؤها قبل الطوفان بثلاثة أو أربعة أجيال.

قال: وربما استند هؤلاء المؤرخون وابن يونس الفلكى فى هذا القول على القصة

المشهورة التى جاء فيها أن بعض المصريين عثروا على ورقة من البابيروس الذى كان قدماؤهم يكتبون عليه فدفعوها إلى راهب قبطى من رهبان دير قلامون ليفك رموزها وكان ذلك حوالى سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية فقال لهم: إن سنتكم هذه توافق سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وأربعة آلاف من بناء الهرم وسنة إحدى وأربعين وتسعمائة وثلاثة آلاف من الطوفان، إلى أن قال، وقد ذكر كل من بونسن والجنرال ويزا أن الزمن الواقع بين منيس ونبكتانيوس هو عبارة عن ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمس وخمسين سنة وأن مدة تسلط الأربع عائلات الأول من ملوك الفراعنة كانت خمسمائة وسبعين سنة وإن انقراض ملك العائلة الرابعة منها كان فى سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألفين للإسكندر وسنة عشر وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد المسيحى، قال ولما كان بناء الهرمين الكبيرين فى أيام الملك كيوبس والملك كفريم وكلاهما من ملوك هذه العائلة يعنى الرابعة التى حكمت مائة وخمساً وخمسين سنة كان بناؤها على مقتضى هذا الحساب فى القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد المسيحى أو فى الخامس والثلاثين على رواية بروكش، قال: وعندى أنه من المحقق الذى لا مراء فيه أن لبناء الأهرام علاقة دينية بنجم الشعرى اليمانية وأنه قد مضى عليها اثنان وخمسون قرنا . اهـ.

ومن قال إنها ابنة خمسة وثلاثين قرناً جماعة من المتقدّمين والمتأخرين أيضاً ممن اجتمعت كلمتهم على أن (منا) الذى هو أوّل ملوك الطبقة الجاهلية هو (مصرايم) المذكور فى التوراة.

ولما كان من الثابت المقرر فى التوراة أن مصرايم هذا هو ولد حام وحام ولد نوح عليه السلام كان من الثابت المقرر أيضاً أن المدّة الواقعة ما بين الخليقة من آدم عليه السلام والطوفان هى ألفان ومائتان وست وخمسون سنة أى قبل مولد المسيح بثلاثة آلاف ومائتين وأربع وأربعين سنة، وقبل هجرة صاحب الشريعة المحمدية بثلاثة آلاف وثمانمائة وست وستين سنة، وكانت الحقيقة هى غير ما ذكره مانيطون ومن حذا حذوه من المتأخرين ومع أن مانيطون عاد فاستدرك فقال: إن ملوك مصر فى سنى الطبقتين الأولى والثانية لم يكونوا جميعاً متتابعين ملكاً بعد آخر بل كانوا كثيرين متعاصرين مع بعضهم فمنهم من كان مستقلاً بحكم إقليم ومنهم من كان منفرداً بمقاطعة ومنهم من كان يحكم بالاشتراك وغير ذلك فإن المتأخرين من أهل التاريخ لما حاروا فى كيفية وأسباب هذا الفرق الجسيم، ولم يجدوا وجهاً للطعن فى صحة ما رواه مانيطون وقوة سنده أوّله بعضهم بأن ديار مصر كانت منقسمة إلى عدة

ممالك، يملكها أمراء متعاصرون من ملوك الطوائف فى كثير من المدد المذكورة وغالط بعضهم أيضاً فقال وإن مانيطون وهم فعدّد كثير من العائلات الملوكية على أنها متتالية بعضها عقب البعض مع إنها كانت متعاصرة، وزعم أصحاب هذا المذهب أنه بينما كانت العائلة الخامسة قابضة على زمام الملك فى جزيرة ايليفنتيين مثلاً كانت العائلة السادسة مستولية فى هذه المدة على سرير الملك بمدينة منفيس.

قلت: وليس عبارة مانيطون المؤرّخ هذه وحدها التى كانت ولم تزل موضعاً للنقد بل هكذا حال التوراة أيضاً إذ قام فى هذا العصر جماعة من علماء التاريخ وآخرون من الكتاب يخطئون ماجاء فيها من أن المدّة الواقعة بين الخليقة والطوفان هى ألفان ومائتان وست وخمسون سنة وأثبتوا أنها أكثر من ذلك كثيراً وقد سلم جماعة من علماء اللاهوت صحة هذا المذهب حتى وفق بعضهم بين هذا القول وبين عبارة التوراة بأن سلسلة الآباء المذكورة فى التوراة غير متصلة وقالوا أنه لم يذكر فيها إلا خاصة الناس دون عامتهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل تطرّف جماعة إلى القول أيضاً بأن أسفار موسى عليه السلام كتبت بعده بأعوام كثيرة بل بعد سبى بابل وأن ما جاء فى التوراة من الحوادث التاريخية الخاصة ببنى إسرائيل أو المنقولة عنهم لا يعوّل عليها كثيراً، ولكن هذا كله لم يغير من صحة التوراة ولم يمس عصمتها التى هى عقيدة أهل الكتابين من إسرائيليين ومسيحيين، على أننا لو وفقنا بين الحوادث التاريخية المذكورة فيها وبين حوادث أيام تلك الطبقات الثلاث التى ذكرها مانيطون وذلك بأن نضم أيام ملك الطبقتين الأولى والثانية التى هى أكثر إشكالاً وتعقيداً بعضها إلى بعض مع اعتبار أن مبدأ ملك الدولة الأولى منها كان بعد الطوفان لصح التوفيق وزال بعض اللبس وكأن هذا المذهب على ما فيه من التعليل أقرب سائر تلك المذاهب إلى الصواب وأبعدها عن الشطط وعليه فإنى مورد هنا ما صح عندى من أسلوب هذا التوفيق غير مشاغب ولا مفضل مذهباً على مذهب فإنى أعلم أنها كلها أحاجىّ ومعميات وإنها لا تزال كذلك حتى تنكشف خبايا تلك الآثار ويظهر لأصحاب العلوم الأثرية ما فيها من الرموز والأسرار، وليس هذا بالأمر العسير فى هذا القرن الذى كاد يبلغ فيه كل علم منتهاه.

أما طريقة الوصول إلى هذا التوفيق فهى أن نضم أيام ملك الطبقتين الأولى والثانية وهى عبارة عن سبع عشرة عائلة كما رتبها مانيطون بعضها إلى بعض ونحسب أن أيام ملكها جميعها تبتدىء من الطوفان وتنتهى إلى ما قبل نزول يعقوب وبنيه على أرض مصر فى أوائل حكم الدولة الثامنة عشرة المتأصلة، فإذا صح لديك

ذلك كانت مـدّة ملك الطبقتين المذكـورتين عبارة عن ألف وثلاثمائة وسـتين سنة لا غير وكان مبدأ ملكها قبل مولد السيد المسيح بثلاثة آلاف ومائتين وأربع وأربعين سنة وقبل هجرة صاحب الشـريعة المحمدية بثلاثة آلاف وثمانمائة وست وسـتين سنة كما يتبين لك ذلك من الترتيب الآتي على ما جاء في التوراة.

سنة	
١٠٧٠	من الطوفان إلى ميلاد إبراهيم الخليل عليه السلام بطريق تسلسل الأجيال
١٠٠	من إبراهيم إلى إسحق ولده عليهما السلام
٠٦٠	من إسحق إلى يعقوب عليهما السلام
١٣٠	من يعقوب إلى مجيء بني إسرائيل إلى مصر
١٣٦٠	

وقد جـاء ما رواه مـانيطون مطابقاً لما نصت عليـه التوراة من أن نزول يعـقوب وبنيه على أرض مصر كان فى أيام الدولة الثامنة عـشرة المذكورة وهى الثانية المتأصلة التى قامت من مدينة طيبة بعد سقوط الدولة السابعة عشرة المعروفة بدولة الهكسوس أو دولة الرعـاة وجـلائهم عن البـلاد فدل ذلك دلالـة واضحـة على أن مـدّة ملك الطبقتين المذكورتين لم تتجاوز قط ألفا وثلاثمائة وستين سنة وليست ألفين وسبعمائة وثلاثاً وعشرين سنة كما رواه بعض أصحاب التاريخ.

أما الطبقة الثالثة وأعنى بها الطبقة الأخـيرة التى تبتدىء من العائلة الثامنة عشرة وتنتهى بالعائلة الحادية والثلاثين على رواية مـانيطون المؤرخ فهذه لما كانت أخبار أيام ملوكها ظاهرة جلية صح أن نقسمها إلى أدوار ستة بشرط انطباق ما وقع فى كل دور منها من الحـوادث والأنباء على مـا جاء فى التوراة وعلى هذا التـرتيب يكون الدور الأول من هذه الأدوار شـامـلاً لأربـع عـائلات من الثـامنة عـشـرة إلى الحـادية والعشرين، ويصح أيضاً تقسيم هذا الدور إلى قسمين:

الأول منها يشتمل على عائلتين اثنتين هما الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أما أيام ملك هاتين العائلتين فكلها تقارن مـدة سكنى بنى إسرائيل أرض مصر تمام المقارنة، قال مانيطون المؤرخ فى كـتابه بعد كلام فأقـام يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد فى أيام أعظم وأقـدر فراعنة المملكة الجديدة . اهـ . قلت يريد بفـرعون هذا الملك طوطومـيس الثـالث أو طوطيـمس الذى تولى الملك بعـد نفى الملوك الرعـاة وإخراجهم من أرض مصر وجاء فى التوراة مـا نصه: وقال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على أرض مـصر، وخلع فرعـون خاتمه وجعله فى يد يوسف وألبـسه ثوب

أرجوان ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا أمامه «اركعوا» وجعله على كل أرض مصر، وقال فرعون ليوسف أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر . اهـ.

ومماجاء أيضاً مؤيداً لصحة ظهور هذه العائلة المتأصلة بعد نفى الرعاة وإخراجهم من البلاد بغض المصريين لسائر رعاة الغنم وكراهتهم لاسم الرعاة واعتبارهم أن كل راع للغنم نجس. وقد جاء فى التوراة من قول يوسف عليه السلام لأهله عند قدومهم إليه بأرض مصر، فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك من أصحاب الماشية منذ صبأنا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً كى تسكنوا أرض جاسان لأن كل راعى غنم رجس عند المصريين . اهـ. وكان خروج بنى إسرائيل من أرض مصر أيضاً فى أيام الملك منفطا الثانى أحد ملوك الدولة التاسعة عشرة التى هى إحدى الدولتين المذكورتين ومنفطا هذا هو ابن سيزوستريس صاحب الحروب المشهورة والفتوحات المأثورة. قال مانيطون المؤرخ: مات منفطا هذا عن ابنة اسمها طوسيرو ابن قاصر اسمه منفطا الثالث ويلقب بأوسير خبرورع ميامون فتزوجت هذه الابنة بعظيم من المصريين اسمه حفطا منفطا فكان يقال له أيضاً فرعون تبعا لها وكان يحكم بالنيابة عنها . اهـ.

ففسر أهل التاريخ أن زواج طوسير المذكورة بذلك العظيم الذى لم يكن من بيت الملك مع أن جدها سيزوستريس كان قد خلّف عدة بنين يدل على حدوث عظيم جداً نجم عنه انقراض سائر أعضاء تلك العائلة الملوكية، قالوا: وهذا حادث إنما هو غرق فرعون وجنوده فى البحر قلت فإذا صح ذلك كانت مدّة مقام بنى إسرائيل فى أرض مصر مائتين وثلاثين سنة وهى مدّة ملك العائلتين المذكورتين وتسلطهما على السواء.

والقسم الثانى منهما يشتمل على عائلتين اثنتين أيضاً وهما العائلة العشرون والحادية والعشرون فهاتان العائلتان وإن لم يقع فى أيامهما من الحوادث شيء يذكر إلا أنه يصح اعتبار مبدأ أيامهما من خروج بنى إسرائيل من مصر إلى حدوث ما حدث من الكوارث فى أيام العائلة الثانية والعشرين التى قامت بعدها هذه العائلة وبناء على ذلك تكون عبارة عن ستمائة وسبعين سنة بالمقارنة على ماجاء فى التوراة حسب الترتيب الآتى:

سنة

٤٠	مدّة مقام بني إسرائيل في البرية
٣٠	رياسة يوشع بن نون على بني إسرائيل
٤٥٠	مدّة قضاة بني إسرائيل على ما في سفر أعمال الحواريين
٠٣٠	مدّة رياسة صموئيل النبي على بني إسرائيل بعد عالي الكاهن إلى ولاية شاول
١٢٠	من ولاية شاول إلى ملك سليمان بن داود عليهما السلام
٦٧٠	

وإلى هذا الحين أى إلى أيام ملك سليمان بن داود عليهما السلام انقسمت السلطنة الإسرائيلية إلى مملكتين أولاهما مملكة إسرائيل ورأسها ياربعام عبد سليمان وهذه لم تلبث أن تلاشت وعفت آثارها وثانيتهما مملكة يهوذا ورأسها راحبعام بن سليمان وهذه قد بقيت تتنازعها الآحن وتتوالى عليها الخطوب والمحن إلى مجىء المسيح ثم تلاشت أيضاً فأصبحت أثراً بعد عين كما أنبأ بذلك يعقوب عليه السلام ولده يهوذا.

إذا علمت ذلك كان مجمل سنى ملك الدور الأول من الطبقة الثالثة على هذا الترتيب تسعمائة سنة لا غير.

وأما الدور الثانى: فيشتمل على ثلاث عائلات من الثانية والعشرين إلى الرابعة والعشرين ومدّة ملكها مائتان وثمان وثلاثون سنة بالتطبيق على مدّة من ملك من ملوك يهوذا من أيام رحبعام إلى موت بوثام كما سترى ذلك مفصلاً فى محله، وقد طابق ما ذكره جماعة المؤرخين من الحوادث والأنباء التى وقعت أيام هذه العائلات الثلاث ما جاء فى التوارة أتم مطابقة من ذلك أن الملك شنشق الأول رأس العائلة الثانية والعشرين التى هى إحدى هذه العائلات وقاعدة ملكها بوبسط بالشرقية المعروفة بتلّ بسطة الواقعة الآن على قيد بعض فراسخ من مدينة الزقازيق قد أجار ياربعام أحد عبيد سليمان بن داود عليه السلام عندما نزل فى جواره هارباً من وجه سيده، وشنشق هذا مذكور فى التوراة باسم شيشق قال بعض أهل التاريخ ونزل ياربعام عبد سليمان بن داود على شيشق ملك مصر مستجيراً فأكرم شيشق مثواه واتفق أن مات سليمان عليه السلام بعد ذلك بقليل فتولى الملك بعده ابنه رحبعام فلم يستو على سرير الملك حتى خرج عن طاعته عشرة أسباط من بنى إسرائيل لأسباب لا محل لإيرادها هنا وسيروا فى طلب ياربعام عبد سليمان عليه السلام فسار إليهم فأحسنوا لقاءه وولوه الملك وسموه ملك إسرائيل فتجرد رحبعام عند ذلك لقتاله

وركب عليه فى جيش عظيم من سبطى يهوذا وبنيامين فأرسل ياربعام إلى شيشق ملك مصر يستنجده على قتال رحبعام فسار شيشق لنجدته فى جيش ضخم وألف ومائة مركبة حربية وقاتل رحبعام قتالاً عنيفاً للغاية وفتح مدن يهوذا ونهب خزائن بيت المقدس وبيت الملك وأخذ تروس الذهب التى كان عملها سليمان عليه السلام وعاد إلى مصر ظافراً غانماً ونقش تاريخ هذه الغزوة على جدران هيكل الكرنك وكتب عليه يهوذا ملكى، يعنى أن مملكة يهوذا صارت فى قبضة يده، أما بيان سنى ملك هذه العائلات الثلاث التى هى عبارة عن مائتين وثمان وثلاثين سنة كما تقدّم لك ذكره فهى على الترتيب الآتى ممن ملك على يهوذا كما هو مذكور فى التوراة

سنة	
١٧	مدّة ملك راحبعام
٠٣	مدّة ملك إبيا
٤١	مدّة ملك آسيا
٢٥	مدّة ملك بوشافاط
٠٨	مدّة ملك يورام
٠١	مدّة ملك احزيا
٦	مدّة ملك عليا
٤٠	مدّة ملك يواش
٢٩	مدّة ملك أموصيا
٥٢	مدّة ملك عذريا
١٦	مدّة ملك يوثام
٢٣٨	

وأما الدور الثالث: فينحصر كله فى العائلة الخامسة والعشرين السودانية ولا يتعداها ومدة سنى هذا الدور إحدى وعشرون سنة لا غير وهى عبارة عن المدة الواقعة من ملك أحاذ الذى تولى على يهوذا بعد يوثام إلى ملك حزقياً حسب البيان الآتى:

سنة	
١٢	مدّة تملك أحاذ على اليهودية قبل تملك هوشع على مملكة إسرائيل
٠٤	مدّة تملك أحاذ على اليهودية بعد تملك هوشع على مملكة إسرائيل
٠٥	مدّة تملك حزقيا الذي تولى بعده أحاذ المذكور
٢١	

ومن الحوادث التاريخية التى وقعت فى أيام هذه العائلة وجاءت مذكورة فى التوراة أيضاً أنه لما قام شلمناصر ملك آشور على هوشع ملك إسرائيل المذكور وكان هوشع معاصراً للملك سيواس فرعون المذكور فى التوراة باسم سواء وهو أخو الملك سباقوس الحبشى الذى دوّخ ديار مصر وتولى ملك الفراعنة قسراً بعد حروب وخطوب أتينا على شرحها فى ترجمته أرسل هوشع ملك إسرائيل إلى سواء ملك مصر يستنجده ويستحثه فأبطأت النجدة وركب شلمناصر على هوشع فى عسكر جرار وقاتله وظفر به وقبض عليه وسجنه فجعل هوشع يستغيث بسواء الملك فلم يغثه لعدم تمكنه من ذلك وقالت التوراة فى هذا المقام ما نصه، وفى الثانية عشرة لاحاذ ملك يهوذا تولى هوشع بن أيلة على السامرة على إسرائيل تسع سنين وعمل الشر أمام الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله وصعد عليه شلمناصر ملك أشور فصار له هوشع عبداً ودفع له جزية ووجد ملك أشور فى هوشع خيانة لأنه أرسل رسلاً إلى سواء ملك مصر ولم يؤد جزية إلى ملك أشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك أشور وأوثقه فى السجن وصعد ملك أشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين وسبى شعب إسرائيل إلى أشور . اهـ.
قلت: وكان خراب مملكة إسرائيل وزوالها تماماً بعد هذا التاريخ.

وأما الدور الرابع: فمبدؤه العائلة السادسة والعشرون التى قام على رأسها بسماتيكوس الأوّل المشهور بحب العلوم وتوسيع نطاق المعارف والآداب وهو الذى فى أيامه اتسع نطاق استعمال الكتابة بالحروف الأبجدية ومدة سنى هذا الدور مائة وثلاث وعشرون سنة وأشهر على ترتيب سنى من عاصرها من ملوك يهوذا الآتى بيانهم بعد:

شهور	سنين	
٠٠	٢٤	مدّة ملك حزقياً خلاف الخمس سنوات التي كان يعاصر فيها الدور الثالث
٠٠	٥٥	مدّة حكم منسا بن حزقيا
٠٠	٠٢	مدّة حكم آمون بن منسا
٠٠	٣١	مدّة حكم يوشيا بن آمون الذي قتله فرعون نخو
٠٣	٠٠	مدّة حكم يهويا حاذ بن يوشيا الذي خلعه فرعون نخو
٠٠	١١	مدّة حكم الياقيم بن يوشيا الذي ولاه فرعون نخو
٣	١٢٣	

ومن الحوادث التاريخية التى جاءت فى التوراة مثبتة مطابقة هذه المدة على الوجه المشروح لمدة الدور الرابع المذكور: حادثة نخاوس بن بسماتيكوس رأس هذا الدور، ومحصلها إنه لما كان نخاوس هذا ميالا كأبيه إلى تحسين أحوال الرعية بتوسيع نطاق التجارة عمد إلى فتح البلاد وركب فى عسكر جرار وزحف على يهوذا وقاتل يوشيا ملكها وضيق عليه وما زال حتى قتله وفتح مدائنه وتملك عليها من البر والبحر فبايع بنو يهوذا يهوياحاز ولد يوشيا بالملك واجتمعوا تحت رايته فأغضب ذلك نخاوس فرعون المذكور وركب من فوره فى عسكره على يوشيا وحاربه وظفر به وخلعه وذلك عند رجوعه من غزوة بابل وولى مكانه أخاه الياقيم وضرب الخراج على شعب يهوذا فى كل عام مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب واستصحب يهوياحاذ إلى مصر أسيراً فبقى بها حتى مات قالت التوراة، وفى أيامه يعنى فى أيام يوشيا هذا، صعد فرعون نحو ملك مصر على ملك آشور إلى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله فى مجدو حين رآه وأركبه عبيده ميتاً من مجدو وجاءوا به إلى أورشليم ودفنوه فى قبره فأخذ شعب أرض يهوذا يهوياحاذ ابن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضاً عن أبيه وكان يهوياحاذ ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر فى أورشليم واسم أمه حموطل بنت أرميا بن لبنة . اهـ.

وأما الدور الخامس: فمبدؤه أواخر سنى العائلة السادسة والعشرين أى أوائل ملك بسماتيكوس الثانى الذى حارب النوبة وأبلى فى قتالها بلاء حسناً، ومات فقام بالأمر بعده ابنه فرعون خفرع الذى يقال له أيضاً وح أبرع.

قال أصحاب التاريخ: وكان فرعون هذا معاصراً لصدقيا ملك يهوذا الذى وقع خراب أورشليم وسبيها إلى بابل فى أيامه بإغارة بختنصر ملك بابل وإن صدقيا أرسل إلى فرعون خفرع المذكور يستنجده على قتال بختنصر فلم يفلح وسقط صدقيا فى يد بختنصر، قال الله تعالى على لسان نبيه أرمياء الذى كان على عهد سبى بابل هكذا قال الرب ها أنا ذا أدفع فرعون خفرع ملك مصر ليد أعدائه وليد طالب نفسه كما دفعت صدقيا ملك يهوذا ليد بنوخز نصر ملك بابل عدوّه وطالب نفسه. اهـ.

قال أهل التاريخ: وقد تم ما أنبأ به نبى الله أرمياء حيث انتقض على (فرعون خفرع) عسكره وشقوا عصا طاعته عند عودته من حروبه مع القيروان ثم خلعوه وملكوا عليهم جندياً اسمه أماسيس ويقال له أيضاً أحعمس فسار أحعمس هذا مع هؤلاء الخوارج لقتال وح أبرع ولم يكن مع وح أبرع فى ذلك الحين سوى بعض الجنود الأجنبية التى كانت فى خدمته وهى زهاء ثلاثين ألفاً فلما التقى الجمعان عند

مدينة صا الحجر اقتتلا قتالاً عنيفاً فكانت الدائرة على جنود وح أبرع ووقع فى قبضة أحمعس فحبسه فى قصره قال هيرودوتس فلم تلبث الجنود بعد ذلك أن طلبته من أحمعس وشددت فى طلبه فدفعه إليهم فقتلوه فى الحال واستقل أحمعس بالملك واتسعت كلمته وخضع لحكمه أهالى جزيرة قبرص ثم مات فتولى الملك بعده بسماتيك الثالث فلم يستقر به المنصب حتى زحف ملك فارس على أرض مصر فى عسكر جرار فخرج بسماتيك لقتاله فى عدة وافرة من الجنود المصرية واليونانية الذين كانوا فى خدمته فلما التقى الجمعان واشتد القتال هجمت جيوش بسماتيك على جيوش كمبيز ملك فارس وكان كمبيز قد وضع فى مقدمة جيوشه كثيراً من السنانير والبزاة وغيرها من الحيوانات التى كان يعبدها المصريون فلم يجسروا على القتال ولم يرموا بسهامهم على عدوّهم مخافة أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة فجفلوا ورجعوا القهقرى وسقط بسماتيك فى قبضة كمبيز فقتله بعد أمور قد أتينا على ذكرها مفصلة فى ترجمته وبسقوط بسماتيك هذا زالت دولة الفراعنة وانثلّ عرشها وتقلص ظل ملكها من هذه الديار فأصبحت من هذا الحين ولاية تابعة لمملكة كمبيز ابن كورش ملك فارس (**قلت**) وقد ورد فى التوراة أن الله أوحى إلى حزقيال النبى عند سبى بابل وخراب أورشليم أنه لا يكون بعد اليوم رئيس من أرض مصر وألقى الرعب فى أرض مصر ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ فإنه لم يقم من ذلك الحين رئيس على مصر من أهلها إلى يومنا هذا.

وقد عدّ أهل التاريخ هذه الدولة الفاتحة الغاصبة في عداد الدول المالكة باعتبار أنها السابعة والعشرون بعد السادسة والعشرين المصرية المتأصلة فإذا صح لديك ذلك كان إدخالها أيضاً فى دائرة الدور الخامس على مقتضى الترتيب المتقدم بيانه لازماً مع ما يدخل معها في هذا الدور أيضاً من بقية الدول الأخرى المتممة له كالدولة الثامنة والعشرين الصاوية والدولة التاسعة والعشرين الأشمونية والثلاثين السمنودية والحادية والثلاثين الفارسية التي انقرضت بإغارة الإسكندر المقدونى على البلاد أما سنو ملك هذه العائلات فمائتان وثلاث وثلاثون سنة على مقتضى التنسيب الآتى للحوادث التاريخية المذكورة فى التوراة.

سنة	
١١	مدّة تملك صدقياء على يهوذا وهو الذي وقع خراب أورشليم وسبي بابل في أيامه
٢٧٢	المدة من سبي بابل إلى ظهور الإسكندر المقدوني
٢٨٣	

بقي علينا الآن أن نأتي على ذكر الدور السادس الذى هو آخر ما رتبناه من هاتيك الأدوار وبيان عدد ما يدخل فيه من الدول التى تولت الملك وسنى ملك كل منها تتميما لحساب هذه القاعدة التى اخترناها للتوفيق بين ما جاء فى التوراة وما جاء في التاريخ، فنقول إذا صح ما تقدم بيانه وكان هذا الترتيب غير معيب فى شىء كان إذن مبدأ الدور السادس المذكور ظهور الإسكندر المقدونى وكان هذا الدور مشتملاً على دولتين لاغير أولاهما: الدولة البطليموسية وثانيتهما: الدولة الرومانية أو اللاطينية المعروفة فى حساب أهل التاريخ بالدولة الرابعة والثلاثين وهى الدولة التى ولد فى أيامها السيد المسيح وكانت مدة ملك هاتين الدولتين ثلثمائة وتسع عشرة سنة على الترتيب الآتى:

سنة	
١٢	مدّة ملك الإسكندر المقدوني
٢٧٥	مدّة ملك الدولة البطليموسية
٣٢	مدّة ملك الدولة الرومانية أو اللاطينية
٣١٩	

فإذا جمعت سنى ملك كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث إلى بعضها على ما رتبناه من الأدوار ظهر لك أن المدة الواقعة من عهد الملك (منا) رأس العائلة الملوكية الأولى الذى يسميه بعض أهل التاريخ مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام أو من الطوفان إلى مولد السيد المسيح ثلاثة آلاف ومائتان وأربع وأربعون سنة ولم تتجاوز الأربعة آلاف سنة كما قاله جماعة من المؤرخين المتقدّمين والمتأخرين وإن أنكروا أن مصرايم هو (منا) وإذا علمت ذلك فالوقوف عند حد بعض هذه الاحتمالات والفروض الثلاثة التى ذكرناها أو تفضيل بعضها على بعض والأخذ به دون الآخر ترجيح بلا مرجح ولذلك لم أورد ما أوردته من المقارنة والتطبيق بين ما جاء فى التوراة وما جاء فى كتب التاريخ القديمة على ماتقدّم بيانه انتصارا لمقالة على أخرى ولا حذف حجة للترغيب فى تفضيل مذهب على آخر لأنى أعلم أنها كلها آراء لم يثبت منها لغاية الآن شىء ولا صحت بها دعوى ولكنى حرصت على أن لا تفوت محبى التاريخ معرفة هذه النبذة أيضاً فذكرتها غير كاتم ما فى نفسى منها ولا ساتر رأيى فيها فلا أنا داع إليها ولا ناه عن الأخذ بها.

واعلم أن المصريين كانوا قبل عهد الملك بسماتيك يزعمون أنهم أقدم شعب على وجه البسيطة قال هيرودوتس: لما تولّى بسماتيك الملك عمد إلى معرفة حقيقة هذا الزعم وكان يظن أن الفريجيين أقدم شعب ويتلوهم المصريون قال: وكانت

أبحاثه إلى ذلك الحين لم تكف لمعرفة الحقيقة فأخذ طفلين رضيعين وسلمهما إلى راع يربيهما مع عنز ورسم له أن يضعهما فى بيت لا يدخل أحد عليهما إلا العنز لترضعهما فى وقت معلوم وأن يتفرغ عن كل أشغاله وقت إرضاعهما وقصد بذلك أن يعرف ما هى أوّل كلمة ينطقان بها متى صارا قادرين على الكلام فلما مضى عليهما سنتان دخل الراعى يوماً وقد فتح باب البيت فزحف الولدان نحوه وصرخا بيكوس ومدا إليه أيديهما فاستكان عند ذلك ليرى ما يكون بعد هذه اللفظة فصار كلما دخل عليهما يصرخان بيكوس فاعلم الملك بالقصة فرسم باستحضارهما فلما حضرا وسمع منهما تلك اللفظة استخبر عن الشعب الذى يستعمل كلمة بيكوس وما معناها فقيل له أن الفريجيين يسمون الخبز بهذا الاسم قال هيرودوتس فلذلك تنازل المصريون للفريجيين عن إدعاء الأسبقية (قلت) ولعلها خرافة رووها عن هيرودتس بعادات المصريين وأخلاقهم وأعيادهم وقدرة آلهتهم وكهنتهم وسحرتهم وغير ذلك مما اعتاد هذا المؤرخ العظيم الإسهاب وبسط الكلام فيه ومع ذلك فإن هذه الرواية على ما فيها من الخلط تؤيد ما قلناه من أنه لم يتيسر لقدماء المصريين أن يعرفوا من أين جاء آباؤهم ولا مبدأ تأسيس مملكتهم ولا من أين وصلت إليهم مادة هذا التمدّن العجيب ولذلك لم يجزموا بشىء من هذا كله بل بنوا كل ما قالوه فى هذا الباب على فروض واحتمالات اجتمعت كلمتهم على بعضها واختلفت فى البعض فتبعهم فى ذلك أصحاب التاريخ من المتقدمين والمتأخرين غير مبالغين فى النقد لضعف سندهم وعجزهم عن تفنيد البرهان بالبرهان ودحض الحجة بأقوى منها وكان ما اجتمعت عليه كلمتهم ولم يختلف فيه منهم اثنان قولهم إن (منا) هو أوّل مؤسس للمملكة المصرية وأنه رأس العائلة الأولى من الطبقة الأولى إحدى الطبقات الثلاث التى رتبها مانيطون فى جدوله فعلى مقتضى هذا الترتيب نأتى هنا بذكركل دولة من الطبقات الثلاث المذكورة وذكر أخبار كل ملك منها على التعاقب وبالله سبحانه وتعالى البداية ومنه تبارك وتعالى الهداية.



الكتاب الأوّل

(فى ملوك الطبقات الثلاث وفيه أبواب)

الباب الأول

(فى الطبقة الأولى أو الطبقة العليا)

كان مبدأ هذه الطبقة على ما رواه جماعة المؤرخين سنة خمسة آلاف وأربعة قبل الميلاد المسيحى أى سنة ست وعشرين وستمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية وهى تبتدى بالملك (منا)، وتنتهى إلى الدولة الحادية عشرة الطينية وسنو ملكها ألف وتسعمائة وأربعون سنة.

الفصل الأول

(فى العائلة الأولى الطينية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة خمسة آلاف وأربعة قبل الميلاد المسيحى أى سنة ست وعشرين وستمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية وسنو ملكها ثلثمائة سنة وخمس سنين وعدة ملوكها تسعة أولهم الملك(منا) أومناوس الذى قالوا باحتمال أنه (مصرايم) المذكور فى التوراة.

فى الكلام على الملك منا

هو أوّل ملوك مصر وأوّل مؤسس للمملكة المصرية بعد دولة الحورشسو وأصله من مدينة طينة وهى بلدة كانت على مقربة من العراية المدفونة بجوار جرجا ولما استخلص (منا) المذكور الملك من أيدى الكهنة واستقل بحكم البلاد هاجر من مدينة طينة المذكورة لميل أهلها إلى الكهنة وأقر رؤساء القبائل على ما هم عليه من قبل وأسس مدينة منف التى موقعها الآن البدرشين وميت رهينة وهما من أعمال مديرية

الجيزة وجعلها تخت ملكه وحوّل إليها النيل إلى مجراه الذى هو عليه الآن. قال ديودور الصقلى: وكان النيل يجرى بصحراء ليبيا وأصلح أحوال الرعية بتحسين أحوال الزراعة. قال هيرودوتس: كانت الإصلاحات التى أحدثها بمدينة منف سبباً فى عمارتها وتخطيط المدن بأرجائها وشيد فيها هيكلاً لمعبودها (بتاح) أى المفتاح فصارت منف مركز المدنية والتمدن والعلوم والمعارف إلى عصر اليونان ثم أدخل سكان ليبيا تحت الطاعة بعد أن غزاهم قال مانيطون: وبعد موته اتهم أنه غير عادة أسلافه من الزهد بميله إلى الترف ووضع الطعام على الموائد وتناوله الطعام مضطجعاً على سرير. قال ديودور: واقتدت به الملوك من بعده فلما تولى الملك نفتحت أحد ملوك الدولة الرابعة والعشرين أنكر عليه هذه العادة الذميمة والبدعة السيئة إذ هى موجبة للجبن والخمول وأمر بنقش كلام عتها فى حجر هجا فيه (منا) ووضعه فى معبد آمون بطيبة. وقال مانيطون: أنه لما تغلب الملك (منا) على طائفة الكهنة ونزع الحكم من أيديهم بالقهر والغلبة نسبوا إليه سوء العاقبة، وقالوا إنه ابتلعه تمساح البحر بعد أن حكم ستين وقيل اثنتين وستين سنة وكان الملك (منا) المذكور معظما فى قومه مهيباً عندهم حتى إنهم عبدوه وقدّموا له الذبائح والبخور واستمروا على عبادته فلما مات خلفه ابنه أثوتيس.

فى الكلام على الملك أثوتيس
(ومن ملك بعده من هذه العائلة)

تولى هذا الملك بعد أبيه ويقال إنه لبث عاملاً على مصر العليا والصعيد ثلاثين سنة فى حياة أبيه وهو الذى زين مدينة منف وحسنها وبنى فيها الهياكل والقصور المشيدة واشتغل بعلم التشريح وألف فيه رسالة استمدّ منها أطباء قدماء المصريين، قال صاحب العقد الثمين وهى التى تجددت كتابتها فى عهد رمسيس الثانى وعنوانها مكتوب فى الصحيفة الخامسة عشرة فى كتاب الأموات ونصه.

هذا أوّل مجموع فى التذاكر الطبية النافعة لمعالجة البرص قد نقل من صحيفة قديمة وجدت داخل محبرة تحت تمثال أنوب فى مدينة ليتوپوليس.

قال: وكان وجودها فى عصر الملك سيتى الذى هو الخامس من هذه العائلة حسب ترتيب الآثار وحيث إن بينه وبين الملك تتا (يعنى أثوتيس) ملكين فهذا يثبت للملك تتا المذكور معرفة علم الطب والتشريح ولعظم فائدة هذه الرسالة نقلت إلى الملك (سندا) المندرج اسمه فى جدول العائلة الثانية.

ومات الملك أثوتيس فقام بالأمر بعده كنكنيس ولم يعلم المؤرخون من أخباره شيئاً يذكر، ومات بعد أن حكم إحدى وثلاثين سنة، فقام بالأمر بعده (ونيفس) الأوّل. وفى أيام هذا الملك حصلت بمصر مجاعة عظيمة جداً ومن أعماله الهرم الموجود على شمالى الهرم المدرّج بسقارة وهو المعدّ قديماً لدفن ما كان يعبد من الثيران فى أيامه، قال صاحب العقد الثمين وقد استكشف هذا الهرم البارون فون مينونولى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وألف ميلادية فوجده موضوعاً على خلاف وضع الأهرام لعدم اتجاه أركانه إلى النقط الأربع الأصلية وله أربعة أبواب وبداخله حجرات. قال فإن صح ذلك كان هذا الهرم أوّل هرم بنى فى مصر. اهـ.

ومات ونيفس المذكور بعد أن حكم ثلاثاً وعشرين سنة، فقام بالأمر بعده ونيفس الثانى ولم يذكر المؤرخون من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة، ثم قام بالأمر بعده (سيتى) وهو الذى وجدت فى أيامه الرسالة الطبية التى ألفها الملك أثوتيس المكتوبة فى الباب الرابع والستين من كتاب الأموات، وهى من ضمن الرسائل الطبية المشتملة عليها الصحيفة القديمة الموجودة فى برلين كما رواه صاحب العقد الثمين ولم يذكر المؤرخون لهذا الملك شيئاً من الأخبار ومات بعد أن حكم عشرين سنة، فقام بالأمر بعده مية بيدوس ولم يعلم أيضاً من أخباره شىء ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة، فقام بالأمر بعده ميسس وهو حفيد الملك سيتى وفشا فى أيام هذا الملك فى البلاد الوباء ففتك بالخلق فتكا ذريعاً ثم قامت فتنة عظيمة فاختلّ نظام البلاد وعكف الناس على ارتكاب المعاصى واستفحل أمر الفتنة فمات فى أثنائها الملك ميسس بعد أن حكم ثمانى عشرة سنة، فقام بالأمر بعده (ببه ننحس) وقد تولى الملك فى خلال الفتنة وانتشار الخلل فزاد الهيجان بتوليته واشتدت الفتنة وعظمت ولم تنطفىء نارها إلا بزوال العائلة الأولى هذه وبموت ببه ننحس المذكور الذى هو تاسع ملوكها وآخرهم فقامت بعدها العائلة الثانية المعروفة بالطينية.

الفصل الثانى
(فى العائلة الثانية المعروفة بالطينية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة فى سنة أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وخمسين قبل الميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها ثلاثمائة وستون سنة وعدة ملوكها تسعة وهم الآتى ذكرهم بعد، قال جماعة الكتاب ويقال: إن بين هذه العائلة وبين الملك (منا) أول مؤسس للمملكة المصرية قرابة

متـواصلة ولكنه لم يقم من الأدلة ما يثبتهـا ولم يوجد فى النقـوش الأثرية لهؤلاء الملوك شيء سـوى أسـمـائهم وكـان أول ملوك هذه الـدولة (الملك بوثوس)، قـال مـانيطون المؤرخ المصرى لما استـولى الملك بوثوس على ملك مـصر نزل رجـز من السمـاء على مدينة بوبست المعروفة الآن بـتل بسطه خسف بها الأرض وأهلك فيـها خلقاً كثيراً. اهـ.

ولم تذكر جمـاعة الكتاب من أخباره أو آثـاره شيئاً ومات بعـد أن حكم ثمانياً وثلاثين سنة، فـقام بالأمر بعـده (كايه خـوس) وفى أيامه عكف الناس على عـبادة الحيوانات فعبدوا الثور أبيس بمدينة منف والثور منيفس بالمطرية والحمل المقدس بمدينة تمى الأمديد. قـال صاحب العقد الثـمين وذلك ما دلت عليه النقـوش التى وجدت داخل مقابر منف بسقاره . اهـ.

ومات (كايه خوس) المذكور بعد أن حكم تسعاً وثلاثين سنة (فقام) بالأمر بعده بنيوثريس ومن أعـماله أنه سن قانوناً أجـاز به للنساء الحكم وورّثهن فى الملك كـيلا يخرج الملك من بيته (قال ده روچيـه) وحاصل ما فى هذا القانون أن الملك إذا مات وكان له أولاد ذكور كانوا أحق بالملك وإن لم يكن له ذكـوراً أو كانوا انقرضوا كان الحق فى الملك لبناته. اهـ.

(وقال ماسبرو) فى ذلك ما مؤداه أن كل ملك توفى عن زوجة ولم يعقب ولداً أو كان ولده قـاصرا تولّت الملك من بعده زوجـته بشرط أن لا تتـزوّج فإن تزوّجت بغيـره ممن ليس له الحق فى الملك لا يجـوز لزوجها هذا أن يكون ملـكاً وإنما يجوز لذريته منها أن يعطى لهم منصب الملك ولقب الفراعنة. اهـ.

وقد أجاز الملك بـنيوثريس فى قانونه المذكور أن سلطة الملوك علـى الرعية حق مفروض عليهم أداؤه بالنيابة عن المعـبودات؛ وبالغ فى هذا الأمر جداً حتى زعم أن دمه الذى فى عـروقه من دمـاء المعبـودات ولذلك جعل لنفـسه السلطة على جـميع صنوف الرعية ولقب نفسه بابن الشمس التى هى أعظم المعبودات ليثبت القرابة لنفسه ولمن يأت بعده بالمعبودات فسـرى هذا الزعم منه إلى جميع الملوك المصريين إلى أيام الرومان ومن هذا الحـين صارت الرعيـة لا تستخف بالملوك ولو ضـعفت شوكـتهم وذلك لخصائصـهم القدسية وقرابتهم من المعـبودات فإنه إن زالت عنهم دولة الحكم بقيت لهم حرمة التقـديس، وأخذ المصريون من هذا القانون أن كل من أراد تأسيس عائلة غـير ملوكية ووصلهـا بالعائلة الملوكيـة التى قبلها فليـتزوّج من بنات الملوك أو يأخذ منهن لأولاده فيـتم له وصف القرابة بينهما كـما دلت على ذلك الآثار (ومات

الملك بنيوثريس) المذكور بعد أن حكم سبعاً وأربعين سنة(فقام)الأمر بعده (طلاس) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئاً (ومات) بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالأمر بعده الملك ستنس (قال مانيطون) المؤرخ المصرى كان الملك الخامس من هذه العائلة المدعو ستنس واسع العلم، كبير المعرفة، فكان لذلك محترمًا إلى عهد اليونان، وقد أتم الرسالة الطبية التى وجدت فى مدينة سخم المعروفة عند اليونان باسم ليتوبوليس (ومات) بعد أن حكم إحدى وأربعين سنة، ومعنى ستنس باللغة القديمة المهول (ثم قام) بالأمر بعده خايرس ولم تذكر عنه جماعة الكتاب شيئًا (ومات) بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالأمر من بعده الملك نفرخرس وهو السابع من ملوك هذه الدولة. قال مانيطون: وقد حلا فى عصر هذا الملك ماء النيل حتى صار عذباً كالعسل وبقى على هذا الحال أحد عشر يوماً ومات نفرخرس المذكور بعد أن حكم خمساً وعشرين سنة، فقام بالأمر بعده الملك سيسوخريس وهو ثامنهم. قال مانيطون وكان هذا الملك طويل القامة جداً، ونقل صاحب العقد الثمين عن علماء القلم المصرى القديم أن مقبرة (توت حُتب) الموجودة بمنف وتمثال (سبا) المحفوظ بمتحف باريس هما من آثار هذه العائلة لأنه يظهر من نقوشهما وصناعتهما وتصاويرهما أنهما من صناعة الحالة الأولى لكونهما أقل اتقاناً من صنائع المتأخرين (ومات) سيسوخريس المذكور بعد أن حكم ثمانياً وأربعين سنة (فقام) بالأمر بعده خينه رس وهو آخر ملوك هذه الدولة ولم تذكر أصحاب التاريخ من مآثره شيئاً (ومات) بعد أن حكم ثلاثين سنة وبموته انقرضت هذه الدولة التى هى من نسل الملك (منا) على ما رواه بعض أصحاب التاريخ الذين قالوا أيضاً أن الملك منا المذكور وإن كان قد أخضع لحكمه جميع القبائل القاطنة فى وادى النيل وأدخل تحت طاعته جميع رؤساء الأقسام بشرط أن يكون الحكم متوارثاً بينهم وبين ذريتهم إلا أنه لم يتمكن من جعل أهل مصر أمة واحدة وما زالت كذلك إلى أن تغلبت عليها ذريته فاختلطت القبائل بعضها ببعض وتألفت وصارت أمة واحدة واشتهرت بالأمة المصرية، قيل وقد كان فى عصر هاتين العائلتين عائلات أخرى معاصرة ومشاغبة لهما ولبثوا كذلك إلى أن أطاعوا ودخلوا تحت حكم ملوك الدولتين (قال) صاحب العقد الثمين ولذا نجد أسماء بعض الملوك منقوشة على ألواح حجرية لم يذكرها مانيطون فى جدوله فلابد وأن تكون من تلك العائلات المضادّة لذرية منا . اهـ . وبانقراض العائلة الثانية المذكورة على وجه ما تقدم قامت بعدها العائلة الثالثة المنفية.

الفصل الثالث

(فى العائلة الثالثة المعروفة بالمنفية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة تسع وأربعين وأربعمائة وأربعة آلاف قبل الميلاد أى سنة إحدى وسبعين وخمسة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وأربع عشرة سنة وعدة ملوكها تسعة أولهم الملك نخروفس. (قال) أصحاب التاريخ كان منشأ هذا الملك بمدينة منف وهو رأس العائلة الثالثة ولم يستقرّ به المنصب حتى قامت الفتنة فى البلاد واتصلت بسكان صحراء ليبية الداخلة تحت طاعة ملوك مصر من عهد الملك (منا) فسير لقتالهم عسكرا فالتقى الجمعان فى ليلة مقمرة فخيل لسكان الصحراء أن دائرة القمر تغير شكلها المعهود فخافوا وظنوا أن الله غضب عليهم لخروجهم على الملك نخروفس فبادروا بالطاعة له وانحسمت الفتنة واستتبّ الأمن وتوطد وأخذت البلاد فى الترقى فانتشرت العلوم واتسع نطاق الصنائع والفنون وما زالت تترقى فى أيامه حتى مات بعد أن حكم ثمانى وعشرين سنة كما رواه مانيطون المؤرخ فقام بالأمر بعده توسورثرس فحذا حذوه فى بث العلوم والصنائع فأحسن فن الكتابة وأتقن صناعة قطع الحجر ونحته وكان ماهراً فى علم الطب كالملك (تتا) وألف فيه كتبا تداولها الناس فى القرن الأول من التاريخ المسيحى ثم مات بعد أن حكم تسعاً وعشرين سنة فقام بالأمر بعده الملك تره يس ولم تذكر له جماعة الكتاب شيئاً ومات بعد أن حكم سبع سنين، فقام بالأمر بعده الملك سسوخريس ولم تعلم جماعة الكتاب من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالأمر بعده الملك سوفيس ولم يعلم من أخباره شيء ومات بعد أن حكم ست عشرة سنة، فقام بالأمر بعده الملك تسرتاريس ولم يعلم من أخباره شيء ومات بعد أن حكم تسع عشرة سنة، فقام بالأمر بعده الملك أخس ولم يعلم من أخباره شيء ومات بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة (فقام) بالأمر بعده الملك سفوريس ولم يعلم من أخباره شيء يذكر ومات بعد أن حكم ثلاثين سنة (فقام) بالأمر بعده الملك كرفريس وهو آخر ملوك هذه العائلة. قال مانيطون المؤرخ وفى أيام ملك هذه العائلة زادت ثروة المملكة وكثرت عماراتها (قال) صاحب العقد الثمين فمن تلك المبانى أبو الهول الموجود الآن بين الهرمين بالجيزة ويسمونه حورمخى أى شمس الأفقين يعنون بذلك الشمس وقت شروقها وغروبها وهما الوقتان اللذان كانوا يعبدونه فيهما وصورته على شكل سبع له رأس آدمى إشارة إلى القوة والعقل وبهذه المثابة جاز لهم أن يرمزوا به لكل ملك ذى قوة وتدبير حكم مصر ولذا ترى فى المتاحف والبرابى والهياكل وغيرها كثيراً من الملوك المصورة أجسامهم على هيئة سبع مع إتقان

وجوههم ودقة هيآتهم الأصلية ومن هذه التماثيل ما هو كبير وصغير وأكبرها أبو الهول الموجود بين أهرام الجيزة ومنها الهيكل الموجود بالجهة القبلية من أهرام الجيزة ويعرف الآن بالكنيسة وهو من بدائع عصرهم ومحاسن صنعهم لكونه مبنياً بالحجر الصوّان المنحوت والجبس العظيم ومنها أيضاً جملة محاريب ومقابر بتلك الجهة كان سكان منف يدفنون فيها موتاهم خشية الغرق وكانت تلك المقابر تبعد عن منف بخمسة آلاف متر من الجانب الغربى، وكان أغلب فقرائهم يدفنون موتاهم فى لحود على عمق متر واحد والمتوسطون يدفنون فى ضريح مربع مبنى بطوب أصفر غير متقن ولا يضعون معهم شيئاً سوى أوان من الفخار بجانب الجثة فيها طعام معد لغذاء الميت وقت بعثه يوم القيامة حسب اعتقادهم، وأما الأغنياء فكانت مقابرهم تتركب من ثلاثة أجزاء أولها حجرة ظاهرة منقوشة بأنواع النقوش والتصاوير المتقنة إما قليلاً أو كثيراً على قدر ميسرة أربابها وكانت هذه الحجرة معدّة لاجتماع أقارب الميت فيها وقت زيارة القبور. وثانيها حجرة صغيرة رأسية مفتوحة الفوهة فى حجرة أخرى من حجرات المقبرة. وثالثها حجرة أو عدة حجرات أخر فى أسفل الحجرة الصغيرة وهى المعدة لوضع جثة الميت فيها ولا يجوز لأحد أن يدخلها، وبعض الناس يصنعون مقابرهم بكيفية أخرى فينحتون فى الجبل آباراً عميقة فيها منامة أو جملة منامات معدة لمواراة الموتى وأهل هذه الطبقة يضعون موتاهم فى توابيت على هيئة الإنسان عارية عن الرسوم ومصنوعة من جملة قطع ويثبتونها بمسامير من خشب ويكتبون فوقها ما معناه (أنت فلان ابن السماء وخلقة الأرض)، وفى عصر العائلة الحادية عشرة جعلوا يدهنون وجه التابوت باللون الأصفر أو الأبيض أو الأسود ويصوّرون فوقه المعبودتين (أزيس ونفتيس) راكعتين وأجنحتهما على التابوت وفى عصر العائلة الثامنة عشرة كانوا يلونون التوابيت من باطنها وظاهرها بالسواد ويجعلون الوجه أحمر ذهبياً ويرسمون على الصّدر صورة عقاب وفى عصر العائلة التاسعة عشرة إلى الحادية والعشرين كانوا يدهنون توابيتهم بالطلاء المعروف بالورنيش الذى فى لونه صفرة ويبالغون فى إتقان التصاوير دون النقوش وكانوا يضعون الموميا الصغيرة أى الجثة المصبرة إما فى تابوت أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة يدخلون بعضها فى بعض، وفى عصر العائلة الثانية والعشرين إلى الثالثة والعشرين كانوا يلوّنون التوابيت من باطنها بلون أسود أو بلون الخشب ويجعلون وجهها أحمر وعلى رأسها عصائب مزخرفة ويلفون موتاهم بلفائف من القماش ثم اصطلحوا بعد ذلك على تلوين باطن التوابيت بالأبيض وتقسيم أغطيتها بالألوان إلى أقسام عديدة ويكتبون فوقها كتابة بمداد أخضر وفى زمن البطالسة اتخذوا توابيتهم من الصوان والمرمر الأزرق فكانوا ينقشون عليها نقوشاً متقنة الصناعة (قال الراوى) فلو تأملنا جميع هذه التوابيت وما

عليها من النقوش والحلية علمنا ما كان يلزم للميت من النفقات والمصاريف الجسيمة التى كانت تزداد قيمتها بما يتبعها من كثرة النقوش والمبالغة فى التصاوير اهـ. وقد وجد مكتوباً على ورقة قديمة فى متحف فرنسا سميت باسم (بريس) الذى وجدها ما تعريبه أنه لما توفى الملك حوتى وهو (سفوريس) ثامن ملوك هذه العائلة تولى بعده الملك سنفرو وهو (كرفريس) تاسع هذه العائلة وكان محسناً لأهل مملكته. وفى مدته ثار عليه سكان جبل الطور وقعدوا على حدود مصر فقاتلهم وقهرهم واستولى على أرضهم وشيد فيها قلاعاً وحصوناً ودياراً وحفر آباراً وأقام بتلك الأرض رجالاً تستخرج له المعادن من النحاس والحجارة الكريمة كالفيروزج وعساكر تخفرهم ثم رسم نفسه هناك على صخرة (بوادى مغارة) فى هيئة مقاتل يقمع أعداءه ونقش بجانب صورته ذكر غزوته (قال ده روچيه) ووضع اسمه داخل خانة ملوكية ولقب نفسه فى تلك الصخرة بخمسة ألقاب وهى (حور) ومعناه الكاهن و(موت نب) (عرع نب) ومعناه صاحب التاجين وهما تاج العقاب وتاج الثعبان و(حور نب) ومعناه المنصور الظافر بأعدائه و(سوثن سخت) ومعناه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى و(سارع) ومعناه ابن الشمس وهو الاسم المقدس المختص بالعائلة الملوكية وختم ذلك بجملة دعائية له وهى (عنخ ازاسنب) ومعناها دام بصحة وعافية قال فاقتدى به الملوك بعده فى جميع ذلك، ولما عاد إلى مصر بعد هذه الغزوة بنى فى حدود الدلتا قلاعاً وحصوناً بقيت إلى عصر العائلة الثانية عشرة وابتنى له هرماً سماه (خع) أى العيد ولم يعلم محله وإنما يقال أنه هو الموجود بميدوم بدليل وجود اسم هذا الملك منقوشاً على بعض جدران مقابر قديمة فى تلك الجهة كما رواه ده روچيه فى كتابه فى الست عائلات الأولى ولمدافعته عن بلاده أحبته الرعية وبالغت فى تعظيمه وعكفت على عبادته بعد وفاته واستمروا على عبادته واحترامه إلى عصر البطالسة وكان متزوجاً بالملكة مرتيتفس واصطلح ملوك هذه الطبقة على نقش أسماء أهرامهم فى الآثار بجانب أسمائهم فكان ذلك سبباً لسهولة معرفة أسماء الأهرام فى مدتهم كما رواه ده روچيه فى كتابه المذكور، ومن مآثر ملوك هذه العائلة التمثالان الموجودان الآن بمتحف بولاق أحدهما تمثال (رع حتب) وثانيهما تمثال (نفرت) زوجته المتخذان من حجر واحد وعليهما نقوش تدل على أن رع حتب كان الكاهن الأكبر فى المطرية وقائداً للجيوش المصرية وأن زوجته نفرت أعنى الجميلة كانت حفيدة ملك لم يعلم اسمه بعد اهـ. ومات الملك كرفريس بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة وبانقراض الدولة الثالثة المذكورة على وجه ما سبق بيانه قامت بعدها الدولة الرابعة المنفية.

الفصل الرابع

(فى العائلة الرابعة المنفية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة خمس وثلاثين ومائتين وأربعة آلاف قبل الميلاد أى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وأربع وثمانون سنة وعدّة ملوكها أربعة عشر ملكاً (قال) أصحاب التاريخ ولم يعلم من أسمائهم غير ثمانية وسنذكر ستة منهم بعد وأولهم الملك خوفو وبظهور هذه العائلة ظهرت مصر بمظهر الارتقاء وحسن البناء والعمائر التاريخية.

فى الملك خوفو

كان هذا الملك غازياً شديد البأس عظيم المهابة قاتل طائفة من بنى عون وهم قبيلة من عرب البوادى الذين كانوا مستوطنين بناحية وادى مغارة وكانوا كثيرى التعدى على حدود مملكة مصر الشرقية من الجهة البحرية فأذلهم وأخضعهم وكان يحب تشييد العمارات والمبانى العظيمة فمن مآثره الهرم الأكبر الموجود بالجيزة واسمه (خوث) يعنى البهاء وكان العمال المشتغلون ببنائه مع المناوبة فى كل ثلاثة أشهر مائة ألف عامل واستمرت عمارته ثلاثين سنة منها عشرة فى توطيد أرضه وتأسيس حجارته السفلى وبناء الجسر الموصل إليه من شاطىء النيل بالحجارة لنقل الأحجار التى بنى بها هذا الهرم ومنها عشرون سنة فى تشييد ذات الهرم كما رواه هيرودوتس ونقل أيضاً عن بعض المؤرّخين أن قدماء المصريين إنما أرادوا ببناء تلك الأهرام منع المعتدين الذين ينتهكون الحرمات وينبشون القبور من سلب ما يكون فيها للموتى من التوابيت الجميلة والأوانى الفاخرة بالدخول فيها ووافقهم آخرون على ذلك وقالوا أن قدماء المصريين كانوا أشد الناس حرصاً على موتاهم ولذا صنعوا هذه المبانى الضخمة لإعجاز أهل الغايات عن التوصل إلى كنهها اهـ. كما رواه ماريت.

وقال صاحب العقد الثمين وهذا الهرم لم يحصل له خلل مع ثقله وطول مدته البالغة ستين قرناً وليس فى طوق البشر الآن أعمال بناء فيه حجرات وطرق وارتفاع بثقل يمكث زمناً كزمته (قال) وقد اطلعت على حجر بدار التحف المصرية عليه نقوش بجانبه الأيمن والأيسر فالتى على جانبه الأيمن تفيد أن الملك (خوفو) بنى هرمه المذكور والمقابر التى محيت آثارها الآن بجانب هيكل المعبودة إزيس المجاور ذلك الهيكل لمعبد أبى الهول من الجانب الغربى البحرى وأنه أنشأ أيضاً لابنته الأميرة

(حونت سن) هرماً بجوار هيكل إزيس المذكور ومن هذا يعلم أن أبا الهول ومعبده وهيكل إزيس كانت موجودة قبل بناء هرم خوفو ويستفاد من النقوش التى على جانبه الأيسر أن الملك المذكور كان أهدى هدايا للمعبودة إزيس المسماة أيضاً حاتحور واتخذها والدة له وأصلح معبدها ووضع بداخله التماثيل التى وجدها فيه من قبل وهى سفينة إزيس وتمثال (سلك) وتحوت وپتاح وحور وإزيس ونفتيس وسخت وأزوريس وحيى وبجانب كل تمثال منها مكتوب اسم المادّة المتخذ منا فسفينة إزيس وتمثال حور وتحوت كانت من الخشب المطلى بالذهب وكان تمثال إزيس من الذهب والفضة وتمثال نفتيس من التنج (قال) وأثبت دميخن أن الملك خوفو أصلح أيضاً هيكل حاتحور الذى بدندره ومن هنا يتضح لك أن دعوى اليونان على الملك خوفو بأنه كان ظالماً لرعيته فى تسخيرهم لبناء هرمه وغلق أبواب الهياكل وإهانة المعبودات المصرية كذب لا أصل لها لما علمت من تشييده الهياكل السابقة ولعل قولهم أنه ظالم لرعيته فى بناء هرمه مبنى على أنه لما قاتل بنى عون وأسر رجالهم سخرهم فى بناء هرمه كما هى عادة قدماء الملوك فى معاملة الأسرى وهذا وحده لا يفيد أنه ظالم لرعيته (والأهرام) مقابر كانت تهتم فى بنائها الفراعنة من تاريخ استيلائهم على الملك فيشيدون أولاً حجرة يدفنون فيها الملك بعد وفاته ثم يبنون عليها هرماً صغيراً ويعلونه طبقة فطبقة بالتدريج على حسب مدة حكم الملك فإن طالت مدته كان هرمه كبيراً شامخاً والافتراء صغيراً وعلى ذلك يكون عدد طبقات كل هرم دليلاً على عدد سنى حكم صاحب ذلك الهرم وعدد الأهرام الموجودة فى ديار مصر ينيف على المائة والمشهور منها سبعون هرماً اهـ. وفى عصر هذا الملك عثر أحد الكهنة على رسالة طبية بالقرب من محراب معبد مدينة ديموت ببلاد النوبة فنقلها إلى الملك خوفو وكتب على هذه الرسالة كيفية عثوره عليها بالألفاظ المعرّبة بما مؤدّاة (كانت الأرض محدقة بالظلام والقمر يضىء من كل جهة على هذه الرسالة) فأحضرتها أعجوبة لجلالة الملك خوفو اهـ. ثم مات (الملك خوفو) بعد أن حكم تسعاً وعشرين سنة فتولى الملك بعده سوفيس الأوّل وهو الملك رعد ددف.

(الملك رع ددف)

كان هذا الملك كثير العبادة شديد التدين فأحبته الرعية واحترمته وقدّسته وجعلته فى مصاف المعبودات (قال أصحاب التاريخ) وقد وجد نقش على حجر لرجل مصرى اسمه ابساموتيك بن أصاحور يفيد أن ابساموتيك المذكور كان كاهناً للمعبود (تانن) وللمعبودة (إزيس) ملكة الأهرام وكاهناً للملك خوفو ولملك خفرع الذى

هو سوفيس الثانى وللمقدّس رع ددف الذى هو سوفيس الأول وللمعبود حورمخى الذى هو أبو الهول ويظن أنه ابن الملك خوفو والأخ الأكبر لخفرع أى سوفيس الثانى قال بعض الكتاب فإن صح ذلك صدقت الرواية اليونانية بأن خفرع كان خليفة أخيه فى الحكم بدون ملك بينهما وكانت مدّة الملك سوفيس الأول المذكور ثلاثاً وستين سنة ثم مات وقام بالأمر بعده سوفيس الثانى ويسمى أيضاً خفرع.

(فى الملك خفرع)

قال أصحاب التاريخ من اليونان لما تولى الملك خفرع بعد موت أخيه رع ددف الذى هو سوفيس الأوّل شرع فى بناء الهرم الثانى بجانب هرم خوفو وجعله على وضعه وسماه (آر) يعنى الكبير قال صاحب العقد الثمين ويرى بجانبه محل قطع الأحجار التى كانت تستعمل فى بنائه وكلا الهرمين موضوع على جبل ارتفاعه مائة قدم (وروى هيرودوتس) عن المصريين أنهم نسبوا لهذا الملك الظلم والاعتساف بالرعية وقالوا أنه سار على سيرة الملك خوفو فى جميع أعماله وقد سخرهم فى بناء هرمه وأغلق الهياكل وشدّد عليهم فأبغضوه بغضاً شديداً كبغضهم للملك خوفو وكانوا يودّون لو أنهم لا ينطقون باسم أحدهما ولذلك سموا هرميهما براعى المواشى تهكماً واستهزاء وذكر ديودور الصقلى أن كلا الملكين حرم من بقائه مدفوناً فى هرمه وذلك لأن الرعية كانت تبغضهما بغضاً شديداً وقد عمدت إلى جثتهما فأخرجتهما من الهرمين وكسرت تابوتيهما وألقتهما على الأرض إهانة لهما قال ولم يستدل إلى الآن من الآثار على شىء من سيرة خفرع المذكوز غير أنه عثر على سبعة تماثيل من حجر الصوّان على رسم صورته كانت ببئر فى المعبد المشهور الآن بالكنيسة التى قبلى أبى الهول فنقلت إلى دار التحف المصرى وحفظت فيها اهـ.

ومات خفرع المذكور بعد أن حكم ستاً وستين سنة على ما رواه مانيطون المؤرّخ فقام بالأمر بعده منكورع الذى يسمى أيضاً منخرس.

(فى الملك منكورع)
(المسمى أيضاً)
منخرس

(قال) جماعة الكتاب لما استقرّ بمنكورع المنصب عمد إلى إنشاء الهرم الثالث الموجود خلف الهرمين وبالغ فى إتجاره وسماه (حور) يعنى الأعلى قالوا وكان

منكورع هذا عادلاً محباً للرعية شفيقاً عليهم واسع الحلم كثير الرحمة فكان إذا تظلم أحد الناس من حكم يكون صدر عليه حنّ إليه وعمه بإحسانه ولاطفه ليهوّن عليه الأمر وقد دلت النقوش الأثرية على اهتمامه بأمر المعابد وإلهياً كل حيث أمر ولده (حورددف) أن يطوف على جميع المحاريب والمعابد فيصلح ما تخرّب منها وينشىء غيرها فى الكثير من المدن فقام بالأمر قالوا ولما كان يدبر العمل فى محاريب مدينة(ليتوپوليس) المعروفة الآن باسم (وسيم) عثر على كتابة مزبورة بلون أزرق على لوح من رخام فأحضرها إلى أبيه فرحاً مسروراً وقدّم اللوح إليه قال ماسپرو وهى الكتابة المدرجة ضمن المواعظ والحكم القديمة التى جمعها علماء اللغة الهرمسية فى الباب الرابع والستين من كتاب الأموات فصعب عليهم حلها لأنها أعجزت أهلها كماجاء في قول كاتب من عصر الرمسيسية إلى رفيقة له وهو (تأتينى بأسرار كبيرة) أى بمواعظ وحكم عن الأمير حور ددف وتقول لى أنك ما علمت منها طيباً ولا رديئًا وكأنها سور منيع لا يمكن تجاوزه وكيف تقول ذلك مع إنك كاتب ماهر فائق على أقرانك فطن ولك فكر رائق وكلام موزون إذا قلت كلمة كانت أعظم من ثلاث كلمات صدرت عن غيرك ولقد تركتنى أصم بما حصل لى من فزع قولك. قال: وبهذا يتضح لك أن المواعظ والحكم القديمة كانت صعبة على أهلها ولذا يتعسر الآن على علماء القلم المصرى القديم حلّ معضلاتها اهـ.

وكان الملك منكورع حليماً ومآثره كثيرة منها عدّة مؤلفات فى علم الدين وكان شديد الرغبة فى تقدم وطنه والارتقاء به إلى درجات التمدّن والتقدم ولذلك كفل الملك شبسكاف الذى تولى الملك بعده فجعله فى بيته وأحسن تربيته بين عائلته وزوّجه بابنته المسماة (معت خع) ليؤهله لارتقاء منصة الملك من بعده.

(قال صاحب العقد الثمين) وقد وجدت جثة الملك منكورع هذا فى تابوت من حجر الصوّان داخل هرمه فأرادت دولة الإنجليز نقله إلى متحفها فغرقت السفينة به فى ساحل البرتغال ولم تتحصل على شىء منه سوى الجثة وغطاء التابوت المحفوظين إلى الآن فى متحفها وهذا الغطاء مصنوع من خشب الجميز على شكل آدمى وعليه نقوش تتضمن دعوات طيبة له وتدل على أنه كان مَلكاً على جميع أرض مصر اهـ.

ومات بعد أن حكم أربعاً وعشرين سنة كما شوهد ذلك على الآثار القديمة وفى رواية مانيطون ثلاثاً وستين سنة فقام بالأمر بعده شبسكاف وهو خامس ملوك هذه الدولة ويسميه مانيطون فى جدوله باسم سبرخرس.

(فى الملك شبسكاف)
(المسمى أيضاً)
سبرخرس

هو خامس ملوك هذه الدولة ولما استقر به الملك أمر ببناء الإيوان الغربى الموجود بمعبد بتاح بمنف قالوا وهو أعظم إيوان مزين بالصور والرسوم الغريبة ليمتاز بذلك عن أسلافه وبنى له هرماً يعرف باسم (شبسكافكب). قال هيرودوتس ونقش عليه يعنى على الهرم المذكور نقوشاً معناها.

لا تحقر هرمى بين الأهرام المبنية بالحجارة لإنى أفضله عليها تفضيل المشترى على جميع الكواكب إذ كان بناؤه بطوب متخذ من خشب مبلول فى مستنقع ماء امتص ذلك الخشب طفل المستنقع. وقال أيضاً أن هذا الملك كان أحد الخمسة المشرعين بالديار المصرية وأنه رتب الديانة وأبدع فن الهندسة ورصد الكواكب وسن قانونا للقرض يجوّز للمرء أن يرهن جثة والده عند الغير ويأذن للدائن أن يتصرف فى مقبرة المدين حتى يوفيه دينه فإن لم يوفه حرم المدين هو وذريته من الدفن فيه بعد وفاتهم.

ومات بعد أن حكم سبع سنين كما جاء فى جدول مانيطون المؤرخ فقام بالأمر بعده (ثامقيش) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم تسع سنين وبه انتهت العائلة الرابعة ولم يعلم من أخبارها غير ما ذكر وقامت بعدها العائلة الخامسة التى كان تخت حكمها جزيرة أسوان.

الفصل الخامس
(فى العائلة الخامسة التى كان تحت حكمها جزيرة أسوان)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة إحدى وستين وتسعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وثمان وأربعون سنة وعدة ملوكها تسعة، قال ده روجه: ولم يظهر لنا من تاريخ هذه العائلة بعد البحث والتنقيب من الآثار وغيرها إلا ما سنذكره لبعض ملوكها وكان أوّل هذه العائلة الملك إسكاف ويقال له أيضاً اسركاف.

(فى الملك إسكاف)
(الذى يقال له)
(اسركاف)

قال أصحاب التاريخ كان هذا الملك محباً للرعية عادلاً دينا موقراً فكانت الرعية تحبه وتحترمه وتجله الكهنة إجلالاً عظيماً ولذلك جعلوا له وقتاً معيناً للعبادة وسماه مانيطون فى جدوله باسم اسرخرس وابتنى اسركاف هذا لنفسه هرماً سماه عب ستو يعني (المكان الطاهر) ولم يعلم من أخباره شيء غير ما ذكر ومات بعد أن حكم ثمان سنين وقال مانيطون ثمانياً وعشرين سنة.

فقام بالأمر بعده الملك سحورع الذى يسميه مانيطون سفرس ولهذا الملك هرم على شمال قرية بوصير واسمه خعباً ومعناه بعثة الروح قالوا وله فى وادى مغارة لوحة أثرية موجودة للآن ومنقوش عليها رسم صورته على هيئة المنصور على أعدائه وأمام صورته نقوش يستفاد منها أنه قهر جميع أعدائه وتغلب عليهم قالوا ولبث المصريون يعبدون هذا الملك بعد موته زمناً طويلاً وقد وجد فى عصر اليونان هيكل معدّ لعبادته وبداخله أسماء الكهنة الذين كانوا معينين لخدمته وكان لهذا الملك مدينة شهيرة على مقربة من إسنا سماها پاسحورع وقد محيت آثارها الآن ومات بعد أن حكم أربع سنين وقال مانيطون ثلاث عشرة سنة.

فقام بالأمر بعده الملك ككا ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئاً ومات بعد أن حكم سنتين.

فقام بالأمر بعده الملك نفرار كارع ويسميه مانيطون نفرخرس ولهذا الملك هرم سماه (با) ومعناه الروح وفى أيام هذا الملك ازداد تمدن البلاد واشتغل أهلها بالعلوم والآداب. قالوا وقدوجد بين قبور هذا العصر أسماء لكثير من الأدباء مثل(أورخوو) و(ينحوك) قالوا وكلاهما كان حائزا للشرف العالى بين قومه.

ومات نفرار كارع بعد أن حكم عشرين سنة فقام بالأمر بعده الملك شبسكارع ولم تذكر عنه جماعة الكتاب شيئاً ومات بعد أن حكم عشرين سنة كما رواه مانيطون المؤرخ.

فقام بالأمر بعده الملك خع نفررع ولم يوجد له شيء يذكر سوى اسمه ومات ولعل مدة حكمه كانت مع مدة شبسكارع فيكون الاثنان حكماً معاً. وقال مانيطون

أنه حكم سبع سنين ويسميه باسم سيسيرس ثم قام بالأمر بعدهما الملك وغنوسر ويسميه مانيطون المؤرخ ريوّرس قالوا وهو أول من أضاف اسم (آن) وهو اسم عائلته إلى اسمه فكان يقال له بعد ذلك رعنوسر آن وكان ملكاً محارباً كثير الغزوات غزا سكان جبل الطور وانتصر عليهم وبنى له هرماً ببوصير سماه (من ستو) ومعناه المحل المتين فلما مات دفن فى الهرم المذكور بعد أن حكم إحدى عشرة سنة وقال مانيطون بل أربعاً وأربعين سنة.

فقام بالأمر بعده الملك منكاحور ويسميه مانيطون المؤرخ فى جدوله منخرس وله هرم يعرف باسم نترستو ومعناه المحل المقدس قالوا والغالب أن موضع هذا الهرم بجهة سقارة ومات بعد أن حكم ثمان سنين وقال مانيطون تسع سنين فتولى الملك بعده الملك دد كارع.

(فى الملك دد كارع)
(الذى يقال له أيضاً)
(تتحرس)

كان دد كارع المذكور كثير العناية بالعلوم والصنائع وقد استكشف فى أيامه معادن بوادى مغارة وابتنى له هرماً كأسلافه الفراعنة وسماه نفر ومعناه الجميل. قالوا ولم يعلم مكانه إلى الآن وكان له ولد من العلوم والفلسفة بمكان عظيم اسمه بتاح حتب وقد شاخ ومات ودفن بجانب مقبرة (تى) واشتهر بالعلوم والمعارف التى نقلت عنه وكذلك المواعظ والحكم التى منها إذا كبرت بعد الصغر أو حزت مالا بعد الفقر وصرت به الأوّل فى مدينتك وازدادت به شهرتك فلا تعظم نفسك بسببه لأن الله منّ عليك به ولا تحقر امرأ كان كما كنت فقيراً أو كان ذا مال مثلك ميسوراً ومنها كن وجيهاً ما دمت حياً ومنها متى صار للمرء اعتبار وساح فى الأرض وتأهل بامرأة فإن كان عاقلاً جهز بيته وأحب زوجته ولم يتنازع معها وأطعمها وزينها بتحسين أعضائها وعطرها وجعلها مسرورة مدة حياته ولا يكون عليها متوحشاً قاسياً، ومنها أيها الهنهان (اسم لمعبود) صاحب العمر الكبير متى أتى للمرء الهرم وحصل له الضعف والعجز وأتاه النذير ورقد متألماً صغرت عيناه وثقلت أذناه واضمحلت قوته وتلجلج لسانه وأظلم قلبه ووهن العظم منه حتى لا يفكر فى أمس ويلازمه النسيان لضرّ ألم به فيتبدل معه الطيب بالخبيث الذميم ويذهب عنه الطعم والذوق السليم كيف لا وهو الهرم الذى يصير الإنسان فى أسوأ حال وأقبح هيئة ومآل فيعطل حواس شمه

حتى لا يستنشق رائحة العود ويكلّ من الوقوف والقعود فماذا يفعل الإنسان إذا وصل لحالتي وسمع مقالتي. فقال الهنهان تعلم نصيحة من سلف التي يستغربها الصغار ويستعملها كبار الخلف وهي (ادفع عنك أذى العقلاء ولا تسيء أحدا ولو من الأعداء) اهـ. كما نقله ماسپرو.

(ومات الملك) دد كارع المذكور بعد أن حكم ثمانياً وعشرين سنة وقال مانيطون بل أربعاً وأربعين سنة فقام بالأمر بعده الملك أوتاس وهو آخر ملوك هذه العائلة على ما رواه جماعة المؤرخين.

(في الملك أوتاس)
(الذي يقال له أيضاً)
(آتوس)

لما ارتقى أوتاس المذكور عرش الملك ابتني له هرماً بسقارة وسماه نفرستو ومعناه الجميل قال صاحب العقد الثمين فتح يعني الهرم سنة إحدى وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد وهو الموضوع في الجنوب الغربي من الهرم المدرج ويرى حوله كثيب من الرمال والحصباء ناشيء من عمليات الفتح التي حصلت فيه قبل الآن ومن تساقط كسوته الظاهرة التي كانت مصنوعة من حجارة طرا ويرى على ظاهره هيئة الدمار وسقوط الصخور والأحجار وكان عرض قاعدته مائتين وعشرين قدماً وارتفاعه اثنتين وستين قدماً فتناقصت الآن مقاييسه لما حصل فيه من الهدم والدمار من أهل الغوايات الذين سعوا في فتحه لأخذ ما كان مكنوزاً فيه حسب اعتقادهم فلما أزالوا الكسوة الظاهرة وتوصلوا إلى مدخله وجدوه مسدوداً بالصخور التي لا يمكنهم إزالتها فاضطروا إلى فتح كوة معطفة طولها تقريباً سبعة أمتار توصلوا بها إلى المدخل الأصلي وهو عبارة عن طرقة طويلة عرضها متر وستة وثلاثون سنتيمتر مكتوب عليها بالمداد الأحمر أحمد النجار. قال: ولعله هو الذي أيضاً فتح هرم الملك خوفو الموجود بالجيزة مدة المأمون لرسم اسمه فيه فإن صح ذلك كان فتح هذا الهرم سنة عشرين وثمانمائة هجرية. ومن تلك الطرقة يتوصل إلى قاعة معدة لاستراحة الزائرين وكان طولها ثلاثة أمتار وتسعة وثمانين سنتيمتر وعرضها مترين وستة وخمسين سنتيمتر ثم تمتد من تلك القاعة طرقة أخرى يوجد في وسطها ثلاثة حواجز ارتفاع كل واحد منها الآن متر واحد وكانت من قبل مجعولة لسد مدخل الهرم ثم تنتهي بقاعة وسطى طولها ثلاثة أمتار وخمسة وسبعون سنتيمترا وعرضها ثلاثة أمتار

وثمانية سنتيمتر وفيها طرقتان إحداهما على اليمين والأخرى على اليسار فالتى على يمين الداخل طولها متر وخمسون سنتيمتراً وعرضها متر وستة وثلاثون سنتيمتراً وتفضي إلى حجرة طولها سبعة أمتار وتسعة وعشرون سنتيمتراً وعرضها ثلاثة أمتار وخمسة عشر سنتيمتراً. قال ولما فتح الهرم لم يوجد به شيء سوى تابوت الملك المتخذ من المرمر الأسود وغطاؤه ملقى بعيداً عنه وذراع الملك الأيمن وعظم ساقه وبعض قطع من أكفانه ويرى فى وسط هذه الحجرة حفرة كبيرة كان حفرها اللصوص للبحث عن دفائن كنوزية والتى على يسار الداخل مقاسها كالطرقة السابقة وتوصل إلى طرقة أخرى فتقطعها فى وسطها وطولها ستة أمتار وثلاثة وتسعون سنتيمتراً وعرضها متران وخمسة وثمانون سنتيمترا وجانبها الشرقى مقسم بفاصلين إلى ثلاثة أقسام كل فاصل بارز فى الطرقة بمقدار متر وخمسة وعشرين سنتيمتراً ويرى على حجرات هذا الهرم نقوش هيروغليفية محفورة فى حيطانه ترجمها جناب ماسپرو مدير الانتيكخانة الآن فى كتاب مخصوص وهى عبارة عن أدعية اعتاد قدماء المصريين كتابتها فى القبور. قال: وقد أعرضنا عن درج ترجمتها هنا لعدم أهميتها وهذا الهرم معد الآن للفرجة اهـ. بنصه ومات الملك أوتاس بعد أن حكم ثلاثاً وثلاثين سنة (قال بعض الكتاب) وقد اتضح من الصحيفة المصرية القديمة المحفوظة الآن فى متحف تورينو بإيطاليا أن الملك أوتاس المذكور كان المتمم للقسم الأول من طائفة الفراعنة وأن ملوك هذا القسم الذين حكموا مصر على عمود التعاقب من عهد (منا) إلى أوتاس المذكور كانوا من نسل (منا) وبعد موت الملك أوتاس انقرضت ذرية (منا) ونسله كما حققه بعض المؤرخين. وقال آخرون بل إن الملك (تتا) أحد ملوك العائلة السادسة هو آخر نسل الملك (منا) ولكل حجة وبانقراض هذه العائلة أى الخامسة قامت بعدها العائلة السادسة التى كانت قاعدة ملكها جزيرة أسوان.

الفصل السادس

(فى العائلة السادسة التى قاعدتها جزيرة أسوان)

كان ابتداء ملك هذه العائلة سنة ثلاث وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتا سنة وثلاث سنوات وعدد ملوكها ستة أولهم الملك آتى الذى يقال له أتوس وشريكه الملك تتا.

(فى الملك آتى والملك تتا شريكه)

كان الملك (آتى) المذكور قبل ولايته حاكماً على الإقليم القبلى. ويقال أنه كان من جزيرة أسوان وقيل أنه من العرابة المدفونة، وأما الملك (تتا) فكان حاكماً على الأقاليم البحرية فعدّهما أصحاب التاريخ لذلك كملك واحد لحكمهما فى وقت واحد. وقد كان (تتا) المذكور آخر من ولد من الملوك بمدينة منف كما قاله بعض المؤرخين. وقال آخرون أن الملك (آتى) هو رأس العائلة السادسة المذكورة وأول ملك منها حكم البلاد وقد بنى له هرماً سماه (بايو) ومعناه هرم الأرواح وجلب إليه الأحجار من وادى الحمامات فى السنة الأولى من حكمه وعين لهذا العمل رئيساً اسمه (احى خفا) والأمير (تحوت ارينى) وملاحظين اسم الأول منهما (أبِى) والثانى (بتاح انكيو) ومائتين من العساكر ومائتين من العمال ومثلهم من أهل الصناعة وشيده على نحو ما أراد وأما الملك (تتا) فقد بنى له هرماً آخر وسماه (ددستو) ومعناه أمتن المحال صلابة ولقبه بابن الشمس. قال أصحاب التاريخ ولم يسبقه بهذه التسمية أحد فى هرمه. قال مانيطون المؤرخ: ومات بعد أن حكم ثلاثين سنة قتله عساكره فتولى بعد موته وموت (تتا) شريكه المذكور (مريرع) الذى يسميه مانيطون باسم فيوس.

(فى الملك مريرع)
(الذى يسمى أيضاً
فيوس)

تولى مريرع المنصب الملوكى فجعل تحت حكمه جزيرة أسوان كما فعل الملك (آتى) سلفه فانحط لذلك قدر مدينة منف وأخذت بهجتها فى الزوال وظهرت عليها جزيرة أسوان وكان مريرع المذكور عاقلاً محباً لتقدم البلاد وعمرانها فاستوزر رجلاً اسمه (اونا). قال العلامة د. روچيه. وكان (اونا) هذا فى أول أمره رئيس كهنة الملك (تتا) وكان مسموع الكلمة عنده فقلبه فى أكبر الوظائف وأعلاها وقد كان رباه فى بيته فلما تولى الملك مريرع استوزره وسلمه مقاليد الأمور ورسم له بالذهاب إلى طرا ليبحث له هناك على صخرة بيضاء يصنع منها تابوتاً لجثته فتوجه (أونا) المذكور وأتى إليه بالصخرة فزاد عنده قبولاً وأخذ من هذا الحين يزيد فى ترقيه حتى ولاه نظارة أشغاله فأحسن التدبير وفرح المصريون به لحسن سياسته ووجه الملك مريرع عنايته إلى استكشاف المعادن فرتب لها الملاحظين والعمال حتى كثرت محصولاتها

وزادت عما كانت عليه قبل أيامه وفتح طريقاً مخصوصاً فى الصحراء من قفط إلى البحرالأحمر تسهيلاً للمسافرين وفتح طريقاً أخرى فيها للتجارة واختط مدينة جديدة فى مصر الوسطى وأصلح معبد (حاتحور) الذى بدندره حتى أعاده إلى ما كان عليه وكانت الحوادث قد دمرته فى العصر القديم ولقب نفسه بابن (حاتحور) وأدرج هذا اللقب مع اسمه فى خانة ملوكية وخرج عليه أهالى النوبة وقبائل الشام المسماة (عمو) وقبائل هيروشا القاطنون أيضاً فى جنوب بلاد الشام وكانوا أهل قوة ومنعة فركب إليهم وغزاهم وتغلب عليهم وأرجعهم إلى الطاعة قال صاحب العقد الثمين وتفصيل ذلك منقوش على لوحة (اونا) الحجرية وهو وزيره وتعريبها ملخصاً من كتاب العلامة ده روچيه.

(إن جلالة الملك بيبى) وهو لقب الملك مريرع جيش جيشاً عظيماً من كافة أرجاء مصر ومن بلاد أرمنت ومن بلاد العبيد وهى أمام (واوات) (وكاوو) (وتمام) وأرسل (اونا) على هذا الجيش بعد أن رتبه وعلمه بمشاهير رجال دولته فتوجه به (اونا) إلى قتال الحروشعيين وغزاهم وهدم حصونهم وقطع أشجارهم ودواليهم وحرق زرعهم وقتل من عساكرهم ألوفاً عديدة وأسر جما غفيراً من رجالهم ونسائهم وأطفالهم ورجع بجيشه سالما منصورا من غير ضرر ففرح به الملك فرحاً كبيراً واستعمل الأسارى فى أشغاله وباع العبيد منهم. وقال (اونا) إنى توجهت خمس مرات بهذا الجيش المجند إلى قتال بلاد (حروشع) وقهرت عصاتهم ثم عصاة بلاد (تجع) التى هى على شمال حروشع فسرت إليهم بهذا الجيش، وقاتلتهم قتالاً شديداً حتى أهلكت جميع عصاتهم وبهم انتهت الحرب وانقادت لأوامر الملك جميع البلاد. قال ولما تمت هذه الغزوات نلت عند الملك مزيد الشرف والقبول وتكرم علىّ بعدم خلع نعالى عند دخولى فى القصر عليه وتمثلى بين يديه اهـ.

وعادت بعد ذلك الراحة إلى عموم البلاد وخضعت أهالى النوبة والليبيا وجهات آسية المتاخمة للدلتا وبلاد الحبشة واسترجع هذا الملك إلى ملكه جبل الطور وقد كانت ضمته إليها بلاد آسية على عهد من سلفه من الملوك وملأ ديار مصر بالآثار العظيمة فكان أعظم ملوك هذه العائلة وبه نالت مصر شهرة عظيمة وراحة كبيرة ومات بعد أن حكم أربع عشرة سنة وقال مانيطون بل ثلاثاً وخمسين فقام بالأمر بعده الملك مرنرع الأول الملقب (سوكرمساف) ويسميه مانيطون باسم مثه سوفس الأول.

(فى الملك مرنرع)
(أو)
(مثه سوفس الأول)

هو ابن الملك مريرع وكانت أيامه كلها راحة واطمئناناً فقد مهد له أبوه العقبات وأرهب جميع الأمم المخالفة المتاخمة لديار مصر فى أيامه فبقيت على الطاعة والسكينة واستوزر مرنرع المذكور وزير أبيه المسمى (اونا) وفوض إليه تدبير المملكة والنظر فى مصالح الرعية وسلم إليه عدة وظائف أخرى مهمة منها ولاية الحكم على الإقليم القبلى بأجمعه وهذا المنصب لم ينله أحد من قبل. قالوا ورسم له بأن يصنع له هرماً وناووسا، فأخذ (اونا) السفن ومراكب الحمل مع سفينة حربية، وهى أول سفينة حربية صنعت فى ديار مصر وسار إلى بلاد (أيبها) وإلى جزيرة أسوان لجلب الحجارة اللازمة لبناء الهرم والناووس ومنها إلى بلاد حانوب المشهورة بجودة الأحجار لإحضار مائدة عظيمة للمعاقرة وأتى بجميع ذلك على ظهر النيل وقت فيضانه ولم يسبق لهذا العمل مثيل من عهد الملك (منا) ثم أخذ فى بناء الهرم فما أتم بناءه حتى مات فحضر الملك جنازته ومشى أمامه حتى واروه التراب.

(ومات الملك مرنرع) أيضاً بعد أن حكم سبع سنين فقام بالأمر بعده الملك نفر كارع الذى يسميه مانيطون فيوبس.

(فى الملك نفر كارع)
(ويسمى أيضاً
فيوپس)

(تولى الملك نفر كارع) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره ما يعادل سنى ملكه فقد حكم قرنا كاملاً كما رواه مانيطون المؤرخ وتسعين سنة كما دلت عليه الآثار غاية ما قالوه عنه أنه رسم باستخراج المعادن من جبل الطور فى السنة الحادية عشرة من ملكه وأنه طرد من كان فيه من القبائل المتوحشة وبنى له هرماً سماه (من عنخ) ومعناه دار الحياة فبلغت مصر فى أيامه من الشهرة واتساع الكلمة وبعد الصيت مبلغاً عظيماً وبقيت محافظة على حدودها وملحقاتها زماناً طويلاً وقد لقبه اليونان (بيبى) قال بعض الكتاب وعلى هذه التسمية يكون هو (بيبى الثانى) ومات فقام بالأمر بعده الملك مرنرع الثانى الذى يسميه مانيطون مثه سوفس الثانى.

(فى الملك مرنرع الثانى)
(ويسمى أيضاً
مثه سوفس الثانى)

(تولى مرنرع الثانى) الملك ولقب سوكرمساف الثانى ولم يستقرّ به المنصب حتى قامت الفتنة بين أهل البلاد واضطرمت نارها وارتفع لهبها فقاموا عليه وعصوه وقتلوه فكان خامس ملوك هذه العائلة وكانت مدة حكمه سنة واحدة فقامت بالأمر بعده أخته وزوجته الملكة نيتوقريس التى تسمى أيضاً ليوتوقريس.

فى الملكة نيتوقريس

كانت هذه الملكة من أجمل نساء عصرها وأشهرهن فضلاً وكمالاً وهى أخت وزوجة الملك مرنرع الثانى ولقبها مانيطون المؤرخ فى تاريخه بموردّة الخدين قالوا ولما استقرّ بها المنصب عمدت إلى الأخذ بثأر أخيها الذى هو زوجها من قاتليه وقد كانوا بعض رجال الدولة فاحتالت عليهم وجذبتهم إلى قصر لها تحت الأرض بقرب النيل بدعوى وليمة أعدتها لهم فلما جلسوا للطعام أمرت بانسياب النيل عليهم فغرقوا جميعاً وماتوا ويقال أنها ألقت نفسها بعد ذلك فى محل ممتلىء برماد فماتت فيه حتى لا تكون عرضة للعقاب وكانت مدة حكمها اثنتى عشرة سنة قالوا وفى أيامها أتمت الهرم الثالث الذى تركه الملك منكورع ناقص البناء وعظمت بناءه وكسته من الخارج بحجر الصوان واتخذت لها منامة فى وسطه بأعلى الحجرة التى دفن فيها الملك منكورع من قبلها بثمانمائة سنة.

وفى عهد هذه العائلة تقدمت صنعة التصوير والنقش واتسعت وأتقنت غاية الاتقان وكانت قبلها فى حالة واحدة متشابهة وانتشرت عبادة المعبود أزوريس وعمت جميع الأنحاء وقد كانت قبلها قليلة إلا فى بعض المدن وانتهت سنو ملك العائلة المذكورة بموت الملكة نيتوقريس التى كانت آخر ملوكها وقامت بعدها العائلة السابعة والثامنة المنفية والتاسعة والعاشرة الأهناسية على الترتيب الآتى بعد.

الفصل السابع

(فى العائلة السابعة والثامنة المنفية)
(والتاسعة والعاشرة الأهناسية)

(قال أصحاب التاريخ) لم يتأت لأحد من جماعة الكتاب الاهتداء إلى معرفة

أخبار ملوك هذه العائلات ولا معرفة شيء من أخبارها فأن هذا الدور وهو الممتد من آخر الدولة السادسة إلى أوائل الدولة الحادية عشرة يعدّ من أشكل أزمان تاريخ مصر وملوكها ويقدّر بنحو أربعمائة وثلاثين سنة حتى إن مانيطون المؤرخ المصرى لم يتعرض لذكر أسمائهم ولم يأت على شيء من أخبارهم قالوا والغالب أنه إلى ذلك الحين لم تكن لتهتدى جماعة الكتاب على الجهات التى توجد فيها آثار هذه العائلات الأربع المذكورة (قال صاحب العقد الثمين) وهذا القول هو الأرجح ويؤيده ما ذكره مريت باشا فى تاريخه من أنه يوجد بوجه الظن لهذه العائلات آثار فى نواحى ميدوم والفنت وإهناس المدينة، وفى سائر المنطقة الأرضية التى فى مدخل وادى الفيوم قال غير أننا إلى الآن لم نطلع عليها ولم نقف على حقيقتها وما ورد عن مانيطون فى هذه العائلات الأربع هو أن العائلة السابعة كانت قاعدة حكمها مدينة منف وملوكها خمسة من غير أن يعين أسماءهم وكانت مدة حكمهم خمسة وسبعين يوماًوفى رواية سبعين يوماً وفى أخرى سبعين سنة. وقد ذكر بعض الكتاب ابتداء ملكهم فقال ملكوا سنة خمسمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة اثنتين وعشرين ومائة وأربعة آلاف قبل الهجرة والذى وجد من أسمائهم فى ورقة تورينو أربعة وهم نفر كارع. وقد حكم سنتين وشهراً ويوماً ونفروس وقد حكم أربع سنين وشهرين ويوماً وآخر ومحل اسمه مقطوع من تلك الورقة وقد حكم سنة واحدة وثمانية أيام.

وأن العائلة الثامنة كانت قاعدتها مدينة منف وملوكها سبعة وعشرون ملكاً وفى رواية تسعة عشر وقيل تسعة وقيل خمسة ملوك ومدة حكمهم مائتان واثنتان وأربعون سنة وفى رواية مائة سنة وأن ابتداء ملكهم كان سنة خمسمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة اثنتين وعشرين ومائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وأن العائلة التاسعة كانت قاعدة ملكها إهناس المدينة المتآخمة لمدينة بنى سويف على شاطىء بحر يوسف وملوكها تسعة عشر وفى رواية أربعة لم يعلم منهم سوى ملك واحد واسمه (اكتوس) وكانت سنو ملك هذه الدولة مائة سنة وتسع سنين وقيل مائة سنة وكان ابتداء ملكهم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وأن العائلة العاشرة كانت قاعدتها إهناس المدينة أيضاً وعدة ملوكها تسعة عشر وسنو ملكهم مائة وخمس وثمانون سنة وكان ابتداء حكمهم سنة تسع وأربعين ومائتين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة قالوا وقد وجد بعض أسماء-ملوك هذه العائلات الأربع منقوشاً على لوحة حجرية فى هيكل سيتى الأول بالعرابة المدفونة (قال صاحب العقد الثمين) ومرتب فى هذا الجدول على الصورة الآتية:

نمرة اللوحة	أسماء	ألقاب	نمرة اللوحة	أسماء	ألقاب
٤٠	نتركارع		٤٩	نفركارع	ترل
٤١	منكارع		٥٠	نفر كاحور	بيبي سنب
٤٢	نفركارع		٥١	نفركارع	
٤٣	نفركارع	نبي	٥٢	نفر كارع	عنو
٤٤	دد كارع	شما	٥٣	كورع	
٤٥	نفر كارع	خوندو	٥٤	نفر كورع	
٤٦	مرنحور		٥٥	نفركو حور	
٤٧	سنفركا		٥٦	نفرار كارع	
٤٨	رعنكا				

قال وهذا أصح ترتيب وجد لأسماء ملوك هذه العائلات وكان سبب انقراض العائلة السابعة والثامنة هيجانا داخلياً استمر نحو مائة وخمسين سنة ثم بعدها ظهرت العائلة التاسعة والعاشرة من إهناس المدينة التى كانت تسمى قديماً (خيتنسو) وتسميها اليونان (هيرقليوپوليس) وهى على قيد ثلاثين فرسخا من منف وكان موقعها جهة الغرب فى جزيرة عظيمة أحدثها فرع النيل الذى كان جارياً إذ ذاك تحت سفح جبل ليبيا ولم تكن إهناس المذكورة دار سياسة والذى أشهرها ملك يدعى (أخيثوس) مذكور اسمه فى كتب اليونان أنه من هذه العائلات وكان رجلاً جباراً متمرداً ظلوماً فأصيب فى آخر أيامه بالجنون ثم ابتلعه تمساح كما رواه هيرودوتس المؤرخ وكانت مدة حكم هاتين العائلتين ستمائة وقيل ثلثمائة سنة ولم يذكر أصحاب التاريخ أن كان حكمها عم ديار مصر جميعها أو تناول بعضها. قالوا وإنما قد تحقق من الآثار أنه حصل بين الملكين المتممين للعائلة العاشرة وبين أمراء طيبة بالإقليم القبلى محاربات انتصر فيها الأمراء على الملكين المذكورين ثم تعاهدوا على ترك الأقاليم القبلية للأمراء المذكورين بشرط أن يحكموا بالتبعية لملوك إهناس المدينة ولكن لم يلبث الأمراء طويلاً حتى خرجوا وجعلوا لهم عائلة أى دولة مخصوصة هى الدولة الحادية عشرة وأقاموا عليهم انتف الأول والياً يحكم بالتبعية لملوك إهناس المدينة وانتف هذا هو رأس هذه العائلة انتهى ببعض تصرف.

الفصل الثامن

(فى العائلة الحادية عشرة الطيبية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة ثـلاثين ومائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة خمسين وسـبعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجـرة وكان عدة ملوكها سـتة عشر ملكا لم يشتهـر منهم بالأخبار سوى تسـعة وكانت مدة حكمـهم ثلاثاً وأربعين سنة ولكنهم كانوا تابعين لملوك إهناس المدينة ولذلك لم تتوسع جـماعة الكتاب فى ذكر مآثر كل واحد منهم إلا الملك (منتوحب) الرابع (ومعنخ كارع). قال صاحب العقد الثمين قد كـانا ملكين يحكمـان بالأصـالة اهـ. وأول من ملك مـن هذه العـائلة الملك انتف الأول.

(فى الملك انتف الأوّل)
(الذى يقال له أيضاً
انتف عا الأول)

هو رأس ملوكَ الدولة الحـادية عشـرة وقد حكم البـلاد بالتبـعيـة لملوك إهناس المدينة، ولذلك لم يدرج اسمه داخل خانة ملوكيـة كالفراعنة لأنه لم يكن أصيلاً بل كان والياً على الإقليم القبلى، وكان ملكاً مهيباً جليل القدر ذا شوكة عظيمة وله هرم علٰى ضفة الصحراء فى الجهة المعروفة الآن بذراع أبى النجا بمديرية قنا مبنى بالطوب ... جـعل فى وسطه ضريحـاً كساه بالحـجر الأبيض وأتقـنه غاية الإتقـان قالوا: ...جد أهل تلك الناحية جثتـه داخل هذا الضريح موضوعة فى تابوت غطاؤه مطلى بالذهب وعليه اسمه ولكنه فقد.

قال صاحب العقـد الثمين وكذا وجد فى داخل الضريح حـجر مؤرخ فى السنة المتمـمة للخمسـين من حكمه وعليه رسم صورته وعلى رأسـه تاج الثعبان وبجـانبه أربعة كلاب كـان يحبها مـدة حياته وكان له ولد يدعى (منتـوحتب الأول) لقب فى أيام أبيه بولى العهـد وحكم البلاد القبلية تحت سلطة ملوك إهنـاس المدينة فلما مات أبوه تولى الحكم بعده ووضع اسمه فى خانة ملوكـية اهـ. ولم تصل جماعة الكتاب إلى معرفة شىء من أخباره ثم مات فـقام بالأمر بعده (انتف عا الثانى) ولـم يوجد له أثر يذكر غـير تابوته الذى صار العـثور عليه فى جـهة الأصاصـيفّ بقرب ذراع أبى النجا ثم مات.

فقام بالأمر بعده منتوحتب الثانى، ومات ولم يقف أحد من الكتاب على شيء من أخباره.

فقام بالأمر بعده انتف الثالث ولم يوجد له أثر يذكر ومات.

فقام بالأمر بعده منتوحتب الثالث وله صورة منقوشة على أثر فى جزيرة الكنوز القريبة من قصر أنس الوجود على شكل مقاتل منصور على ثلاث عشرة أمة أجنبية متوحشة وبجانبها نقوش معناها أنه يعترف بالمعبودة (لخم) معبودة قفط التى كانت يومئذ محصنة بالحصون والقلاع للدفاع عن وادى الحمامات وكانت مستودع الذهب والحجارة النفيسة التى كانت تستخرج من ذلك الوادى وكان بينها وبين بلاد العرب علاقة تجارية وقد زادت هذه العائلة بهجتها ورونقها بما أحدثته فيها من المبانى والعمائر العظيمة قالوا: (ولمنتوحتب) هذا نقوش فى وادى الحمامات منها ذكر والدته المسماة (أمّ) ومنها حثه الناس على الاهتمام باستخراج المعادن النفيسة من هذا الوادى، ومنها أنه حفر بئراً فى وسطه عمقها عشرة أذرع مصرية سبيلاً للواردين.

(قال صاحب العقد الثمين) ووجد له أيضاً فى هذا الوادى نقوش مؤرخة فى اليوم الخامس عشر من شهر بابه سنة اثنتين من حكمه يذكر فى أولها توسلات للمعبود (خنم) ثم يقول فيها لرجل اسمه (أمنمحعت) انقل تابوتى وغطاءه من هذا الوادى إلى طيبة فتقرب هذا الرجل أولاً بقربان إلى معبوداته ثم جمع ثلاثة آلاف رجل على هذا التابوت وأنزلوه فى سفينة على ظهر النيل حتى أوصلوه إلى طيبة اهـ. فلما مات قام بالأمر بعده (انتف الرابع) وكان ذا تدبير حسن وسياسة حازمة فما زال حتى نزع الإقليم القبلى من ملوك إهناس المدينة واستقل بالحكم عليه وأخضع أيضاً أهل آسية الشمالية (قال ماسبرو). وقال إنى استوليت على الوجه البحرى أيضاً ولكن لا صحة لقوله لوجود ملوك إهناس المدينة المتأصلين فى الوجه البحرى اهـ. وله آثار أخرى ومات فدفن فى ذراع أبى النجا.

وقام بالأمر بعده (منتوحتب الرابع) ولقبه (نبخررع) فلم يستقر به المنصب حتى ركب على ملوك إهناس وأخذ يقاتلهم ليستخلص منهم الوجه البحرى وما زال على قدم الحرب والقتال حتى ظفر ونزعه منهم واستبد بملك مصر وادعى أنه المؤسس لهذه العائلة وابتنى له هرماً سماه (خوستو) ومعناه أبهى الأماكن لم يعلم محله وإنما استدل على اسمه من حجر وجد فى العرابة المدفونة لكاهن كان خادماً فيه ثم مات (منتوحتب) هذا.

فقام بالأمر بعده (سعنخ كارع) فلما استقر به المنصب سهل المواصلات ومهد

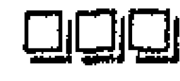
العقبات التى كانت بين بلاد العرب وديار مصر ونقش على حجر فى وادى مغارة نقشا ذكر فيه ما ترجمته عن شاباس.

(ويقول حنو) أرسلنى الملك لأوصل السفن إلى بلاد العرب ولأحضر له الصمغ ذا الرائحة الذكية. يعنى البخور الذى جمعه رؤساء الصحراء للملك خوفاً منه لأن رعبه عم جميع الأمم فتوجهت من قفط ومعى جنود من جنوب طيبة يخفرون التجريدة المرسلة لمقاتلة الأعداء فى بلاد العرب وعددها ثلاثة آلاف رجل وكان معى أيضاً نحاتون وعمال وضباط فمررت بالكفر الأحمر ثم بأرض مزروعة وأعددت معي قرباً وآلات لحمل زلع الماء، وكانت عشرين زلعة فصارت تحملها الرجال مع التناوب وحفرت أربعة أحواض أحدها كان فى غابة متسعة ومقاسه اثنتا عشرة قصبة واثنان فى محل يدعى (اتاحتت) مقاس أحدهما قصبة واحدة وعشرون ذراعاً ومقاس الآخر قصبة وثلاثون ذراعا ورابعها كان فى جهة تدعى (آتب) طوله عشر قصبات فى مثلها وعمقه ذراع واحد ثم وصلت إلى سبا وأنشأت هنا سفنا لنقل المحصولات من مين البقيع ورجعت من سبا إلى (واك) و(رهان) فأحضرت منهما الحجارة النفيسة لتماثيل المعابد ولم يحصل مثل ذلك من قبل وكذا لم يعهد أن أحدا من أقارب الملوك أرسل إلى تلك الجهات غيرى وإنما فعلت ذلك لفرط محبة الملك لى اهـ. (قال شاباس) المترجم لهذه الحكاية أن (حنو) هو أول من فتح الطريق الموصل من قفط إلى بلاد العرب بأمر الملك (سعنخ كارع) وجعل فيها خمس محطات وعيونا للماء فكانت سببا لترتيب المواصلات فيها وسلوكها بالقوافل التى كانت تأتى بالبضائع والسلع من بلاد الهند والعرب إلى مصر واستمر هذا الطريق كذلك إلى عصر اليونان والرومان.

وكان المصريون يطلقون على حضرموت واليمن اسم (پون) فاستعار العرب هذا الاسم ووضعوه للقهوة المعروفة بالبن وصار علما لها إلى يومنا هذا (قال مريت باشا) وقد وجد فى ذراع أبى النجا جملة من آثار هذه العائلة يرى عليها علامات الغلظ وهى عدة ألواح حجرية مستديرة من أعلاها وبعض أمتعة وأوان وفاكهة وخبز وملبوسات وشىء من أثاث البيوت والأسلحة وآلات الصناعة وكل ذلك محفوظ بخزانة التحف ببولاق. قال: وقد اصطلح أهل هذا العصر على أنهم يرسمون فوق توابيت موتاهم أشكالاً بأجنحة على هيئة الطيور ويلوّنونها بألون مختلفة باهرة إشارة إلى ما كان من جملة عقائدهم الدينية من أن إحدى معبوداتهم المسماة (إزيس) كانت تحنو على أخيها (أزوريس) بالتجنيح عليه بذراعيها فشبهوا الميت بآزوريس ووضعوا

صورته على توابيت الموتى. قال وإلى الآن لم يستوعب جميع آثار هذه العائلة اهـ.

(قال مـانيطون المؤرخ) وضعفت شـوكة من قامـوا بالأمر بعـد الملك(منتوحب الرابع) وزال بأسهم وتقهقروا فكان ذلك سبباً فى انتقال الملك منهم إلى العائلة الثانية عشرة بعد أن ظلوا قابضين على زمام حكم البلاد نحو ثلاث وأربعين سنة اهـ. قلت فانتهت الطبقـة الأولى بانتهاء هذه العائلة وظهرت الطبقة الثـانية بدور جديد ومظهر مفـيد فزادت البلاد فى أيـامها بهجـة وعمراناً والعلوم والصنائع تـقدماً وإتقاناً كـما سيذكر فى محله.



الباب الثانى
(فى الطبقة الثانية)

(قال أصحاب التاريخ): كان ظهور الطبقة الثانية من ملوك مصر فى سنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وعدة من تملك منها ست عائلات من العائلة الثانية عشرة إلى آخر العائلة السابعة عشرة وفى رواية من الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة والأولى أرجح ، وكانت سنو ملكها ألف سنة وثلثمائة وإحدى وستين سنة.

الفصل الأول

(فى العائلة الثانية عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وثلاث عشرة سنة، وقد اتخذت قاعدة مملكتها مدينة طيبة فلما استتب لها الأمر عملت على توحيد حكومة البلاد وجعلها مملكة واحدة تحت حكم ملك واحد. وقد كانت إلى هذا الحين منقسمة إلى حكومات مختلفة حاكمة فى وقت واحد فنجحت وفازت وصارت البلاد كلها فى أيامها مملكة واحدة وكان عدة ملوكها ثمانية أولهم الملك امنمحعت الأول الملقب سحب أبرع وهو الآتى ذكر أخباره بعد.

فى الملك امنمحعت الأول

لما ارتقى امنمحعت الأول سرير الملك نهض إلى قتال الأعداء الذين كانوا يشنون الغارة على البلاد وقد كانوا أحزاباً من سكان ليبيا والنوبة وآسية اجتمعوا على قتاله فقاتلهم حول قلعة تاتوى التى كانت غربى مدينة منف وما زال بهم حتى انتصر عليهم وتغلب وأخذ منهم منف وتعقبهم حتى طردهم عن البلاد، وعاد غانماً قال صاحب العقد الثمين: ولما طرد هؤلاء الأحزاب واستتبت الراحة فى عموم مصر قال مقالة مكتوبة فى ورقة سالير تعريبها:

فرجت عن الحزين حزنه فلم يسمع أنين صوته وانطفأت بهمتى نار الحروب وزالت الثورات والكروب وكان الناس من قبلى كثور يضرب وهو لا يشعر بماض ولا

آت ولم يكن للجاهل والعالم راحة فى جميع الحالات ووسعت الفلاحة إلى جزيرة أسوان ونشرت علائم الأفراح إلى روضة يحيط بها البحران واقترحت فى ملكى ثلاثة أصناف من الحبوب وأحببت (تبرا) أعنى إله الحب المحبوب كيف لا وقد فاض النيل من جدواى على جميع الأرض فلم ير من جائع فى مدتى ولا من ظمآن تحت سلطتى وما هذا إلا لامتثال الرعية أوامرى واستماعهم كلمتى وتمسكهم بأفكارى فلهذا قهرت السبع وقطعت دابر التمساح وظفرت بأقوام (واواى) فنعم هذا الفلاح وأخذت (المتاشيو) أسارى وألزمت أهل آسية السير بجانبى كالأرانب حيارى اهـ.

قال: وكان لهذا الملك العاقل ولد ذكى فلما آنس منه رشدا صار يخبره بأحواله وطباعه فى الحروب وغيرها وهذه ترجمة ما قاله لابنه فى ورقة سالير: متى جن الليل، استغرقت ساعة فى السرور ثم تمددت على فرش لينة بقصرى وتهيأت للراحة لتأخذنى سنة النوم وهكذا عادتى فإذا عصتنى جماعة وتظاهرت علىّ بالعدوان أظهرت لهم أولاً الضعف كالثعبان البرى ومتى تهيأت لقتالهم لم أجد أحدًا منهم يقاومنى فى القتال وبذا لم تنبنى نائبة طول عمرى، وإذا انتشر الجراد وأضر بالعالم أو أضمر أحد إحداث الشقاق فى قصرى أو كانت زيادة النيل غير كافية أو نضب الماء من الصهاريج كنت أجتهد فى إصلاح ذلك اهـ.

وقد اعتنى امنمحعت المذكور فى استخراج الذهب من النوبة، وكان قد أهمل أمره من عهد الملك (بيبى) وقاتل بعض طوائف الزنوج وأدخلهم تحت الطاعة وغزا بنى (واواى) وقد كانوا من ألد أعداء المصريين من قديم الزمان ولكنهم لم يلبثوا أن فارقوا أوطانهم ونزحوا عنها تخلصاً من خضوعهم إليه قال بركش: إن سواحل المنزلة الشرقية التى كانت معمورة بأخلاط من المصريين ومن قبائل آسية كانت كما قيل خارجة عن حكمه، وقد شيد لنفسه هرماً سماه (كانفر) أى الهرم العالى الجميل وبنى هيكلاً عظيماً لمعبودات منف فتنافس من أتى بعده من الملوك فى توسيعه وتحسينه وبالغوا فى ذلك ، ثم بعد استقلاله بالملك عشرين سنة أشرك معه فى الحكم ابنه المدعو أوسرتسن الأول وكتب ذلك فى صحيفة وجدها سالير وتعريب ما فيها:

رفعتك يابنى من بين الرعية وأطلقت لك التصرف كى يخافوك ويهابوك أما أنا الآن فأتزين برفيع الأقمشة لأظهر للعيون كنبتة من بت بستانى وأعطر نفسى بالعطريات الكثيرة كأنما أنثر علىّ ماء من صهاريجى اهـ.

وكانت مدة مشاركة ابنه له فى الملك عشر سنين من غير منازعة بينهما فظهر ابنه بين الرعية بمظهر أطفأ مظهر أبيه واتسعت كلمته وعلت شهرته، وكان للملك

امنمحعت كتاب بين فيه قصة حياته وكان نفيساً جداً حسن العبارة فتداول تعليمه أهل المدارس القديمة وتنافسوا فى ذلك وكان مانيطون يسميه باسم أفنمس ومات بعد أن حكم ست عشرة سنة وفى رواية ثلاثين سنة فانفرد بالأمر بعده ابنه أوسرتسن الأول الملقب خپر كارع.

(فى الملك أوسرتسن الأول)

لما مات الملك امنمحعت استبدّ ولده أوسرتسن بالملك فكان ملكاً جليل القدر عالى الهمة محبوباً استمال إليه قلوب الرعية بمظهره العظيم وهو صاحب المسلة الكبيرة المنصوبة بالمطرية، وقد كانت أمام هيكل الشمس المدعو أتوم تعظيماً لهذا الهيكل لما كان له من الشهرة الواسعة وكانت تؤمه الناس فى كل وقت لأداء شعائر دينهم وصنع بجانبها مسلة أخرى ولكنها تكسرت ولم يبق لها أثر أما الأولى فباقية إلى يومنا الذى نحن فيه وعليها نقوش بالقلم الهرمسى. قال صاحب العقد الثمين: وملخصها أن الملك المنصور حياة كل موجود سلطان الوجه القبلى والبحرى خپر كارع صاحب التاجين وسلالة الشمس أوسرتسن المحب لمعبودات المطرية دام بقاؤه صنع هذا الأثر فى مبدأ العيد الرسمى لتخليد ذكره وإحياء لهذا العيد اهـ. قال ماسپرو: وكان هذا اليوم يعنى يوم العيد الرسمى محترماً عند المصريين حتى أن الملك أوسرتسن الأوّل نصب فيه المسلتين المذكورتين فى مدينة المطرية، وكانت هذه المدينة محدقة بصور وفيها أصنام هائلة بين قائم على قواعد وقاعد على نصبات عجيبة طول كل صنم منها ثلاثون دراعاً وأعضاؤه على تلك النسبة ووجد أيضاً بجوار قرية بجبيج جهة الفيوم لهذا الملك مسلة ثالثة عليها نقوش تتضمن أنه نصبها تعظيما لمعبودات الفيوم أمام باب هيكل قد دمر الآن. قال وكان فى عصره رجل اسمه (امنى) قد بنى له مقبرة فى بنى حسان مكتوباً عليها مناقبه وملخصها. أن (امنى) هذا مات اليوم الرابع عشر من بؤنة سنة ثلاث وأربعين من حكم الملك أوسرتسن الأوّل وقد كان سافر مع الملك فى البحر والبر لقيادة الجيش المرسل لقتال الأعداء فى جهتى (كنت) (وأتو) ببلاد الايتيوبيا فتغلب عليهم وظفر بهم وعاد معه سالماً، ثم أرسله الملك ثانياً بأربعمائة رجل لجلب سبائك الذهب من تلك الجهة فلما أحضرها غمره بإحسانه ثم عينه ثالثاً لتوريد البقر الحلوب للقصر الملوكى فقام فى تحصيل ذلك خير قيام ثم جعله ناظراً على قسم (سعح) الذى كان شرقى المنية فلم يظلم فى حكمه فقيرا ولا أرملة ولا صيادا ولم يطرد راعيا ولم يسخر فى أعماله

أحداً بل سقى العطشان وأطعم الجوعان ولما حصلت فى زمنه السنون المجدبة اجتهد فى زرع جميع أرض قسمه وأطعم سكانه وجلب لهم المأكولات فلم يجع أحد منهم، وكان يسوى فى العطاء بين الأرملة والمتزوجة وبين الكبير والصغير ولما وفت زيادة النيل أخذ كل زارع محصول أرضه من غير أن يأخذ منه (امنى) شيئاً اهـ.

(ورأى أهل التاريخ) أن هذه الرواية قريبة من قصة يوسف عليه السلام فظنوا أن أوسرتسن الأول هذا هو فرعون يوسف الذى وقع القحط فى أيامه لأهل مصر وعندى أن هذا الظن بعيد عن الصواب لأن مدّة يوسف بن يعقوب لا توافق هذا العصر واعتنى هذا الملك أيضاً باستخراج الأحجار النفيسة من جبل الطور وكان جليل القدر مسموع الكلمة فى تلك الأصقاع، وكان من مشاهير عصره أمير اسمه (منتوحتب) قال صاحب العقد الثمين: وله قصة منقوشة على حجر في متحف بولاق حاصلها أنه كان ناظر الداخلية والحقانية والأشغال العمومية والديانة، وكان عادلاً مشرعاً عالماً فمهد كل أمر فى ديار مصر وأقام شعائر الدين وحامى عن الفقير والعاجز وأعطى الأمان لمن شاء وقاتل أعداء الملك وتغلب على أهل آسية وسكن هيجان الوادى والعبيد وكان له الأمر والنهى فى الوجه القبلى والتصرف فى وضع الضرائب على الوجه البحرى وصنع له محراباً ملاصقاً لمعبد أزوريس بالعرابة المدفونة وحفر فيه بئراً اهـ.

وقبل موت أوسرتسن هذا رسم لمهندسه المسمى مرى أن يبنى له مقبرة فبناها وجعل بداخلها أودا بطرقات مقامة على أعمدة وجعل فيها حوضاً متصلاً بالنيل وعمل لها أبواباً ومسلات ووجهة من حجر طرا الأبيض ثم مات بعد أن حكم خمساً وأربعين سنة وفى رواية مانيطون ستاً وأربعين وكان مانيطون يسميه سيسونخوسيس. فقام بالأمر بعده امنمحعت الثانى الملقب تب كورع.

(فى الملك امنمحعت الثانى)

لم تذكر جماعة الكتاب عن الملك امنمحعت هذا شيئاً من الأخبار سوى ما قاله بعضهم من أن المصريين كانوا فى أيامه في قتال وحروب هائلة مع طوائف الأيتيوبيين بغية توسيع مملكتهم وتقوية حدودها فى تلك الأنحاء وأن الملك امنمحعت المذكور كان متزوّجاً بالملكة نفرت ومعناها الجميلة وكان مانيطون المؤرخ يسمى هذا الملك باسم أمانمس وقد حكم ثمانياً وثلاثين سنة ومات فقام بالأمر بعده الملك أوسرتسن الثانى.

(في الملك أوسرتسن الثاني)

تولى الملك أوسرتسن الثانى فأحسن التدبيـر وحافظ على حدود المملكة واجتهد فى بقاء شهرتها التى أوجدها أسلافه وقد كانت الحدود يومئذ تمتد إلى بلاد الايتيوپيا ومن آثار عصر أوسرتسن الثانى المذكورة مقبرة (خنوم حتب) الموجودة فى بنى حسان وعليها أجمل نقـوش. قال صاحب العقد الثمين: وهى مـبينة لبعض أحكام الوراثة فى ذلك العصـر إذ يفهم منهـا أن خنوم حتب بن (نحـر) وأمه (بوقت) كـان قريب الملك وصنع هذا الأثر لتخليد ذكره وذكر مستخدميه الذين عملوا الخيرات، وذكر من امتاز من فلاحيه بالدرجة العالية وبين كل صنعة ووظيفة تحت رسم صورته وأخبر أن الملك امنمحعت الثانى أورثه الحكم الذى كان لجده من أمه على البلاد الشرقية بجهة المنية وأورثه أيضاً وظيـفة الكهانة للمعبودين (حور) (وبخـت) التي كانت لجده أيضاً بعد أن وضع له الحدود بنفسه في كل جهـة ووزع على الأراضي مياه النيل كما كان جارياً لجـده من قبله وسـبب توريث الحكم إليه مـن جده هو أن الملك امنمـحعت الأوّل أمر بتعيين جده رئيساً على البلاد الشرقية جهة المنية وبعد أن مهدها له وأخمد عصيان أهلها وأصلح ما دمر منهـا وبين حدودها بنفسه ووضع عليها الضرائب على حسب المحصولات ووزع عليها المياه كما كان مقرراً في السجل جعل هذا الجد ناظرا على قسم (سـعح) بعد أن بين له حدود ومـياه ذلك القسم وأنـعم على ابنه المرحوم (نخت) برتبة حاكم على مدينة المنية إذ كان له حق الوراثة فيها.

قال: ولما تولى الملك أوسرتسن الأوّل أصدر قـرارا مؤيدا للأرشد من ذرية الجد برتبة الرئاسة فكانت والدتي (بوقت) هي السابقـة في الترؤس على مدينة امنمحعت الأوّل المسماة سحتب أبرع في قسم سعح فسـاغ لها بذلك أن تتزوّج بحاكم فتزوّجها الحاكم (نحـر) والدي وعلى ذلك أورثني امنمحعـت الثاني رتبة الرئاسـة على مدينة المنية التي كـانت لجدي وذلك سنة تسع عشرة من حكمـه فعملت ما فـيه الإصلاح لهذه المدينة وأحييت اسم والدي (نحر) وشيدت المعابد ووضعت تماثيلي فيها ورتبت لها مـا يلزم للقرابين وعينت لهـا قسيـساً أقطعتـه أراضي وأخدمتـه فلاحين ورتبت للأموات الصدقات في جميع أعيادهم الآتية وهي:

عيـد السنة الجديدة وعيد رأس السنة وعـيد السنة الكبيـرة وعيد السنة الصغـيرة وعيد آخر السنة والعيد الكبير وعيد الحر الأكبر وعيد الحر الأصغر وعيد خمسة أيام النسيء وموسم ورود المحـصولات ومواسم أنصاف الشـهور الاثنى عشر وفي كـافة أعياد الأحياء ومواسم الأموات وشرطت أنه إن بدل كاهن شيئاً من هذه الرسوم فهو معزول عن الخدمة ولا ينوب ابنه عنه. انتهى.

وكان خنوم حتب هذا من كبار المصريين وعظمائهم وكان يؤمه كثير من الناس لكرمه فمن أتى إليه قاصدا بابه عائلته من بني عمو القاطنين بآسية وكانوا سبعة وثلاثين فرسمهم في مقبرته بصورة أنهم قيام بين يديه خاضعون يشيرون إليه بالتحية ويسألونه أن يأذن لهم بالإقامة في جواره ورسم كاتبه المسمى نفر حتب كأنه يعرض عليه ورقة. قال صاحب العقد الثمين: مضمونها يعني مضمون الورقة المذكورة، في السنة السادسة من حكم الملك أوسرتسن الثاني قدم سبعة وثلاثون نفسا من بني عمو وأحضروا معهم من جهة (بتسو) معدنا يسمى (مستموت) هدية منهم للملك وكان هذا المعدن مرغوباً جداً عند المصريين ولذا كانت عرب البقيع المسماة عمو تأتي به إلى أهل مصر. اهـ.

قال ويرى على قبر خنوم حتب رسوم دالة على كيفية الفلاحة وأعمال الجهادية وطرق الموسيقى وتربية المواشي ومبينة لصور الملوك والأعيان وملاعيب اللهو وبعض قواعد الأحكام وتدبير المنازل وأثاثاتها وفيها أيضاً أعمال دينية وآثار تاريخية وفن الملاحة وعلم الحيوانات. قال: فمن أراد الوقوف عليها فليتوجه إلى بني حسان وينظر رسمها في قبر خنوم حتب هذا.

وقد استنتج بركش من حكاية خنوم حتب أن الرتب والوظائف والرئاسة في الأقسام والمدن كانت تورثها الملوك الذكور عن آبائهم وأجدادهم وأن الأجنبي كان لاحق له في الحكم إلا إذا تزوج امرأة لها حق الوراثة فيه وأن الملوك كانت تباشر توزيع المياه على الأراضي وتسجيلها في الدفاتر وضبط مساحتها ووضع الضرائب اللائقة بها وبهذه العادة الحميدة كان يمتنع الظلم والخصومة بين الأهالي. اهـ.

ومات الملك أوسرتسن الثاني بعد أن حكم تسع عشرة سنة. وقال مانيطون بل ثمانياً وأربعين سنة وسماه باسم سيسوستريس فقام بالأمر بعده الملك أوسرتسن الثالث الملقب خع كارع.

(في الملك أوسرتسن الثالث)

تولى الملك أوسرتسن الثالث فكان شهماً مهيباً صاحب عزم وحزم فاتسعت لذلك شهرته وكبرت شوكته وبلغت مبلغاً عظيماً جدًّا حتى عبدته الناس بعد موته وقد غزا مرارا طوائف العبيد المقيمين في جنوب مصر رغبة في توسيع حدود المملكة وأنشأ في وادي حلفا بالقرب من الشلال الثاني القلاع والحصون وقد بقي منها قلعتان للآن يعرفان بقمنه وسمنه لمنع دخول الأعداء جوف البلاد وفيهما يرى آثار

الأسوار الشامخة والبروج العالية والخنادق والنزلات وغير ذلك. قال صاحب العقد الثمين: وكان بداخلها معبد وعدة مساكن دمرت الآن وقد عثر على حجرين كانا مجعولين حدا فاصلا لبلاد مصر من جهة الجنوب مكتوب على أحدهما ما نصه:

هذا حد مصر الجنوبي وضع في السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث مخلد الذكر لا يجوز لأيّ أسود أن يتجاوز هذا الحد في أثناء سفره إلا سفنا فيها حيوانات من بقر ومعز وحمير من قبل بني الأسود. اهـ.

وفي آخر هذه الكتابة عبارة مضمونها لا يجوز لأي سفينة تابعة لبني الأسود خالية من الحيوانات المذكورة الدخول أثناء سيرها في بلاد مصر الجنوبية. والكتابة الموجودة على الحجر الثاني يفهم منها أن هذا الملك وضع سنة ست عشرة من حكمه هذا الحجر حدًّا فاصلا لبلاد مصر الجنوبية وأنه أمر بنصب تماثيله في تلك الجهة فلهذا ابتهل أهل النوبة بصالح الدعوات إلى أوسرتسن هذا بعد وفاته ومدحوه بأنه كان حامي حمى مصر، وكان رجلاً مقداماً ثم بعد مضى خمسة عشر قرناً أعني في عصر العائلة الثامنة عشرة شيد له تحوتمس الثالث معبداً في سمنه وكتب عليه ابتهالات كان يتلوها المصريون في ذلك الوقت وهذا تعريبها ملخصاً، أيها الأمراء الذين يحترمون معبودات جهاتهم إذا قربتم من هذا الأثر فاتلوا هذا الابتهال إلى معبود النوبة (توتون) وإلى الملك المرحوم أوسرتسن الثالث عسى أن يرحما فلاناً. اهـ.

وكان أوسرتسن الثالث المذكور كثير التعبد يحترم المعبودات ويشيد لهم الأبنية العظيمة وقد وجد على الآثار من قوله أنه في اليوم الثامن عشر من كيهك سنة أربع عشرة من حكم الملك أوسرتسن الثالث مخلد الذكر ومحب (خم حر) معبود مدينة قفط صدر أمر منه بصنع أثر في وادي الحمامات (لحرشف) معبود أهناس المدينة. اهـ. وله هرم في دهشور ثم مات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة فقام بالأمر بعده الملك امنمحعت الثالث الملقب عنامعت.

(في الملك امنمحعت الثالث)

تولى الملك امنمحعت الثالث فأحسن التدبير وخلد له ذكراً لا يمحي بما شيده في الفيوم من المباني الجسيمة والعمائر النافعة، وذلك أنه لما كانت ديار مصر وزروعات أرضها بين عاملين هائلين هما الغرق والشبرق وكان إذا وقع أحدهما في إحدى السنين كانت الطامة الكبرى على البلاد وأهلها وكان الملك امنمحعت المذكور

كبير العناية بأمر مملكته شديد الرغبة في إسعادها وإيرادها موارد الغني والتقدّم نهض إلى تلافي هذه الأضرار وجعل البلاد في مأمن منها وكان في الصحراء الغربية من مصر بادية عظيمة تصلح للزراعة وهي التي تعرف الآن بوادي الفيوم وكانت كما قاله بعض الكتاب تتصل بوادي النيل الأصلي بقطعة من الأرض كالبرزخ وفي وسطها قطعة أرض مستوية سطحها يضاهي سطح مزارع مصر وفي جانبها الغربي أرض منخفضة متسعة جداً تغمرها مياه بحيرة طبيعية هي التي تعرف الآن ببركة قارون تبلغ من الطول أكثر من عشرة فراسخ فرسم بحفر بركة في وسط تلك القطعة الأرض المستوية وجعلها مستودعاً للماء عرفت ببركة موريس فإن كانت زيادة النيل ضعيفة فتحت البركة المذكورة فيخرج من المياه المخزونة فيها ما يكفي لري مزارع بادية الفيوم بل سائر أراضي الجانب الأيسر من النيل إلى البحر الأبيض، وإن كان النيل كثيراً جداً بحيث يخشى منه تكسير الجسور صرف القدر الزائد عن المنافع إلى تلك البركة الجديدة فإن طفحت فيها المياه انصرف ما زاد عنها إلى بحيرة قارون بواسطة قنطرة تسد وتفتح بحسب الحاجة.

وكان الملك يرسل في كل سنة قبل ارتفاع النيل جماعة إلى النوبة يستكشفون زيادة النيل جهة سمنه وقمنه ولذا يرى في تلك الجهة نقوش بالقلم البربائي معناها على ما رواه جماعة من الكتاب هكذا، إلى هنا وصل ارتفاع النيل في السنة الرابعة عشرة من حكم الملك امنمحعت الثالث خلد ذكره . اهـ.

قال العلامة لبسيوس وكان فيضان النيل في عصر العائلة الثانية عشرة يزيد عن أكثر فيضانه الآن جهة سمنه وقمنه ثمانية أمتار وسبعة عشر سنتميتراً وأن زيادته المتوسطة في عصر امنمحعت الثالث تزيد على فيضانه الحالي سبعة أمتار . اهـ.

قال صاحب العقد الثمين: فيتضح لك مما تقدم أن بركة قارون كانت طبيعية وبركة موريس صناعية وكانت الأولى كثيرة الأسماك والثانية يصب فيها ماء النيل من ترعتين وقت زيادته ثم يحجز فيها بواسطة سد فإذا كان وقت الشرق فتح هذا السد فيسقى الأراضي المجاورة لبركة موريس، وكانت إحدى هاتين الترعتين تتفرع من النيل بجانبه الغربي ثم تجري تجاه بحر يوسف الحالي وكان باب السد موضوعا في مجمع الترعتين والترعة الثانية كانت تجري جهة الشمال وكانت معدة لتوزيع المياه على الأرض عند الشرق وكان في وسط بركة موريس المذكورة هرمان في كل منهما تمثال جالس فالهرم الأول كان فيه تمثال زوجته المسماة سبك نفرورع وقد وجد رسم هذه الملكة في صحيفة موجودة بمتحف بولاق وسماها اليونانيون باسم موريس يعني

تلك البحيرة وأصلها (مرى) ومعناهـا (بحيرة) اذ من عادتهم أن يضعوا حرف السين آخر أسـماء الأعـلام عندهم فلذا حولوا كلمـة مرى إلى مـوريس. وقالوا (بحـيرة موريس) زاعمين أن مـوريس هذا اسم لأحد الفراعنة المصريين والحقـيقة ليس بشيء قال بعض الكتاب:

وأما الفيوم فأصلهـا بايوم أوفايوم ومعناه بالهرمسية بلد البـحر ثم عربها العرب فقالوا: الفـيوم وأطلقوه على نفس الإقليم تسـمية للأرض باسم الماء الذي أخصـبها باقتراح الملك امنمحعت الثالث ومن أعمـال هذا الملك السراى الشهيرة باسم لابيرانتا وتسمى بالقلم الهـرمسي لابوراخونت ومعناها مـعبد فم البحيـرة وكان ينعقد فـيها مجلس الأعيان من كهنة المصريين للمداولة في أمور السياسة وكان بداخله اثنتا عشرة رحبة متقابلة الأبواب ستة على الشمال وستة على اليمين، وهذه العمارة محدقة من الخارج بسور كبير وفيها ثلاثة آلاف أودة منها ألف وخمسمائة في الدور الأوّل وألف وخمسمائة فـوقها وفيها أيضاً إيوانات ورحبات وجـميعها مسقوفة بالحـجارة ومقامة على أعمـدة من الحجر الأبيض منتظمة الصـفوف وفي آخر هذه العمـارة هرم مزين بالرسومات العـجيبة والأشكال الغريبـة يتوصل إليه بسرداب تحت الأرض وفيـه قبر امنمحعت الثالث الذي دفن فيه.

(وذكر اسـترابون) أن الأماكن التي داخل تلك العـمارة كانت بعدد أقـسام ديار مصر القديمة فكـان لمندوب كل قسم محل مخصوص فيـجتمعون فيـها إما بأمر من الملك أو على مقـتضى قانون البلد لـكي يتداولوا في أحوال بلادهم كـوضع الرسوم والأموال وتغيير الملك أو العائلة وهذه العمارة موضـوعة في الجهة الشرقية من بحيرة موريس على ربوة واسعة مربعة طولها مائتا متـر وعرضها مائة وستون متراً، وكانت وجهتها المطلة على بحيرة موريس مصنوعة من الحجر الأبيض فإن دخلها إنسان ضل عن الطريق، ولم يهـتد للخروج منهـا لكثرة أماكنهـا وأحجارهـا مجلوبة من وادي الحمامات بدليل ما وجد عـلى صخور الوادي المذكور من النقوش الدالة على أنه في السنة التاسعة من حكم الملك امنمحعت الثالث سار هذا الملك بنفسه إلى هذا الوادي لجلب الحجارة للعـمارة الجاري العمل فيـها بمدينة الفيوم، وصنع تمثـالاً لنفسه على شكل جالس ارتفاعه خمسة أذرع وهو المـذكور آنفاً، ويرى أيضاً في وادي الحمامات نقوش أخـرى تفيد أن الملك أرسل هناك جـماعة من المهندسين لمبـاشرة قطع ونجت الأحجار ولعمل التـماثيل المطلوبة له ووجد فيه أيضاً نقـوش من أعمال بعض رجال دولته يفـهم منها أن لهذا الملك مآثـر كثيرة منهـا استخراج بعض المعـادن من بحيث

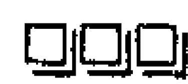
جزيرة جبل الطور وأخصها معدن الفيروزج ومنها أنه قاتل الزنج وفتح بلادا كثيرة. اهـ.

ومات الملك امنمحعت الثالث المذكور بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة. وقال مانيطون بل حكم ثمان سنين وكان يسميه باسم أمرس فقام بالأمر بعده الملك امنمحعت الرابع الملقب معت خرورع وأخته سبك نفرورع.

(في الملك امنمحعت الرابع) وأخته (الملكة سبك نفرورع)

تولى الملك امنمحعت الرابع وأخته الملك سبك نفرورع معاً وحكما بالاشتراك وكانت ولاية أخته بحق الوراثة كالملكة (نيتوقريس) من العائلة السادسة ولم يعلم من أخبارهما شيء يذكر غاية ما كتبه أصحاب التاريخ أنه قد استدل من الآثار على أن حدود المملكة المصرية كانت تمتد في عصر هذه العائلة إلى بلاد النوبة، وكانت ملوكها متسلطة على بحيث جزيرة الطور وكان بين المصريين وبين سكان ليبيا الشمالية وأهل آسية أشغال ومعاملات تجارية كان مركزها بين مدينتي بني سويف واهناس المدينة ولهذه الأسباب اختلط المصريون بالليبيين فتعلم المصريون عن الليبيين ألعاب المصارعة، وكان الزنوج في أيام هذا الملك يأتون إلى بلاد مصر أفواجاً لخدمة أهلها، وكانت العلوم والصنائع في أيام هذه العائلة بالغة حد الكمال والمدارس في نجاح وتقدّم وحدود البلاد وأقسامها وحركة نيلها في انتظام غريب وأتقن فن البناء وصناعة الأحجار ولذلك قال أصحاب التاريخ إن أغلب ما يوجد في الأقاليم القبلية من الأعمدة الحلزونية الشكل هو من أعمال هذه العائلة دون غيرها.

ومات الملك امنمحعت الرابع المذكور وأخته الملكة نفر ورع ولم يذكر أصحاب التاريخ أيهما مات أولاً وإنما يستنتج من جدول أسماء هذه العائلة المنقول عن الآثار وجدول مانيطون المؤرخ أن مدة حكم الملك امنمحعت الرابع المذكور كانت تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام حسب الآثار وثمان سنين حسب ما قاله مانيطون وكانت مدّة حكم الملكة نفر ورع سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً كما دلت عليه الآثار وأربع سنين كما رواه مانيطون وبموتهما انقرضت الدولة الثانية عشرة المذكورة وقامت بعدها الدولة الثالثة عشرة الطيبية.



(الفصل الثاني)

(في العائلة الثالثة عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة وألفين قبل الميلاد المسيحي أي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها أربعمائة وثلاث وخمسون سنة وقيل غير ذلك وعدّة ملوكها سبعة وثمانون وقيل غير ذلك.

وقد خفي على أهل التاريخ معرفة أسماء ملوك هذه العائلة وما لهم من المآثر وغاية ما قالوه عنهم أن أكثرهم كان يلقب بلقب (سبك حتب) (ونفرحتب) قالوا وبالبحث في الآثار القديمة وجد كل من لقب سبك حتب ونفر ختب منقوشاً على الأحجار القديمة ولكن لم يعلم من أي عائلة هو ولما عثر أصحاب العلوم الأثرية على نقوش على الصخور التي بجهة سمنة مضمونها أن الملك (سبك حتب الأول). كان حياً على عهد الملك (أوسرتسن) الثالث استنتجوا من ذلك أن ظهور هؤلاء الملوك الملقبين باللقبين المذكورين كان عقب العائلة الملوكية الثانية عشرة وقد وجدت أسماؤهم مرتبة في جدولين على صحيفة من البردي ممزقة وهي موجودة بمتحف تورينو بإيطاليا. قالوا: وعدّتهم سبعة وثمانون ملكاً كما تقدّم.

ولم تعلم أسماؤهم كلهم إلا القليل منهم وهم كما ذكرهم صاحب العقد الثمين رع خوتاوي الملقب سبك حتب الأوّل. وسخم كارع. ورع امنمحعت الأول. وسحتب أبرع الأوّل. وأوفني. وسعنخ أبرع الملقب أمني أنتف امنمحعت. وسمن كارع. وسحتب أبرع الثاني. و... كارع. والعاشر لم يعلم اسمه. والحادي عشر اسمه نزم أبرع. ثم رع سبك حتب الثاني. وران سنب. وأتو أبرع الأوّل. وسزف.. رع. ورع سخم خوتاوي الملقب سبك حتب الثالث. ورع أوسر.. وسمنخ كارع الملقب مرمشا. و... كارع. و...أوسرسر. ورع سخم سوزتاوي الملقب سبك حتب الرابع. وخع سيششش رع الملقب نفر حتب بن حاعنخف. ورع ساحاتور. وخع نفررع الملقب سبك حتب الخامس. وخع كارع. وخع عنخ رع الملقب سبك حتب السادس. وخع حتب رع الملقب سبك حتب السابع. وح أبرع الملقب يعب. ومر نفررع الملقب أبي. ومر حتب رع. وسعخنسرع الملقب أوتو. ومر سخمرع الملقب أنرن. وسوز كارع. . أورع. وأنمم... رو. ومن الخامس والثلاثين إلى الثالث والأربعين ساقط من الأصل. والرابع والأربعون هو مرخپر رع. ثم مر كارع. ثم من السادس والأربعين إلى الخمسين ساقط. ثم... مس. ورع معتت.. الملقب أبا. و.. رع أوبن الأوّل. و... كا. ورع.. تن. ورع... وسابع خمسيهم

لم يعلم له اسم. وثامن خمسيهم اسمه نحسي رع. ثم خع خرورع . ثم نبف عا أتورع. وسحبرع. ومرز فارع. وسوز كارع. ونبز فارع. ورع أوبن الثاني ومن سادس ستيهم إلى سابع ستيهم ساقط. واسم ثامن ستيهم... زف عرا. ثم... رع أوبن الثالث. ثم... أتو أبرع الثاني. وحرابرع. ونب سن رع. ومن ثالث سبعيهم إلى سادس سبيعهم ساقط. ثم سابع سبعيهم سخپرن رع. ثم دد خرورع. وسعنخ كارع. ونفرتوم. . رع. وسخم... رع. وكا... رع. ونفرا برع. ورع... ورع خع... ونزكارع. وسمن... رع. وهو سابع ثمانيهم.

وكانت المملكة المصرية في عهد هذه العائلة حافظة لمجدها باقية على حالها من بعد الصيت واتساع الكلمة بل كبرت حدودها عما كانت عليه واتسعت وكان الملك الثالث منها وهو المسمى (سعنخ أبرع) له لقب محتو على ثلاثة أسماء ملوكية وهي امني. وانتف. من العائلة الحادية عشرة (وامنمحعت) من العائلة الثانية عشرة وابتنى له هرماً سماه (أمني خورب) قالوا ولم يعلم له محل للآن.

وللملك السادس عشر من هذه العائلة المسمى (سبك حتب) الثالث نقوش بقرب سمنة على صخور بشاطيء النيل رأسية الوضع صعبة المرقى مكتوبة على ارتفاع سبعة أمتار فوق ما تبلغه زيادة النيل الآن ومعناها أن ماء النيل وصل ارتفاعه إلى هنا في السنة الثالثة من حكم جلالة الملك (سبك حتب) الثالث خلد ذكره.

وأما الملوك الأربعة الذين هم (سبك حتب الرابع) (ونفرحتب) (ورع ساحاتور) (وسبك حتب الخامس) فقد تركوا من الآثار ما دل على أنهم كانوا حقيقة في عداد ملوك هذه العائلة قال صاحب العقد الثمين: وقد عثر على تمثال الملك سبك حتب المذكور المتخذ من حجر الصوّان في صان فدل وجوده هناك على أنه كان حاكماً على الوجه البحري كما ثبت ذلك أيضاً للملك سبك حتب الخامس لوجود تمثاله المحفوظ الآن بمتحف باريز في تل بسطة وكذلك استدل على وجود تمثال وأسماء بعض ملوك هذه العائلة في جزيرة (ارجو) وفي جهة الكاب بمقبرة (سبك نخت) على أنهم كانوا حاكمين على الوجه القبلي والنوبة وكان لهم عليها الصولة والقوّة حتى وضعوا فيها تماثيلهم إثباتاً لحكمهم وتذكرة بسلطتهم عليها وقد ذهب بعض أصحاب التاريخ إلى أن العمالقة الذين هم الرعاة قد دخلوا ديار مصر في أيام هذه العائلة ولكن الآثار الدالة على تملك هذه العائلة على جميع ديار مصر والنوبة تكذب هذا المذهب . اهـ.

وانقرضت هذه العائلة وبانقراضها قامت بعدها العائلة الرابعة عشرة السخاوية المنسوبة إلى مدينة سخا التي هي من بلاد مديرية الغربية الآن.

الفصل الثالث

(في العائلة الرابعة عشرة السخاوية)

كان مبدأ ملك هذه العائلة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وألفين قبل الميلاد أي سنة عشرين وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائة وأربع وثمانون سنة وفي رواية أربعمائة وأربع وثمانون سنة والأوّل أقرب إلى الصواب وعدة ملوكها ستة وسبعون ملكاً ولم يذكر مانيطون الكاهن شيئاً من أخبارهم ولا تعرض لذكر أسمائهم فحذا حذوه بقية الكتاب. قال صاحب العقد الثمين وكذا لم يبلغنا من غيره يعني غير مانيطون ولا من الآثار رواية عنهم ولكن بالاطلاع على صحيفة تورينو وجد مذكوراً فيها بعد ملوك العائلة السابعة جملة ملوك تنسب لهذه العائلة يعني الرابعة عشرة المذكورة وجميعها محصورة في الجدولين الأخيرين منها وأكثرها متلاش وهم رع سحب رع. ورع مرزفا. ورع سفتكا. ورع زفارع خب. ورع أوبن. وسادسهم وسابعهم سقطا من الأصل ثم جاء بعدهما رع نب زفا. ورع أوبن. ورع سفوتوحت. ورع حرحت. ورع نب سنو. وثالث عشرهم ورابع عشرهم ساقطان من الأصل. ثم جاء خامس عشرهم وهو رع ب... ثم سخبر نرع. ورع ددخرو. وسعنخكارع. ورع نفر بابي. ورع سخم. ورع كا... ورع نفرحت. ورع آ... وزرع خعو. ورع نفركا. ورع سمن. وسابع عشريهم وثامن عشريهم سقطا من الأصل. ثم جاء تاسع عشريهم وهو رع أوسر. ثم رع... ورع سخم... ورع سخم س... ورع سسن. ورع نب أرى. ورع نب أتن. ورع سمن أوسر... ورع سا أوسرأت. ورع سخم حرو. ومن تاسع ثلاثيهم إلى خامس ستيهم ساقط من الأصل. وكذلك سادس ستيهم غير مرقوم. ثم جاء سابع ستيهم وهو رع سنفر كا. ثم رع منخوو. ومن تاسع ستيهم إلى ثاني سبعيهم ساقط من الأصل. وكذا ثالث سبعيهم غير مرقوم. ثم جاء رابع سبعيهم وهو حاناتحا. ثم (بينوو) خامس سبعيهم وهو آخرهم.

قال ماسپرو وكان انقراض هذه العائلة مسببا عن عصيان الرعية وشقهم عصا طاعة آخر ملوكها فذهبت على يد من ظهروا من ملوكها خاملي الذكر. اهـ. قال صاحب العقد الثمين ولعل الملك رعمنحعو الملقب (عن أب) هو من ملوك هذه العائلة وله أثر في دار التحف المصرية يدلنا بوجه التقريب على درجة الصناعة في ذلك العصر. اهـ. وقال ماريت إن آثار هذه العائلة توجد بأسيوط . اهـ. وبانقراض هذه العائلة قامت بعدها العائلة الخامسة عشرة وارتقت منصة الأحكام.

الفصل الرابع
(فى العائلة الخامسة عشرة)

لم يعلم أحد من أهل التاريخ مبدأ ظهور هذه العائلة ولا سنى ملكها ولا عدّة من ملك منها بالتحقيق غاية ما جاءوا به أن ملوكها ينقسمون إلى قسمين وطنيين وأجانب فالوطنيون لم يعلم عنهم شيء سوى أنهم كانوا قابضين على زمام الأحكام بالأقاليم القبلية وكانت قاعدة مملكتهم مدينة طيوه. والأجانب كانوا يعرفون بالرعاة وبالعمالقة وعدّتهم ستة ملوك وقد حكموا البلاد وساسوها زهاء مائتي سنة وتسع وأربعين سنة وكانت قاعدة مملكتهم مدينة أواريس بالإقليم البحري وأوّل من ملك منهم الملك سلاطيس وهو الذي تسميه العرب الوليد بن روقع.

(في الملك سلاطيس المعروف عند العرب بالوليد بن روقع)

هو أول ملوك هذه العائلة، وقد ارتقى منصة الملك بعد إغارة قومه على الأقاليم البحرية من ديار مصر وأخذها من الملوك المتأصلين، وتحرير الخبر أنه في نهاية أيام آخر ملوك الدولة الرابعة عشرة السخاوية جاء إلى ديار مصر طوائف مختلفة الأجناس تحت راية الوليد بن روقع وهو المسمى عند اليونان باسم سلاطيس ونزلوا مصر السفلى والوسطى وحاربوا من فيهما وتغلبوا عليهم بعد هجمات متتابعة وحروب هائلة وقيل بل بدون كبير معارضة لأن أهل البلاد كانوا يومئذ في ثورة وخروج وكان هؤلاء الأقوام كثيرين جدًّا فانبثوا في البلاد وعاثوا وأفسدوا وأحرقوا المعابد والهياكل ودمروا الكثير منها ورسم سلاطيس المذكور ببناء القلاع والحصون بدلها وأكثر من سفك الدماء والقتل والسلب فنزح أكثر الأهالي وساروا مع من بقى من بيت الملك المتأصلين إلى الإقليم القبلي واستقروا بمدينة طيوه، واتخذوها تختا لملكهم فشحن سلاطيس المذكور الإقليم البحري بالجند والأسلحة ومعدات الحرب تحرزا من هجمات المصريين وجعل مدينة منف تختا لمملكته ورتب نظام الأحكام وضرب الجزية على من بقى من المصريين بالإقليم البحري، وانتقل من هذا الحين ملك البلاد إلى الرعاة ما عدا الأقاليم القبلية فإنها بقيت مستقلة تحت حكم العائلة المتأصلة المصرية في مدينة طيوة التي هي دار الفراعنة وصار من هذا اليوم في ديار مصر مملكتان، مملكة الفراعنة، ومملكة الرعاة المتغلبين على منفيس. قال مانيطون ولما غضب الله على مصر أرسل إليها من المشرق أمة خبيثة قوية شديدة البأس فاستولت عليها بلا حرب ولا قتال واستعبدت أهلها ورؤساءها وهدمت معابدها وهياكلها

وسبت الأولاد والنساء وملكت عليها ملكاً جديداً من هذه القبيلة الهكسوسية أقام في مدينة منف وهو الملك سلاطيس ومن فرّونجا من أفخاذ العائلة الملوكية ذهب إلى الصعيد وإلى ساحل البحر الأحمر وتحضنت هذه القبيلة بالقلاع والمعاقل والحصون وتمكنت من الأقاليم البحرية والوسطى وفعلوا بأهلها ما لا خير فيه ولم يبق للدولة المصرية المتأصلة إلا ملك الصعيد وكانت دار ملكه مدينة طيوه انتهى...

ووفد على الملك سلاطيس هذا جموع كثيرة من أهل آسية فاتخذ له منهم عسكرا ليأمن شر الكنعانيين القائمين في بلاد الشام ومن بقى من سلالة الملوك المصريين المتأصلين ومن العراقيين فابتنى القلاع والحصون في المواقع النافعة، وحشد أكثر جنده جهة مدينة السويس الآن وبنى في مدينة أواريس معسكراً عظيماً. وأنشأ حولها الخنادق والحصون وبالغ في ذلك جدًّا فهابه المصريون واتسعت كلمته وطارت شهرته وظل يدبر الأمور تسع عشرة سنة ثم مات.

فقام بالأمر بعده الملك (بنون) وقد قضى أكثر سني ملكه في قتال ملوك طيوه وإخضاعهم وجعلهم تحت طاعته فلم يفلح ثم مات بعد أن حكم أربعاً وأربعين سنة.

فقام بالأمر بعده الملك (انحناس) فتجرد كذلك لقتال ملوك طيوه وغيرهم من الملوك المتاخمين ومات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة وسبعة أشهر.

(فقام بالأمر بعده الملك (آبابي الأول) وكان مغازياً كثير الحروب والقتال مع الملوك المصريين ومات بعد أن حكم إحدى وستين سنة).

فقام بالأمر بعده الملك (يانا) ومات بعد أن حكم خمسين سنة وشهرا ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيئاً.

فقام بالأمر بعده الملك (أسس) وهو سادسهم وآخرهم ومات بعد أن حكم تسعاً وأربعين سنة وشهرين وانقرضت بموته هذه العائلة كما قاله أهل التاريخ وكانوا كلهم قساة غلاظ القلوب فأبغضهم المصريون بغضاً عظيماً وكرهوهم كرهاً زائداً. قالوا: وأصل هؤلاء الملوك مجهول فمن قائل أنهم من العبرانيين، ومن قائل بل هم تتار وتركمان وبعضهم يجعلهم صوريين وكنعانيين والأقرب إلى الحقيقة أنهم من جهة الحجاز وبلاد الشام المتاخمة لديار مصر. قال علماء الآثار فقد شوهد من هيئة أشكالهم المرسومة على كثير من الآثار القديمة أن صورهم كلها مرسومة بالوشم الأزرق وهم متشحون بجلود الغنم وهذه الإشارات من الأدلة الناطقة بأنهم من العرب لا من العبرانيين ولا من غيرهم، ولا سيما أن دولتهم في بلاد مصر كانت

تعرف بهيك سوس يعني الملوك الرعاة. قالوا: لأن لفظة هيك عند قدماء المصريين معناها الملك وسوس معناها الرعاة فإذا زيد عليها واو وقيل سوسو كانت بمعنى العرب وبتطبيق هذا الرسم على ما يوافقه بالقلم البربائي، وجدت كلمة(حق شاسو) موافقة له لأن معنى حق ملك، ومعنى شاسو أيضاً البوادي. وقال ماسپرو إن معنى شاسو اللصوص من عرب البرادي فسماهم المصريون بهذا الاسم لدناءة أصلهم.

وذكر ماريت أن قبائل الهيكسوس كانو أخلاطاً من العرب وأهل الشام، وكانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسي (خيتا) وفي التوراة الحيثيين وفي كتب العرب العمالقة وبعد أن أقاموا في ديار مصر مدّة طويلة مالوا إلى حضارة أهلها فتأسوا بهم وغلبت عليهم طباعهم فتركوا الفظاظة والغلظة ومالوا إلى محبة الرعية وإحياء ما اندرس من معالم التمدن والعمارية واستخدموا الكثير من كتاب المصريين وتلقبوا بألقاب الفراعنة ودانوا بدينهم وفتحوا المدارس لتهذيب أولادهم واعتنوا بالأمن والراحة واختاروا لمصالح دولتهم رجالاً محنكين من أولى المناصب والرتب العالية، واتخذوا مدينة صان تختالهم وفتحوا معابدها وأكثروا من العمائر فيها حتى صارت من أعظم المدن شهرة وتغلبوا على الوجه القبلي ونزعوه من أيدي الملوك المتأصلين واستولوا على كافة أنحاء مصر القبلية والبحرية وطالت أيامهم وتعاقبت ملوكهم وعم نفوذهم مشرق البلاد ومغربها وبانقراض هذه العائلة انتقل الملك إلى العائلة الثانية منهم وهي العائلة السادسة عشرة المعروفة بالصانية.

الفصل الخامس

فى العائلة السادسة عشرة (الصانية)

كان مبدأ ملك هذه العائلة سنة أربع عشرة ومائتين وألفين قبل الميلاد أي سنة ست وثلاثين وثمانمائة وألفين قبل الهجرة وسنو ملكها خمسمائة وإحدى عشرة سنة وعدد من ملك منها اثنين وثلاثين ملكاً كلهم من الرعاة الذين هم الهيكسوس كما رواه مانيطون ولم يذكر من أسمائهم سوى اسم ملك واحد وهو (آبابي) وسماه (أبوفيس) وتسميه العرب الريان بن الوليد الملقب (رعاكنن).

(في الملك آبابي أو أبوفيس الملقب رعاكنن)

(الذي تسميه العرب الريان بن الوليد)

قال بعض الكتاب: الغالب أن مانيطون المؤرخ لم يأت بذكر الملك (أبوفيس)

هذا دون من ملك من هذه العائلة إلا لشهرة أيامه وأهميـة ما وقع فيها من الحوادث والأنباء إذ هو الريان بن الوليد الملقب رعاكنن وهو فرعون يوسف عليه السلام، وفي أيامه وفـدت السيارة التي اشـترت يوسف من إخوته بعـد إخراجه من الجب فبـاعه مالك كـبير هؤلاء السيـارة إلى وزير مصر قـفطير. ويسمى بالقلم القـديم (بدوفر) ومعناه هدية الشمس فلمـا اشتراه قفطير أتى به إلى بيته. وقـال لامرأته رعاييل بنت رعابيل أكرمي مثواه فلما رأت حسنه عشقته وأحـبته حبا كبيراً وراودته فامتنع. وقال لها كـيف وزوجك سيدي وقـد أكرم مثـواي فلا يصح لي أن أخـونه فكان من أمر سجنه ما جاءت به الكتـب. وكانت المحبوس يومئذ في الجانب البـحري من سقارة. قال صاحب العـقد الثمين، ومكانه معروف للآن عند أهل تلك الجـهة. اهـ. وكان معه في السجن فتيان هما ساقي الملك وخـبازه. وكان من أمر رؤياهما وما قاله لهما يوسف ما جاء في الكتب المنزلة وبعد مكثـه في السجن بضع سنين رأى فرعون رؤيا هي أن سـبع بقرات سـمان وسـبع بقرات عـجاف خـرجن من نهر يابس فـابتلعت العجاف السمان، ورأي سـبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفـركت وسبعاً أخرى يابسات قد استـحصدت فالتوت اليابسات علـى الخضر حتى غلبتها فـجمع السحرة والكهنة وطلب منهم تـفسـير هذه الرؤيا فـقالوا أضـغاث أحـلام وما نحن بتـأويل الأحلام بعـالمين فعند ذلك أخبـر الساقي عن يوسف فأرسله الملك إليـه في السجن (ففسر له يوسف هذه الرؤيا كما جـاءت به الكتب المنزلة فكان ذلك سببا في خروج يوسف من السجن) وجـعله الملك (زافتات بنياخ) ومـعناه أمين على خزائن الأرض فأشار على الملك حينئـذ بأعمال الخزائن لجعل الطعام فيـها بقصله وسنبله وأن يرفع الخمس من طعـام الناس مدة سـبع السنين المخصبـة فأمر الملـك ففعلوا مـا أشار به يوسف فكفى يوسف أهل مـصر ومن تاخمهـا مدة السبع سنين المجـدبة وفي خلال ذلك جاء بنو يعـقوب في مصـر وتعرفوا بأخـيهم يوسف وأقامـوا نحو أربعين سنة بمدينة تعرف الآن بالسهريج بمديرية الشرقية وقصتهم مذكورة في التوراة.

قالوا: وقد اسـتدل جماعـة الكتاب على حصول القـحط في أيام يوسف عليه السلام بما عـثروا عليه من النقوش على أحـد مقابر قـرية الكاب لرجل من المصريين اسمه (بابا) ويلقب (آباتا) وهو من أقـارب ملوك العائلة الثالثة عشرة وكـان معاصرا ليوسف. قال صـاحب العقد الثمين وتعريبـها كنت ذا قلب رؤوف لا آلف الغضب ولذا أكرمـتني المعبـودات بالخير الجـزيل في دار الدنيا وكـان أهل بلدي وهي الكاب تهنئني بالصحة والسلامة. وكنت أقـتص من المسيئين ورزقت من الأولاد مدة حياتي

باثنين وخمسين ولدا صغيراً وكبيراً بين ذكور وإناث وكان لكل واحد منهم سرير وكرسي وسفرة وكانوا يأكلون في كل يوم مائة وعشرين مدّا من القمح والحبوب، وكان لهم ثلاث بقرات حلوبة واثنان وخمسون بقرة وثمانية حمير وكانوا يحرقون من البخور ماينيف عن الهين[1] ويصرفون من الزيت ملء زجاجتين فإن ناقضني أحد في قولي وظن أنه أضحوكة فأشهد المعبود (مونت) على ما قلته من الحق وإني أحضرت جميع ذلك في بيتي وكنت أعطي اللبن الرائب في قدر والبوظة في قدر طويل ضيق الرأس يعرف بالدلق بمقدار يزيد عن الهين وجمعت قمحاً كثيراً محبة للمعبود الطيب أي الملك وكنت متيقظاً وقت الزراعة في السنين المخصبة.

قال: ولما حصل القحط في كثير من السنين كنت أعطي القمح لأهل المدينة في كل مجاعة وبهذا يعلم أن تنبهه زمن الزراعة وصرفه الغلال للناس وقت المجاعة هو إشارة بلا شبهة إلى سني يوسف المخصبة والمجدبة . اهـ. (كما رواه بركش).

وقامت في أيام هذه العائلة فتنة دينية بين الملوك وأمراء الأقاليم القبلية وكبرت واستفحل أمرها وما زالت حتى انسلخ الوجه القبلي عن حكم الرعاة المذكورين وعاد إلى حكم ملوكه المتأصلين وكان أوّل من ظهر منهم الملك (تاعا الأوّل) وأسس في الإقليم القبلي العائلة السابعة عشرة وهي العائلة المتأصلة، وكان ذلك في أيام الملك (ايابي) الملقب رعاكنن الذي هو آخر الملوك الرعاة من العائلة السادسة عشرة المذكورة.

الفصل السادس

(في العائلة السابعة عشرة)

لم يعلم أحد من أهل التاريخ مبدأ ظهور هذه العائلة ولا سني ملكها غاية ماجاءوا به عنها أن عدد من ملك منها ستة ولم يأتوا بشيء من أخبارهم لا بالإجمال ولا بالتفصيل. قالوا: وفي عصر هذه العائلة كانت مصر بين حكومتين الأولى في الإقليم البحري وجزء من الإقليم القبلي، وهذه كانت ملوكها من الرعاة وعددهم ثلاثة وأربعون ملكاً لم يعلم اسم أحد منهم سوى الملك ايابي. رعاكنن. وكانت قاعدة ملكهم مدينة صان، والثانية في الصعيد الأعلى وملوكها من الوطنيين المتأصلين وقاعدة ملكها مدينة طيوه وعددهم ثلاثة وأربعون ولم يعلم منهم سوى

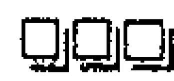
(١) الهين: بكسر الهاء وسكون النون كيل معروف عندهم.

ستة لا غير وهم تاعا الأول الملقب رعسكنن الأول وتاعا الثاني الملقب رعسكنن الثاني وأليسفر غموثوريس وتثموزيس وتاعاكن الملقب رعسكنن الثالث وكامس الملقب رعوز خبر ، ولنتكلم على كل ملك منهم بالتعاقب واحداً فواحداً وأولهم الملك تاعا الأول.

(في الملك تاعا الأول الملقب)
(رعسكنن الأول)

قال جماعة الكتاب: لما ارتقى تاعا الأول منصة الملك نهض إلى استخلاص البلاد من أيدي العمالقة والاستبداد بالملك وجيش لذلك جيشاً ضخماً للغاية وقاتل الرعاة المذكورين وقام لنصرته الأمراء من أهل البلاد الذين هم من أفخاذ العائلات الملوكية المتأصلة وأمدوه بالذخيرة والرجال وما زالوا يطاردون الرعاة والحرب بينهم سجال حتى أجلوهم عن مصر الوسطى ودفعوهم إلى مدينة منف فأقاموا فيها ما استطاعوا.

ولما رأى تاعا الأول من قيام هؤلاء الأمراء لنجدته واستخلاص الوطن من الأغراب عينهم نظاراً على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بلقب (سوتن) ومعناها ملوكي تعظيماً لشأنهم حيث هم من نسل الملوك. وفي أيام الملك أليسفرغموثوريس ركب عليهم أيضاً وقاتلهم ليطردهم من البلاد وما زالوا حتى أجلوهم عن منف أيضاً فانحازوا بجنودهم إلى مدينة أواريس التي بها معسكرهم واستقروا بها حقبة من الدهر آمنين ثم قام عليهم الملك رعسكنن الثالث وقاتلهم وكذلك الملك كامس وغيرهما من ملوك هذه العائلة الذين لم تعلم أسماؤهم لجماعة الكتاب فلم يستطيعوا إخراجهم من أواريس لمنعتها وظلوا حاكمين على أواريس المذكورة وما جاورها من المدن والبلاد حتى تغلب عليهم الملك (أموسيس الأول) رأس العائلة الثامنة عشرة التي قامت بعد هذه العائلة. قال بعض الكتاب: ولم يبلغ كره المصريين للرعاة حدّ ما ذكره بعض أهل التاريخ، فقد كانوا في آخر أيامهم هم والمصريين على وفاق ووئام حيث شيدوا لهم المباني العظيمة وابتنوا المعابد الكثيرة كما تقدم. فمالوا إليهم وأحبوهم وسمى بعض المصريين أولادهم بأسماء الرعاة تفاؤلاً وبانقراض هذه العائلة تم انقراض الطبقة الثانية بأسرها فظهرت بعدها الطبقة الثالثة التي هي الطبقة الأخيرة.



الباب الثالث
(فى الطبقة الثالثة)

كان ظهور هذه الطبقة سنة ثلاث وسبعمائة وألف قبل الميلاد أي سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألفين قبل الهجرة وتبتدئ بالعائلة الثامنة عشرة وتنتهي بالعائلة الحادية والثلاثين التي هي العائلة الفارسية عبارة عن أربع عشرة عائلة وسنو ملكها ألف وثلثمائة وإحدى وثلاثون سنة وفي رواية ألف وثمانمائة وست وستون.

الفصل الأول
(فى العائلة الثامنة عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة ثلاث وسبعمائة وألف قبل الميلاد أي سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألفين قبل الهجرة وهو مبدأ ظهور الطبقة الثالثة وكان عدد من ملك من هذه العائلة أربعة عشر ملكاً وسنو ملكهم مائتي سنة وإحدى وأربعين سنة وأولهم الملك أموسيس الأول وتسمى هذه العائلة بالطيبية.

(فى الملك أموسيس الأول)
(الذي يقال له)
(أحعمس الأول)

كان مبدأ ظهور الملك أموسيس الأول مظهراً لطبقة جديدة وعائلة حازت السؤدد والفخار وعلو الكلمة فقد انفردت بالشوكة الملكية والسطوة الأهلية وامتدت حدود مملكتها امتداداً سريعاً وزادت ثروتها وتكاثرت عماراتها وكان أموسيس المذكور مصاهراً لملك الايتيوبيا بزواج ابنته المسماة (أحعمس نفزت آري) فتعاهد معه على إخراج العمالقة من أرض مصر والنهج على منوال أسلافه من الفراعنة المتأصلين وأخذ في التأهب والاستعداد وتجييش الجند فلما كانت السنة الخامسة من ملكه سار بجنيش عظيم وانضم إليه الأمراء المصريون الذين هم من سلالة الملوك المتأصلين حتى نزلوا حول قلعة أواريس وحاصروها برا وبحراً وضيقوا عليها وشددوا حتى فتحوها عنوة وطردوا من كان بها من العمالقة وتبعهم الملك أموسيس بعسكره حتى أدخلهم

قلعة (سروحن) في حدود أرض كنعان، وكانت هذه القلعة غاية في المنعة والضخامة وقد أنشأها العمالقة ليتحصنوا فيها عند الحاجة فحاصرها ثم هجم بجيشه عليها وأخذها وأسر من العمالقة خلقاً كثيراً ففر من بقى فتبعهم بعسكره حتى عبروا الفرات فتركهم وعاد منصوراً وقد تخلصت البلاد من أيديهم وانفكت من قيود العبودية والأسر بعد أن تسلطوا عليها ستمائة سنة وفي رواية أربعمائة سنة.

وبقى من العمالقة قوم في جوف البلاد فأظهروا الطاعة والخضوع لملك البلاد فأنزلهم على سواحل المنزلة وأقطعهم الأراضي التي كانت بيد أسلافهم ليتعيشوا من غلاتها ولم تستقر به الراحة بعد قتال العمالقة وإخراجهم (حتى خرج عليه أهل النوبة وعصوا أمره وشقوا عصا طاعته فسار لقتالهم وظهر عليهم وأرجعهم) إلى الطاعة ولما رأي الايتيوبيون من منزلة زوجة الملك أموسيس عند المصريين واعتبارهم لها وهي من جنس الايتيوبيين خضعوا له وأطاعوه بغير قتال احتراماً لقدس زوجته فاتسعت عند ذلك كلمته وعلت على جميع الديار المصرية من الشلالات إلى البحر الأبيض المتوسط لا يعارضه في حكمه أحد. قال بعض الكتاب وقد استمرت نار الحرب والقتال مضطرمة بين ملوك الرعاة والملوك المتأصلين زهاء مائة وخمسين سنة حتى عاد لمصر استقلالها، ورجعت مملكتها التي أنشأها أول ملوكها (منا) وكانت في خلال هذه المدّة الطويلة أخذت عماراتها وآثاراتها العظيمة في التداعي إلى السقوط بل تخرب منها الكثير واضمحل حال الرعية فنهض الملك أموسيس المذكور إلى ترميم العمارات وتنظيم الأحكام وترتيب الإدارة وعين الأمراء الذين ساعدوه على إخراج العمالقة نظارا على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بلقب (سوتن) يعني ملوكي كما تقدّم. وفي السنة الثانية والعشرين من حكمه أمر بتشغيل محاجر طرا وفرض على أساري العمالقة نقل الحجارة منها، ووكل بهم رجالاً لترميم معبد (پتاح) بمدينة منف ومعبد (أمون) بالكرنك ولإنشاء معابد أخرى جديدة فعاد إلى البلاد رونقها القديم وبهجتها الأصلية وأحبته الرعية حبا كبيراً وبالغوا في تعظيمه وقد أمر بمعسكر أواريس الذي كان للعمالقة فهدم وأنشأ محله قلعة تسمى (تاسال) لتكون حائلاً بين إغارات أهل آسية وبين بلاد مصر وهجر مدينة صان حيث كانت تخت حكم العمالقة وتركها على حالة ما أصبحت عليه بعد الحرب الأخيرة حتى كاد اسمها يمحى من كتب التاريخ، ثم مات أموسيس المذكور بعد أن حكم خمساً وعشرين سنة وهو المعروف في جدول الآثار القديمة (بأحعمس الأول) فقام بالأمر بعده الملك أمنحوتب الملقب رعركا.

(فى الملك أمنحوتب الأول)

تولى الملك بعد موت أبيه ولعدم بلوغه سن الرشد قامت أمه (أحعمس نفرت آري) بدلاً عنه بمهام المملكة وما زالت حتى بلغ رشده فقام بالأمر ونهض إلى تعزيز مصر من الجانب القبلي، وكذلك فعل بالجانب البحري حتى صار حصيناً لا يمكن وصول العدوّ منه إلى ديار مصر وكانت له عدّة وقائع حربية في الصعيد الأعلى تشهد بها النقوش المنقوشة على أحجار الكاب المنسوبة إلى أحعمس رئيس الملاحين. قال صاحب العقد الثمين منها ما معناه إني أحضرت سفينة الملك أمنحوتب حين جهز تجريدة لقتال الايتيوبيين لتوسيع حدود مصر هناك فانتشب بينهم الحرب وأسر الملك رئيس سكان جبل النوبة من بين رجاله وكنت أنا في مقدّمة فرساننا، وقاتلت قتالاً شديداً حتى شاهد مني الملك البسالة والشجاعة. وقتلت رجلين من العدوّ وقطعت أيديهما وقدّمتهما لجلالته ثم أسرت رجلاً وأحضرته له وصرت أبحث عن أهله ومواشيه وبعد هذه الغزوة صحبت جلالته راجعين إلى مصر في يومين، وكان قيامنا من جهة البئر الأعلى فأحسن إليّ بعقد من ذهب وكنت غنمت جاريتين غير الجواري اللاتي أحضرتهن له ولذلك لقبت بفارس الملك. اهـ.

ووجد أيضاً بجهة الكاب نقوش لرجل مصري يدعي (أحعمس بن سوتب) تفيد أن هذا الملك تقاتل مع أهل الايتيوبيا ومع الجهة المسماة (امكاحاك) التي في الجانب الشرقي من مصر، وقد أصلح ما تهدم من قسم طيبة وهيكل أمون ولذا يرى اسمه منقوشاً على طوبها وحجارتها وملك مصر مع جميع ملحقاتها ولما وطد دعائم الراحة تزوّج بالملكة (أحع حتب) وأقام معها في أرغد عيش وأتم راحة واتخذه أهل مصر بعد موته مقدساً وجعلوا له كهنة مخصوصين لعبادته لما شاهدوه من الراحة في زمن حكمه.

قال صاحب العقد الثمين وجثته بدار التحف المصرية طولها متر واحد وخمسة عشر سنتيمتراً وهي محفوظة في تابوتها ومدرجة في أقمشة بنية اللون وفوقها أكاليل من أزهار البشنين والبردي وغيرهما. اهـ.

ومات أمنحوتب المذكور بعد أن حكم ثلاث عشرة سنة فقام بالأمر بعده الملك تحوتمس الأول الملقب رعا خبركا.

(في الملك تحوتمس الأول)
(ويسمى أيضاً)
(توتومس الأول)

قال صاحب العقد الثمين: هذا الاسم مركب من كلمتين إحداهما تحوت ومعناها هرمس؛ والثانية مس ومعناها ابن ثم صارا علماً على هذا الملك.

وقال غيره من الكتاب: أن اسمه مركب من كلمتين إحداهما توت ومعناها هارب وميس أوموسيس ومعناها ابن ثم صارا علماً وكان ملكاً عظيم البأس كثير الحروب قاتل الايتيوبيا جنوباً وانتصر عليهم ونقش نصراته على بعض الألواح الحجرية في مدينة كرمان إزاء جزيرة أونبو وأعظم نقش فيها ما نقشه بالجزيرة المذكورة في السنة الخامسة من حكمه حيث يذكر فيه وقائعه الحربية وأسماء الأمم التي دخلت تحت طاعته ووضعت له الجزية وامتدت حكومته إلى محاجر مدينة أونبو من النوبة وقد وجد اسمه منقوشاً على حجر هناك ووجد أيضاً نقوش أخرى بجهة أسوان مؤرخة في السنة الأولى من ملكه تدل على نصرته على بلاد النوبة وتغلبه على أهلها واتسعت في أيامه حدود مصر وامتدت من الجنوب إلى جبل (أبتا) بأرض الحبشة ومن الشمال إلى آخر أماكن أهل آسية وكانت بلاد الايتيوبيا منبع ثروة ديار مصر حيث كانت تأتي منها البضائع والأرزاق على المراكب بالنيل من الحبوب والجلود والعاج والأخشاب والحجارة النفيسة والحيوانات والمعادن من الذهب وكان المصريون يستخرجونه من تلك الأصقاع بواسطة الأسرى والعبيد، وكان هذا المعدن يسمى عندهم (نب). قال صاحب العقد الثمين: فاشتق من هذا الاسم كلمة النوبة المعلومة الآن.

وقاتل هذا الملك النوبيين وأدخلهم تحت طاعته ثم أقام عليهم أمراء ليحسنوا تدبير البلاد وسياسة أمورها وكان يلقب كل أمير منهم بلقب (الأمير الملوكي لبلاد الايتيوبيا) ولما تم له الأمر بجهة الجنوب واتسعت مملكته وعلت كلمته سار بجيش عظيم نحو الشمال وقاتل سكان وراء فلسطين وأرض كنعان بالسهول الواقعة بين دجلة والفرات وهم الطوائف المعروفون في النقوش القديمة باسم (روتنو) وكانت هذه الطوائف لا حاكم لها ولا سلطان يرجعون في أمورهم إليه وكان يقطنون بلاد الجزيرة التي بين دجلة والفرات ومنها مدينة بابل ومدينة نينوي وبلاد الكرد وكانت تأتي إليها التجارة من مصر إلى (رافيا) التي كانت مأهولة يومئذ بالعمالقة ثم إلى

فلسطين ومنها يعبر نهر الفرات فينتهي إلى الجزيرة المذكورة وكان هذا الملك عظيم القدر عالي الهمة موفقاً في جميع أعماله.

قال بعض الكتاب: وهو الذي بيع يوسف بن يعقوب عليهما السلام إلى وزير مصر في أيامه على ما قيل واشتهر وفسر له أحلامه المذكورة في الكتب (قلت) وقد اختلف أصحاب التاريخ من جهة شخص فرعون يوسف من هو من الفراعنة فزعم البعض أنه من ملوك العائلة الثانية عشرة وهذا بعيد وزعم البعض الآخر أنه كان من الملوك الرعاة الذين تغلبوا على مصر واسمه الوليد المعروف عند اليونان باسم (أبي فاس) وقد تقدَّم بيان ذلك في محله. وقال أحد المتأخرين من أهل التاريخ المحققين إن هذا الزعم غير صحيح لتقادم عهد تلك المدّة (قلت) والأصح أن دخول يوسف إلى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة كما قال مانيطون المؤرخ المصري فإنه لما تكلم على مدينة منف التي هي منفيس، قال: وعاش بها يوسف وتسلط على جميع البلاد في زمن أقدر وأعظم فراعنة المملكة الجديدة التي قامت بعد نفي الرعاة وخروجهم من أرض مصر إلى أرض كنعان وهي الدولة الثامنة عشرة المتأصلة التي قامت بمدينة طيبة ويؤيد صحة هذا القول ماجاء في التوراة من قول يوسف لإخوته عند نزولهم عليه بأرض مصر ، يكون إذا دعاكم فرعون. وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك من أصحاب الماشية منذ صبانا إلى الآن نحن وأباؤنا جميعاً حتى تسكوا أرض جاسان لأن كل راعي غنم رجس عند المصريين. ويستدل من الآثار أن تحوتمس هذا تزوّج بأخته المسماة أحعمس. ويقال إنها ملكت مصر بعده ولذا يظن أن اسم أميسيس الوارد في جدول مانيطون المؤرخ بعد اسم الملك المذكور هو اسم هذه الملكة.

ومات تحوتمس الأول المذكور بعد أن حكم عشرين سنة وحسبها بعضهم إحدى وعشرين سنة وقد عبده المصريون وعبدوا أخته بعد موتهما وجعلوهما في مصاف المقدسين وبموته قام بالأمر بعده تحوتمس أو توتوميس الثاني.

(في الملك توتوميس الثاني)

لما ارتقى توتوميس الثاني سرير الملك عمد إلى تعمير الهياكل والمعابد ثم أرسل جيوشه إلى الشام والايتيوبيا ليأخذوا له البيعة من أهلها فبايعوه، وكانت السودان قائمة على قدم القتال من عهد الملك توتوميس الأول فحاربهم توتوميس الثاني هذا وقاتلهم قتالاً شديداً حتى أدخلهم تحت نير الطاعة وصير بلادهم جميعاً إلى حدود

الحبشة ولاية تحت حكمه بعد أن كانت مستقلة وأقام عليها العمال من قومه من ذوي الرتب العالية وسماهم (ولاة الديار الجنوبية من قبل المملكة المصرية) كما فعل أسلافه من قبل ثم اعتبر هذا اللقب رتبة عالية فكان ينعم به على من يستحق حكم تلك البلاد ولو كان قاصر القصد الشرف والاعتبار وكان إذا أحسن به على من لم يبلغ رشده أقام له رئيساً يحكم بالنيابة عنه إلى أن يتم رشده فيتولى الحكم بنفسه: ومات هذا الملك بعد أن حكم ثلاثين سنة وبضعة أشهر ولم يعقب نسلاً فتولى الملك بعده أخوه توتوميس الثالث ولاية اسمية حيث كان قاصرا فقامت أخته بالأمر بالنيابة عنه حتى يبلغ الرشد وهي الملكة حعتشبسو الملقبة رمكا.

(في الملكة حعتشبسو)
(وتسمى أيضاً
رمكا)

هي ابنة توتوميس الأوّل وأخت توتوميس الثاني المتقدّم الذكر. قال أصحاب التاريخ ولما كان لها حق الحكم على البلاد بالوراثة عن أمها (أحعمس) وجدّتها (أحعمس نفرت آري) أشركها أبوها توتوميس الأوّل معه في آخر أيامه في حكم البلاد فلما مات والدها ظهرت وعلت كلمتها، وعظمت شوكتها أيضاً في أيام أخيها توتوميس الثاني وزادت بتوليتها النيابة عن أخيها توتوميس الثالث واعتبرها المصريون الوارثة الحقيقية لكرسي الملك فلما دانت لها الأمور تزوّجت بزوج اسمه توتوميس ومات فتزوجت بآخر اسمه (امتطه) وولدت من الأوّل ولدها المسمى توتوميس وكانت عالية الهمة فنهضت لتشييد المباني العظيمة والهياكل الكبيرة وسمتها باسمها ورتبت لها القرابين وأحسنت التدبير جداً وحافظت على البلاد وأخذت الجزية من طوائف (الروتنو) سكان سوريا الشمالية وكانت عظيمة القدر مهيبة فرسمت نفسها في الآثار على هيئة رجل له لحية ملوكية وكانت متسلطة على بلاد الشام والايتيوبيا وعزمت على أخذ بلاد (بون) وبلاد (توتترو). قال صاحب العقد الثمين. ومعنى أسماء هذه البلاد الأراضي المقدسة وموضعها في جنوب بلاد العرب من جهة الهند وهي متاخمة بلاد البون وكانت مركز التجارة للشرق عموماً ولمصر خصوصاً وكانت بضائعها ترد إلى مصر على طريق قفط. اهـ. وكانت تريد بذلك توسعة ملكها بتلك البلاد الشهيرة بالأخشاب النفيسة والصمغ والعطريات والذهب والفضة واللازورد والحجارة النفيسة وجميع التجارات العظيمة التي تحتاجها مصر لأشغال الهياكل

والمعبودات وغيرها وأنشأت في البحر الأحمر عمارة حربية وسافرت فيها بنفسها لتقود عسكرها وتقاتل بلاد (البون) المذكورة فلما نزلت عليها طلب أهلها الأمان فأمنتهم فسلموا بلا حرب ولا قتال وعدلت عن المسير لقتال أهالي الأراضي المقدسة بعد أن رأت من استسلام أهالي (البون) ما رأته ثم رجعت إلى مصر وأمرت برسم صورة تلك الواقعة وتحريرها على جدران حجرتين في الدير البحري وفي أحد جوانب هاتين الحجرتين ما يدل على أن قائد جيوش الأعداء يتمثل بجيشه مع التضرع والخشوع أمام قائد جيوش هذه الملكة المتوج بالنصر والغلبة وترى صفة قائد جيوش الأعداء أنه أغبر اللون له ضفائر من الشعر مستطيلة على ظهره مجرداً من السلاح ومن خلفه زوجته وابنته في صورة شنيعة وحالة فظيعة ينفر منها الناظر. قال صاحب العقد الثمين: ورسمها موجود في متحف بولاق فإذا نظرت إليهما وجدت نوع استرخاء في أعضائهما وورما في أفخاذهما يدل ذلك على أن في جسمهما مرضا وتشاهد في الجانب الآخر من الحجرتين المذكورتين رسومات ثانية بها أشكال السفن الحربية المصرية يشحنها رجال من الأعداء المنقادين بالحيوانات الغريبة كالزرافات والقردة والنمور. وفي جهة أخرى ترى أنواع الأسلحة وسبائك النحاس وحلق الذهب وفي أخرى حمل الصناديق من أصناف الأشجار العطرية المضمخ أسفلها بالطين وقدرها اثنتان وثلاثون شجرة لغرسها في بساتينها بطيبة وصورة السفن ضخمة يظهر عليها متانة التركيب ذات شراع ومجاديف وعلى سطحها طوائف البحرية ويوجد تماثيل أخر عليها أشكال العساكر المصرية راجعة من الغزو كأنها تسرع في المشي وتدخل مدينة طيبة بدلائل النصرة مسلحة برماح أو بلط في الميامن وفي المياسر قابضة سعف النخل علامة النصر والغلبة وأمامهم الطبول والمزامير وكأنهم يضربون النوبة الحربية وبجانبهم الضباط حاملين على أكتافهم الأعلام والرايات الوطنية مكتوباً عليها اسم الملكة (حعتشبسو) الوصية على الملك (توتوميس الثالث). اهـ.

وقد فعلت هذه الملكة من جليل المآثر وعظيم المفاخرة ما أعلى قدرها وحفظ بين هذه العائلة ذكرها واستبدت بالتصرف مدة سبع عشرة سنة ومع بلوغ أخيها سن الرشاد وتصرفه في الأمور كانت هي صاحبة الحل والعقد إلى أن ماتت فاستبد أخوها توتوميس الثالث المذكور بالملك.

(فـي الملك توتوميس الثالث)

لما استقر بالمنصب واستبد بالحكم بعد موت أختـه حعتشبسو عمد إلى إبادة ذكر أختـه بمحو اسمهـا الذي كانت نقشتـه على ما شيدتـه من المباني العظيمة والعـمائر الجسيمة المرسوم عليـها صور وقائعها الحربية ونقش اسمه عليهـا بدل اسمها ليمحي خبرها ويطفىء سراج مجـدها الذي دلت عليه فعالها انتقاماً منهـا على ما صنعته به من اغـتصاب المـلك والتصـرف في الأمور بعـد بلوغه سن الرشـد ولم يمض على استـقلاله بالملك إلا القليل حـتى خرجت عليه طوائف (الروتنـو) وامتنعت من دفع الجزية واقـتدى بهـا سكان جمـيع الجهات المجـاورة لها ثم خـرجت كذلك جـميع الايالات التي كانت لمصر في آسـية ولم يبق منها سوى غزة وما تاخـمها من البلدان فركب الملك توتوميس عليهم بجيوش عظيمة وهزمهم شر هزيمة ونقش وقائع حروبه معهم على جدران هيكل الكرنك.

قال صاحب العقد الثمين ما حـاصله: في شهر برمودة سنة اثنتين وعشرين من حكم الملك تحوتمس الـثالث يعني توتوميس توجـه هذا الملك إلى مدينة غـزة وعمل فيها عيد ولايته ثم أخذ في المسيـر منها إلى مدينة (يوحم) فوصل إلى ضواحيها في عشرة أيام، ونزل بعـسكره هناك وانتظر استكشاف طلائعه لينظم جيـشه على حسب أخبـارهم ففي اليـوم السادس عـشر من الشهـر المذكور أخـبرته طلائعـه أن الأقوام المتحالفين تحت قيادة أمير كدش قد عسكروا بالقرب من قلعة مجدو في مضيق كرمل وانتشـرت قوتهم في طريق ليبـان فعند ذلك أشار عـليه بعض قواد جنوده بالتـوجه من طـريق أثونا ليكون الهجوم عـلى الأعداء من خلفهم وكـانت هذه الطريق [illegible]سلة إلى سهل (يزرل) الواقع بين مدينة مـجدو وجبل ثابور فلم يقبل الملك منهم ذلك خوفاً من عدم نجـاح هذا المشروع وسار بجيشه مـسرعاً إلى (آلون) فوصل إلى ضواحيهـا في ثلاثة أيام وكانت تلك الجهات خالية من الأعـداء ومن الحصون لعدم الاعتناء بها فـشغلها الملك بجزء من عسكره وفي صبـيحة عشرين من الشـهر اجتاز المضيق الآنف الذكر من دون معارضة وانتظر في سفح الجبل من جهة الشمال مؤخر جيشه فلما اجـتمع جيشه في الساعة السابعة من اليـوم المذكور نشره في السهل على شاطىء نهر (كينا) تجاه مـعسكر الأعداء من غير أن يبرز للقتال وفي صـبيحة الحادي والعشـرين من الشهر نظم جيـشه للقتال والهـجوم وجعل الميمنة في حـصن حصين هناك بوادي (كينا) والميسرة ممتدة في السهل إلى الشـمال الغربي من مجدو وأقام هو في القلب ثم هجمت الجـيوش المصرية على أهل الشـام هجوماً فظيـعاً أوقع الرعب

الشديد في قلوبهم فتشتتوا وتركوا عرباتهم وخيولهم وولوا الأدبار مسرعين في فرارهم إلى مجدو فلما رآهم حراس هذه المدينة أغلقوا الأبواب دونهم خوفاً من دخول الجيوش المصرية في أثرهم ولذلك لم يتمكن أحدهم من دخول المدينة سوى من تسور الجدران من القواد على الأحجار.

وأما باقي الجيش فإنه تشتت داخل الجبل وتخلص من سفك الدم والذي قتل منهم ثلاثة وثمانون مقاتلاً وأسر نحو ثلثمائة وأربعين رجلاً وغنم المصريون في ساحة القتال مائتي ألف واثنين وثلاثين حصاناً (كذا) وتسعمائة وأربعاً وتسعين عربة وغير ذلك من الأشياء التي تركها أهل الشام وقت هزيمتهم ثم توجه الجيش المصري منصوراً إلى مجدو وهي وقتئذ أعظم من ألف مدينة فلم تثبت في صف القتال إلا أياماً ثم سلمت للمصريين وبفتحها انتهت الحرب وأطاعه رؤساء الشام والجزيرة والكرد وبادر الجميع بدفع الجزية وإظهار الانقياد والتعظيم للملك المنصور تحوتمس الثالث . اهـ.

ثم عاد أمير الشام إلى العصيان ثانية وخرج عن طاعة الملك توتوميس الثالث المذكور وهيج عليه سكان شمال سوريا فركب عليهم توتوميس وحاربهم وتغلب على مدينة تونب وحلب وارواد وذلك في السنة التاسعة والعشرين من ملكه وهجم في السنة المتممة للثلاثين على مدينة كدش فتملكها وأخذ جميع ما فيها من الأموال ودمر الأسوار ودكها دكاً وسار منها إلى مدينتي صميرة وارواد فظفر بهما أيضاً وانتصر على الخوارج ثم عفا عن زعماء العصاة وأبقاهم في مناصبهم وأخذ أولادهم وإخوتهم إلى مصر رهينة فكان إذا توفى أحد من هؤلاء الرؤساء أرسل واحدا من المرهونين ليتولى بدله.

وفي السنة الثالثة والثلاثين من ملكه عبر الفرات وسار إلى الجزيرة التي بين دجلة والفرات في الجهة التي نصب فيه توتوميس الأوّل الحجر الشاهد على نصرته وتغلبه على بلاد الأرمن وإدخالهم تحت طاعته ثم عبر نهر الخابور إلى دجلة وسار حتى وصل إلى نينوي بالعراق فخرج إليه رئيس العراق وتلقاه بالبشر والقبول وسلم إليه وأطاعه فأقره على منصبه وأباح لعسكره صيد ما في تلك الأصقاع من وحوش البر فاصطادوا منها مائة وعشرين فيلاً وأتوا له بجلودها وما غنموه من تلك الغزوات ثم سار إلى مصر فكان إذا مر بمدينة أو قرية خرج له أهلها بالجزية والهدايا النفيسة وتلقوه بالفرح والقبول فظن أن قد تم له الأمر وخضعت جميع آسية إليه ولم يبق له من يعارضه في ذلك.

فلما كانت سنــة أربع وثلاثين من ملكه عادت بلاد آسية إلى شق عــصا الطاعة وخرج كــذلك في سنة خمس سكان الجـزيرة وفعل كــذلك أهل كدش وغــيرها من البلاد المجاورة لهــا فركب عليهم وقاتلهم جميــعاً، وما زال حتى أخضعــهم وانتصر عليهم نصــراً مؤزراً ولم يكد يرجع من غزوة آســية وإخضــاع أهلها حتى قــام عليه الزنوج والعبيد القــاطنون على شاطيء النيل الأعلى فسار إليهم فلما أحــسوا بقدومه تركوا أوطانهم وهربوا إلى الجبال فأمر فنهــبت مواشيهم وجميع أموالهم من الذهب والأواني المعدنيــة والريش وغير ذلك وهدمــوا مساكنهم وأحــرقوها ثم عاد بجيــشه والنصر يتقدّمه فكانت أيامه كلها حروباً وشدائد.

ومات توتوميس الثالث المذكور في الثلاثين من شهر برمهات سنة أربع وخمسين من حكمه بعد أن قــهر بلاد الحبشة والنوبة والسودان والشــام والجزيرة وبلاد العراق الغربي وكردستان وجزيرة قبرص وأخذ منها جــميعها الجزية صاغرة، وهو من أشهر ملوك هذه الدولة الثامنة عشــرة التي هي رأس الطبقة الثالثة من طبــقات ملوك مصر كما تقدّم حسب ترتيب جماعة المؤرخين مــن المتقدمين والمتأخرين وكانت مدّة حكمه خمساً وعــشرين سنة وبعض أشهر وفي رواية ثماناً وأربعين سنة فــانتقل الملك بعده إلى حفيده أمنوفيس الثاني الملقب رعا خبرو ويسمى أيضاً أمنحتب الثاني.

(فــي الملك أمنوفيس الثـانـي)

ارتقى أمنوفيس الثاني هذا سرير الملك والبلاد آمنة مطمئنة لا مهدد لسطوتها ولا موقف من الأمم لنفوذ كلمتــها فزاد في نفوذها وإعلاء كلمتها وتقوية شــوكتها وأخذ في تتميم ما نوى سلفه على فعله من بناء العــمائر العظيمة والمباني المشيدة في النوبة وبلاد الكنوز وإبريم ولم يتمها وكانت في أيامه الراحة ضاربة أطنابها في جميع أنحاء البلاد والرعية في خوف من شدّة بأسه وجبروته لم تجسر على الخروج ولا شق عصا الطاعة مــدّة ثم هب الآشوريون بعــد ذلك من سنة الخمول وعــمدوا إلى شق عــصا طاعته والاســتقلال بحكم أنفسهم فلمــا آنس منهم ذلك وأحس بما وراءه من الخوف على بقية الايالات الداخلة تحت سلطانه جــيش جيشاً عظيماً وركب لقتــالهم فاجتاز الفرات ونهر ارسات وأرسل طليــعة من عساكر الشام يستكشــفون أحوال الآشوريين في مدينة (انات) ثم سار لقتالهم وضيق عليهم حــتى انتصرت عساكره ثم سار منها إلى الجزيرة، ووقــعت الهدنة بينه وبين أهلها إلى شــهر أبيب، فقــضى الشتاء فيــها وذلك في السنة الثانية من حكمــه، فلما كان العاشر من شــهر أبيب سار إلى نينوي

فلاقاه أهلها واستسلموا له بغير قتال فنزل بدجلة وسار إلى مدينة (اكاد) وتملك عليها وكانت هذه الغزوة آخر الحرب مع الآشوريين ثم عاد في السنة الثالثة من حكمه بطريق البحر وكان في مقدّم سفينته سبعة قتلى من رؤساء مدينة (تاخيس) قد قتلهم بيده في معمعة الحرب فلما دخل مصر أمر فعلقوا ستة منهم على سور مدينة ثيبة وقد قطعوا أيديهم وعلقوها أيضاً بجانبهم ونقلوا سابعهم إلى النوبة فعلقوه في مدينة (ثبتا) ليكون عبرة لأهالي تلك الأصقاع. وحكم هذا الملك خمساً وعشرين سنة، وقيل لم يحكم إلا عشر سنين وعشرة أشهر وكان جليل القدر فلما مات تولى بعده الملك توتوميس الرابع الملقب رعمنخبرو وهو ابن أمنوفيس الثاني.

(في الملك توتوميس الرابع)

تولى هذا الملك بعد أبيه أمنوفيس الثاني وعكف على بناء الهياكل وتشييد المباني العظيمة وحافظ على بقاء مصر على ما وجدها عليه من رفعة الشأن واتساع الكلمة وحارب الايتيوبيين في السنة السابعة من حكمه وأخضع الشام لخروج أهلها عن طاعته وحصن مصر وجعلها في منعة على القبائل العاصية جهة لويبة وبلاد برقة. قال صاحب العقد الثمين: ثم عكف على عبادة الشمس كما ورد في الأسانيد الأثرية على جدران معبد أمدا بالنوبة واحترم أبا الهول القائم بين الهرمين بالجيزة حيث كان السر في وضعه الأصلي رمزاً عن الشمس المشرقة التي كان يتصف بها كل حاكم حائز لكافة الأوصاف الفرعونية لكونه بهذه الأوصاف يكون نائباً في الأرض عن الشمس المعبودة لهم. قال: ويشاهد في صدر أبي الهول حجر ارتفاعه أربعة عشر قدما إنكليزية قد علته الرمال وبأعلاه صورة الملك تحوتمس الرابع مرسومة جهة اليمين على هيئة أنها تعبد أبا الهول وعلى يسارها رسم الشمس ثم يلي ذلك نقوش مؤرخة في اليوم التاسع عشر من شهر هاتور من السنة الأولى من حكم هذا الملك تفيد أنه لم يوفر أشياء لتحسين مدينتي منف والمطرية ولإعطاء المرتبات المقررة للمعابد ولإنشاء الهياكل وأعمال التماثيل للمعبودات وإنما تصفه بالقوّة والشوكة بين الدول. قال: ومن أجمل عبارات هذا الحجر خطاب منصوص في آخره عن لسان أبي الهول يخاطب به الملك ويقول له:

أكلمك بنفسي كما يكلم الأب ابنه فانظرني وسرّح الطرف نحوى ياتحوتمس ياولدي أنا أبوك(حورمخي خبرع توم) أي الشمس المشرقة الموجودة الكاملة. أعدك بأن تملك سائر الأرض في طولها والعرض وأن تعطيك الأمم جزياتها العديدة ويطول عمرك سنين مديدة. اهـ.

وحكم هذا الملك تسع سنين وثمانية أشهر ومات فتولى الملك بعده ابنه أمنوفيس الثالث الذي رزق بـه سن زوجته مـوت أموا ويسمـى أيضاً أمنحتب الثـالث ويلقب رعماتب.

(فى الملك أمنوفيس الثالث)

لما تولى هذا الملك واستقر به المنصب بسط يده على جميع حدود المملكة التي كانت تمتد يومئذ شمالاً إلى نهر الفرات وجنوباً إلى دجلة وكان جليل القدر له شهرة عظيمة في الأقطار الغـربية وكان اليونان يسمـونه (الممنون). وقيل: إنه لم يكن من جنس المصـريين ولكنه اغتـصب المملكة وتسلط عليـها بمداخلتـه مع أحد الفـراعنة بالزيجة ويسـتدل على صحـة ذلك بانفراد قبره الذي في مـدينة ثيبة عن قـبور باقي الفراعنة ويحكي أن ولادته وتربيـته وشئونه كـانت عجيبـة ومرسومة في آثار مـباني لقصرو، تحرير الخبر أن رئيس الكهنة بشر أمه بحمله فأحست بذلك عن قرب فلما وضعته بشرها أيضاً بعظم شأنه واتساع كلمته وأن يكون له ملك عظيم لم يسبق لمثله ويملك ما بين الخافـقين شرقاً وغرباً وشمـالاً وجنوباً فتم جميع مـا قاله الكاهن وقد شيـد المباني العظيمـة والهياكل بلقـصر وبيبـان الملوك وغزا الغزوات الكثـيرة بالنوبة والسودان وانتصـر فيها فادّعـى لنفسه الألوهية ولقب نفسـه (هودوس) يعني شمس الربيع وكذلك سـمى نفسه ملك القطرين وصـاحب المصرين ومولى الخافـقين وكان يعني بالقطرين الإقليمـين البحري والقبلي وبالمصـرين منف وثيبة وبالخافـقين المشرق والمغرب يعني آسية وإفريقية وكان مهيباً حسن السياسة بعيد النظر في الأمور فامتدّت مملكته مـن الجزيرة إلى قلب الحبـشة وملأ جـوانب النيل بالآثار العجـيبـة والرسوم الغريبة والهيـاكل والمعابد فمنها هيكل جبل البركل وهيكل الشلال الثـالث وغيرهما من الآثار الأخرى بجـزيرة أسوان وجبل السلسلة وطرا ومنف وجـزيرة الطور. قال صاحب العقد الثمين ونقش تاريخ غزواته على تاج هيكل لقصر الذي جدد فيه جزءا عظيماً فقال ما معناه:

أنا الملك المنصـور الأكبـر والليث الشـديد الغضنـفر أنا الذي دوّخت بالسـيف طوائف المتوحشين وملكت بلادهم وفرقت شملهم وأبدتهم أنا ملك القطرين، وولى أمر المصرين والسيد المالك المطلق التـصرف وابن الشمس ضارب رقاب الولاة الكبار ورؤساء الأقوام في الأقطار لا بلدة من البلدان تقاومني ولا دولة من الدول تصادمني بل سرت في سائر الأقطار جامعاً شمل الانتصار كالمعبود حوريس ابن المعبودة إزيس

وكالشمس في كبد السماء أضرب قلاعهم وأدمر حصونهم كيف لا وقد قهرت جميع الملل وألزمت كافة الدول بتأدية الجزية لديار مصر ألست بسلطان البرين وأمير العالمين ومن سلالة الشمس. اهـ.

ويقال إنه هو الذي أنشأ على ميسرة النيل تجاه ناحية لقصر معبدا من أعظم الآثار المصرية القديمة، وقد تخرب الآن ولم يبق منه إلا الصورتان الموجودتان به المسماتان الآن بالصنمات وهما صورة الملك أمنوفيس الثالث المذكور. ويقال لهما أيضاً: شامة وطامة وكان في الزمن الأوّل لم يلتفت إلى هذه الصورة أحد فحصلت زلزلة في سنة سبع وعشرين قبل الميلاد المسيحي فأسقطت جزء أحد التمثالين المذكورين وبقيت قاعدته قائمة في محلها وقد شوهد أن هذه القاعدة متى سقط عليها الندى وقت الصباح سمع منها صوت مستطيل عند شروق الشمس فكان يعجب من ذلك أرباب السياحة من اليونان والرومان واعتقدوا أن صورة الملك أمنوفيس الثالث المذكور هي صورة شمسون أحد أرباب الايتيوبيين ابن نيتون وأمه (أورور). وهو الذي أعان (بريام) على إرغام أنوف اليونان وأنه يشير بالتحية عند طلوع الشمس إلى أمه (أورور) أي الفجر ويودعه. قال بعض المتأخرين: إن هذا الصوت كان من أثر الندى وتأثير الشمس على الحجر فهي خاصية طبيعية وكان هذا الملك متزوجاً بامرأة أجنبية من بيت الملك تدعي (تابي) ورزق منها بولد اسمه أمنوفيس الرابع. ويقال إنه خلف عدة أولاد تولى منهم بعده ملك مصر ابنه هودوس. وقد كان تناوب كرسي المملكة المصرية من غير بيت الملك عدة ملوك قد حسبوهم في عداد ملوك الدولة الثامنة عشرة ولكنهم كانوا خاملي الذكر ليس لهم من الآثار ما يذكر قالوا: فلما تولى هودوس بن أمنوفيس الثالث المذكور رجع به المنصب الملوكي إلى أهله من بيت الدولة الثامنة عشرة وكانت مدة حكم أمنوفيس الثالث المذكور ستاً وثلاثين سنة وخمسة أشهر، فقام بالأمر بعده الملك أمنوفيس الرابع الملقب رع نفروخون آتن.

(في الملك أمنوفيس الرابع)

كان هذا الملك قبل تولية الملك كاهناً للشمس فلما آل إليه الملك بالوراثة عن أبيه أمنوفيس الثالث أمر الناس بعبادتها ونهاهم عن عبادة بقية المعبودات وغير اسمه لما فيه من ذكر أمون لبغضه له وسمى نفسه (خنون آتن) يعني نور قرص الشمس وأمر فمحوا جميع أسماء أجداده وأقاربه التي وجد فيها اسم أمون وحافظ كثيراً على كل

ما كان فيه اسم الشمس محبة فيها واحتراماً لها. قال صاحب العقد الثمين وقد أمر بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنة قرب منية الصعيد لتكون تختاً جديداً للدولة المصرية بدل مدينة طيبة التي هي مقر المعبود آمون ونقل في مدينته المستحدثة تمثال قرص الشمس وسماه (آتن) موافقة لاسم معبود اليهود أدونوس أو أدوناي وبكشف أرض تلك المدينة ظهر أنها كانت كثيرة الأماكن والشوارع المنتظمة منها آثار معبد الشمس المشتمل على دهليزين وعلى ستة عمد مدرجة الوضع كانت منصوبة في وسط هذ المعبد وشوهد أيضاً على جدرانه رسم الشمس مشرقة فوق الملك ورجاله وهم وقوف يقدمون القرابين إليها ولها أشعة ذات أيد كأنها تنثر الحياة على المخلوقات. وحول ذلك أدعية وقصائد يتلوها المرتلون مصحوبة بنغمات الأوتار ومعهم غانية تدعى (سنرو) تقول مدحة لقرص الشمس مطلعها:

لك الثنا ياصاحب الأعوام ... ياموجد الشهور والأيام
يامعدد الساعات ... في سائر الأوقات

وقد كان شديد المحافظة على حدود مملكته كثير العناية بأمرها فكان الايتيوبيون وأهل الشام والولايات الشرقية وجزائر البحر الأبيض يدفعون له الجزية صاغرين وكان ملكاً مهيباً موفقاً في الحروب والغزوات ومات عن سبع بنات ولم يعقب ذكرا يتولى الملك بعده. قال صاحب العقد الثمين ولذا انتقل الملك بعد وفاته إلى خمسة رجال من المصريين حكموا على التناوب بينهم بدون حق في الوراثة وسنذكر من علم منهم على ترتيبهم في جدول ملوك هذه العائلة قال:

(في الملك آيي)

هذا الملك هو أوّل الملوك الخمسة، وكان قبل استيلائه على سرير الملك يدعى (نتراتف آيي حق نتراوس) ومعناه الكاهن آيي الحاكم المقدس في طيبة وكان متوليا عند الملك أمنوفيس الرابع وظيفة سائس ركاب الميسرة ثم ترقى إلى ناظر خيول الملك ثم إلى كاتب سره وكان أخاه من الرضاعة. وزوج ابنته الكبيرة(آتي) فلما آل إليه الملك على ديار مصر غير اسمه آيي وسمى نفسه (رع خبر خبر وأرما) وقد علم من الآثار أنه أبقى ديانة الشمس واحترم أيضاً أمون والمعبودات المصرية التي أبطلها أمنوفيس الرابع، وكانت مدّة حكمه تزيد عن أربع سنين، وفي أثناء ذلك عين باور والياً على الأقطار السودانية وصنع لنفسه مقبرة في بيبان الملوك بطيبة نقش اسمه عليها فمحاه من حكم بعده من الملوك لكونه خارجاً عن بيت الملك ولم يبق اسمه

إلا على بعض مواضع من تابوته ولقصر مدّته ترك مقبرته المذكورة ناقصة البناء . اهـ. وبموته قام بالأمر بعده الملك توت عنخ أمون.

(في الملك توت عنخ أمون)

تولى توت الملك بعد الملك آيي وهو ثاني الملوك الخمسة وكان قبل توليته المنصب الملوكي حاكماً على مدينة أرمنت، وقد بقيت جميع المدن والبلدان خاضعة لحكمه وكان ملكاً مهيباً جليل القدر نافذ الكلمة أتى إليه رؤساء قبائل الآشوريين والروتنو والجزائر وبلاد السودان بالجزية والهدايا النفيسة من الذهب والفضة والأواني من المعدن المتقنة الصناعة ومن الخيول والسباع وجلود النمور وغير ذلك مما كان يصنع ويوجد بالجزيرة التي بين دجلة والفرات وكانت أيامه غاية في الراحة والعز والطمأنينة فلما مات تولى الملك بعده الملك (رسعا كاخبرو) ثم ملكان آخران مجهولا الاسم كما رواه صاحب العقد الثمين ولكن لم يعلم لهؤلاء الثلاثة شيء من الأخبار أو المآثر، ولم يصل جماعة المؤرخين إلى الوقوف على شيء من أعمالهم، وبموتهم عاد الملك ثانية إلى من بقى من العائلة الثامنة عشرة المتأصلة، وهو الملك(حوربي) وقيل هو الملك هوريس بن أمنوفيس الثالث وبنته المسماة طماهو موت.

(في الملك حوربي أو حور محب)
(ويسمى أيضاً)
(رع سر خبرواستبن رع)

لم يستقر الملك حوربي المذكور بالمنصب حتى قامت الفتنة في جوف البلاد واشتدّت وأخذت في الانتشار بسبب ما حصل من تغيير ديانة البلاد على عهد الملك أمنوفيس الرابع وقام الأهالي على قدم وساق ومحيت اثار الملوك الذين ساعدوا على تغييرها من جميع الهياكل والمعابد فنهض الملك (حور محب) إلى إطفاء نار الفتنة ورسم بإرجاع عبادة المعبودات المصرية القديمة فقام عند ذلك الأهالي على هيكل الشمس ودكوه دكاً ومحوا آثار المدينة العظيمة التي أسسها هؤلاء الملوك على مقربة من تل العمارنة وكانت تخت مملكتهم بدلاً عن مدينة طيبة كرسي الملوك المصريين وما زال الملك حور محب حتى مهد الأمور وأسكن الفتنة وتم له الأمر فنهض إلى إنشاء العمائر وبناء الآثار العظيمة فبنى الواجهة الرابعة من معبد الكرنك وأصلح

الغار الكبير الذي بجبل السلسلة وكان قبل ذلك مقطعاً تستخرج منه الحجارة ونقش على جانبه الغربي نقوشاً تدل على نصرته على أهل الايتيوبيا وكان ملكاًحسن السياسة فعادت المملكة في أيامه إلى ما كانت عليه أوّلاً وبلغت من العز والمجد مبلغاً عظيماً وحافظت على ما لها من الحدود البعيدة على عهد الملك توتوميس الثالث وحور محب هذا هو آخر من أبلغ الديار المصرية من ملوك الدولة الثامنة عشرة أقصى درجات العمار وأكبر مراتب الفخار ومات عن بنته طماهوموت وابنه رمسيس الأوّل ولما كانت طماهوموت أرشد من أخيها وكان أخوها قاصرا تولت الملك بدلاً عنه وقامت بتدبير أمور المملكة خير قيام فكانت مدّة حكم الملك حور محب وابنته معاً ثماناً وثلاثين سنة وخمسة أشهر وهو آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة على قول جماعة من الكتاب وقد أقامت هذه الدولة على كرسي المملكة إحدى وأربعين ومائتي سنة ثم قامت بعدها الدولة التاسعة عشرة، وعلى رأسها الملك رمسيس الأول الذي هو ابن حور محب المذكور.

الفصل الثاني

(في العائلة التاسعة عشرة)

كان ابتداء ملك هذه العائلة سنة اثنين وستين وأربعمائة وألف قبل الميلاد أي سنة أربع وثمانين وألفين قبل الهجرة وعدة ملوكها ثمانية ومدّة ملكهم مائة وأربع وسبعون سنة وأول ملوكها الملك رمسيس الأوّل وهو ابن حور محب وأخو الملكة طماهوموت آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة وهو الآتي ذكر مآثره بعد.

(في الملك رمسيس الأول)

تولى رمسيس الأول الملك والبلاد في ضعف وشوكتها في ذبول وكلمتها في انحطاط بسبب الفتن المترتبة على تغيير الديانة القديمة من آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة وقد طمع فيها الغريب، وخرج أهل آسية عن طاعتها وانضموا إلى الحيثيين وصاروا يشنون عليها الغارة، ولما كان رمسيس هذا ابن الملك (حور محب) وأخا الملكة (طماهوموت) تولّى الملك خلفاً لأخته وأبيه خلافاً لما قاله بعض الكتاب من أنه لم يعلم إن كان من عصبة الملوك المصريين، أو ظهر من أهل آسية. قال: وغاية من علم أن زوج ابنته (سيتي) هو من ملوك العائلة الثامنة عشرة ثم تبوأ كرسي الملك كبيراً فأحسن السياسة في رعيته وأوردها موارد الراحة، وكان مهيباً جليل القدر قاتل

في السنة الثانية من حكمه أهالي شمال الشام من طريق الفرات وجبل كورين والبحر الأبيض وهي البلاد التي يسكنها الخيتاس ويعرفون في التوراة بالحيثيين وهاجم الجم الغفير من حلفاء هذه الطائفة من سكان آسية وقاتلهم قيل وهو أول من أقدم على مقاتلة الحيثيين والتغلغل في بلادهم حتى وصل نهر العاصي ثم عاهدهم وكانت مدّة حكمه تسع سنين وخلفه ابنه منفطه الأوّل المسمى عند اليونان (سيتي) أو سيطوس الأوّل.

(في الملك سيطوس الأوّل)
(الملقب)
رعما من

لما ارتقى سيطوس الأوّل كرسي المملكة خف إلى الأعمال النافعة وتعزيز جانب المملكة واتبع آثار جدّه الملك (توتوميس الثالث) في إعلاء شأن البلاد والوصول بالمملكة إلى أوج العز والفخار وله من الآثار الغريبة والعمائر العظيمة بالإقليمين القبلي والبحري وعلى سواحل البحر الأحمر وبلاد النوبة ما يدل على علو همته وجليل قدره وقد أكمل بناء هيكل القمر الذي كان قد أنشأه الملك (توتوميس الرابع) بناحية بني حسن القديمة وبنى بجانبه معابد أخرى ومقابر مرسوماً عليها اسمه وأنشأ بالصعيد الأعلى عند جبل السلسلة على الشاطيء الغربي من النيل معبداً منحوتاً في الجبل لم تزل منه بقايا جيدة الصناعة كاملة الزينة تدل على تقدّم فن العمارة والنقش في أيامه، وله القاعة ذات الأعمدة الموجودة بجهة الكرنك التي هي من أبدع العمائر المصرية القديمة وتسمى بالقصر المنفطي نسبة إليه قيل ولم يتمم (سيطوس) المذكور بناء هذا القصر وإنما الذي تممه ابنه (رمسيس الثاني) وأنشأ هيكلاً آخر للشمس في الوادي المعروف بوادي الموية على بعد يومين من النيل في البرية التي في طريق القصير، ومن أعماله أيضاً إصلاح الغار الموجود في بني حسان للمعبودة (بشت) وهو المعروف الآن بغار (تمسيسدوس) وكان من قبل مقطعاً تستخرج منه الحجارة للعمارات وينسب إليه أيضاً مقطع أحجار الرصيف المصنوع الآن في جزيرة أسوان وهو من آثار الأحجار التي نقلها للعمارات التي بناها في هذه الجزيرة ومن آثاره المسلة العظيمة التي نقلت من مصر إلى مدينة رومة، والهيكل الكبير الذي استكشف حديثاً بالعرابة المدفونة، وما يحتوي عليه من التصاوير العجيبة والنقوش الغريبة، وهو أول من حفر الخليج الموصل ماء النيل إلى بحر القلزم الذي هو البحر الأحمر

وأول من فتح طريقاً للقوافل من إسنا إلى معدن الذهب بجبل (اتوكي) وحفر في الجبل هناك عيناً ينبع منها الماء وله جملة غزوات وحروب مع السودان والشام وكثير من بلاد آسية وانتصر على قبيلتي (الخيتاس) (والروتونو) وهما أعتى القبائل وأشدّها بأساً وغزا مدينتي نينوي وبابل وسار بجنوده إلى أقصى بلاد أرمينية، وانتصر على أهلها، وكانت جميع بلاد آسية إلى عهد الملك سيطوس الأول ثاني ملوك الدولة التاسعة عشرة قد خرجت عن طاعة المملكة المصرية وصارت تشن عليها الغارات وتتقوى وتتحرز حتى صارت من أكبر أعدائها وكان بينها وبين مصر من الوقائع والحروب ما سيذكر في محله ثم مات الملك سيطوس الأول المذكور فكانت مدة ملكه اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وفي رواية مانيتون إحدى وخمسين سنة ودفن في مدفنه الذي ابتناه لنفسه في بيبان الملوك عند مدينة طيبة تحت الأرض يعجب منه كل من يراه لما فيه من الهيئات الفلكية كالشمس تسبح بسفينتها في السماء وكأن السماء لجة ماء وتجتاز ما يعارضها من عقبات الثعبان أبب وكالنجوم الثوابت والسيارة وغير ذلك، وتولى بعده بكر ولديه وولي عهده رمسيس الثاني.

(في الملك رمسيس الثاني)
(المعروف)
(بسيزوستريس)
(الملقب)
رع أوسر ما استبن رع

اشتهر هذا الملك برمسيس الأكبر، حيث كان أعظم ملوك مصر قوّة وأكبرهم سلطة واقتدارا وكان ظافرا كثير الحروب والغزوات ملأ مشارق الأرض بصيت فتوحاته وأرهب مغاربها بهيبته وبأسه وسطواته ولم يكن أحد قبله من ملوك مصر عبر البحر الأحمر فجهز هو عمارة عظيمة قيل أنها كانت أربعمائة سفينة حربية وتغلب على سواحل البحر المذكور وعلى جزائر بحر الهند فامتد ملكه من نهر الكنك بآسية إلى نهر الدانوب الذي هو نهر الطونة، وكان كلما فتح قطرا واستولى على مملكة من الممالك شيد فيها هيكلاً وآثارا تدل على نصراته وفتوحاته وأنزل فيها طائفة من جنده المصري ليستوطنوها وينشروا ديانتهم وعوائدهم فيها ليكون ذلك دلالة ظاهرة على تخليد ذكره وزاد في ثروة أهل وطنه وأوردهم موارد السعادة والرفاهية ونعم بالهم وسن لهم القوانين والأحكام ونظم أمورهم على أكمل ترتيب

وأحسن نظام وضرب الجزية على عشرين أمة استرعاها. ويقال: إن كاهن الشمس بشر أباه بأن ولده هذا يملك سائر بلاد العالم ولذلك لما آلت إليه المملكة المصرية اعتنى بهياكل مدينة منف المكرسة للشمس فشيدها ووسعها توسيعاً خارجاً عن حد العادة. وقد طال عمره وامتدت مدّة ملكه وتنوقلت مآثره وتواترت مفاخره وتكلم عنه كثيراً أصحاب التاريخ. وقالوا: إنه لم يسبق هذا الملك أحد من ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أعظم من توتوميس الثالث الذي كان بينه وبين رمسيس الثاني هذا ستة ملوك وكان رمسيس من زمن شبوبيته فاضلاً بارعاً متضلعاً من العلم والحكمة حتى قيل أنه تلقى جميع العلوم وسائر الفنون عن (هرمس المثلث) الذي هو إيليا النبيّ أي إدريس عليه السلام زعم البعض أنه تلقاها عنه مشافهة. (قلت): وهذا غير صحيح لتأخر زمن رمسيس ورفع إيليا إلى السماء قبل زمن رمسيس كما جاءت به الكتب ولعله تعلمها بالتلقي عن أحد الهرامسة المصريين وقد دلت كتب اليونان على أن هرمس الهرامسة المثلث هو إيليا النبيّ وهو مصري المولد، وأنه أول من وضع العلوم والفنون والسياسات والتدابير والحروب والصنائع، وله رموز عجيبة وأسرار غريبة ومعارف غزيرة واسعة قد أودعها بطون الأسفار والكتب، وهو أول من عرف الله سبحانه وتعالى وعبده. قالوا: ولماجاء الطوفان وأغرق الأرض وأهلك سائر النوع البشري ثم عمرت الأرض بأولاد نوح عليه السلام كان الناس كافة على الفطرة الأولى لا يعرفون شيئاً من ضروريات المعيشة فبعث الله لهم هرمس هذا في صورة إنسان، وقد كان رفع إلى السماء قبل الطوفان فعلمهم ما يحتاجون إليه وثقفهم فتبدلت أخلاقهم الوحشية بإنسانية وطباعهم الحيوانية بآدمية إذ كانوا هائمين على وجوههم كالوحوش لا يفهم بعضهم بعضاً إلا بصياح ساذج متقطع مختلطاً ووضع لهم أسماء المسميات وعلمهم طرق التعارف فيما بينهم. قالوا: وله اثنان وأربعون كتاباً سلمها إلى طائفة الكهنة وأمنهم عليها وأودعهم أسراراً غامضة وأمرهم بمعرفة ما في تلك الكتب كل على قدر حاجته ومرتبته في الهيئة الاجتماعية. وقال چامبليك: إن كتب هرمس الهرامسة بلغت بمصر عشرين ألف كتاب. وقال مانيطون: بل أكثر من ذلك كثيراً. اهـ. ولغزارة علمه كانت جميع عباراته سهلة المآخذ مقبولة مألوفة للنفوس وكانت عادة المصريين أنهم إذا اخترعوا شيئاً من المعارف النفيسة والحكم نسبوه إلى هرمس المثلث ليسهل تلقيه من عامة الناس ويكون حسنا لديهم مقبولاً وكان (رمسيس الثاني) المذكور بطلاً شجاعاً ميالاً للغزو والقتال فأرسله أبوه لغزو بلاد العرب فنزل عليهم وقاتلهم وأرجعهم إلى الطاعة ولم تكن العرب

قبله انقادت لملك من الملوك الأولين وكان معه في هذه الغزوة كثير من أبناء المصريين الذين كانوا تربوا معه ثم سيره إلى جهات المغرب فاستولى على برقة وغيرها من بلاد إفريقية وصيرها من ملحقات المملكة المصرية ثم مات أبوه عقب ذلك فتولى الملك بعده فلم يستقر به المنصب حتى جيش الجيوش وأكثر من معدات القتال وسار لقتال الأقطار السودانية وما زال بها حتى أخضعها وضرب على أهلها الجزية مقدارا يدفعونه في كل سنة من الآبنوس وسن الفيل والذهب، ولما كان في مبدأ السنة الخامسة من حكمه قامت عليه سكان آسية الشمالية وهم قبائل الخيتاس وكاتي وكركميش وكدش وأراد، وكانوا أقواماً أصحاب قوة وبأس فتألبوا على محاربته وانضم إليهم أقوام أخر لم يكن لهم سابق قتال مع المصريين فعمت بذلك الفتنة وامتدت في أرجاء آسية الشمالية كلها وانحدروا جميعاً على عجل إلى أن وصلوا إلى وادي الارنؤد على مقربة من حدود مصر، فلما بلغ رمسيس خبر وصولهم ركب في جيش عظيم وسار لقتالهم فعبر أرض كنعان التي كانت يومئذ خاضعة لا يار مصر وانعطف إلى الجهات الشمالية ونزل بشبتون القريبة من كدش، وبث العيون والجواسيس لتأتي له بأخبار العدو وما هو عليه من المنعة أو الضعف وكذلك فعل العدو فلما كان في بعض الأيام خرج رمسيس في طائفة من حراسه وسار صوب مدينة كدش فلقيه رجلان من الأعداء وأخبراه بأن رؤساء القبائل الذين كانوا اجتمعوا لنجدة رئيس الحيثيين انفصلوا عنه وسيروا بهما لخدمته والعمل بمقتضى إشارته وأنهما تركا رئيس الحيثيين في حلب شرقي مدينة تونب يتقهقر بعسكره فراراً من رهبتك وخوفاً من جبروتك فاغتر رمسيس بهذا الكلام وتمكنت منه الخيلاء فزحف على الأعداء بمن كان معه من طوائف الحرس في ذلك اليوم؛ وقد كان بينه وبين معسكره بُعد بعيد. وكان قد رتب من معه من الجند وقسمهم إلى أربع فرق. الأولى منها فرقة أمون رع، والثانية فرقة رع، والثالثة فرقة بتاح، والرابعة فرقة سوتنج وعين لكل موقفاً أمام العدو، فلما سار بمن معه من الحرس نحو كدش يريد مفاجأة العدو وأخذه أخذ عزيز مقتدر، برز إليه رجلان بعث بهما رئيس الحيثيين ليقبضا عليه ويأخذاه أسيرا وكانت جيوش العدو مجتمعة في الشمال الشرقي من كدش وهي على أهبة الهجوم على كل من يمر بهم من عساكر رمسيس فآنس رمسيس من الرجلين أنهما إنما أتيا ليقبضا عليه ويأخذاه أسيرا فأمر جنوده بالقبض عليهما وأوسعوهما ضرباً حتى اعترفا بسر بعثتهما وخفيّ مأموريتهما وأنهما إنما حضرا لكشف أخبار الجيوش المصرية والقبض على رمسيس، فعقد رمسيس لذلك مجلساً

من كبار جنده وعنفهم وبالغ في تعنيفهم. وقال: كيف تأتون بنا من طريق لا خبرة لنا بها ولا معرفة لنا بما فيها وكيف بسوء تدبيركم نضل عن طريق السلامة ونقع مع ما نحن فيه من القلة في أيدي الأعداء الذين هم لنا بالمرصاد فجعلوا يعتذرون ويهوّنون عليه الأمر ويقولون إنما ذلك كله من فساد قلوب حكام هذه البلاد التي نزل بها العدو فلم يخبروا بخبره ولم يكشفوا لنا عن عوراته. والرأي أن نرسل الساعة من يأتي لنا بالجيوش فنركب على الأعداء ونقاتلهم حتى نظفر بهم، فبينما هم يتدبرون إذ ظهر العدو في عُدَده وَعَدَده يريد قتال رمسيس ومن معه؛ وكان رمسيس في هذا الحين نازلاً بمن معه من جند الحرس على شمال كدش قريباً من نهر العاصي فهجم عساكر الحيثيين عليه هجمة رجل واحد وصدموا جنود القلب وأوقعوا فيهم القتل ففشل المصريون وانقسموا وولوا الأدبار وبقي رمسيس بين الأعداء منفرداً فتأهب للقتال. قال صاحب العقد الثمين: وقد جاء في النقوش الأثرية أن الشاعر المصري (بنتاأور) كان حاضراً مع رمسيس في هذه الموقعة. فقال في ذلك ما نصه:

إن حضرة الملك نهض وهو في غاية الصحة واعتدال المزاج ونهاية القوة والابتهاج كأنه المعبود مونت آخذا عدة الحرب في الحال، ومتهيأ للضرب والقتال فأرسل عربته في صفوف الجموع، وهجم على بني خيتاس منفرداً بنفسه لم يتقدم معه أحد من أبناء جنسه، واقتحم المعركة وحده أيّ اقتحام بمشهد من جميع الأتباع والخدام؛ وقد أحاط به ألفان وخمسمائة عربة حربية من شجعان الخيتاس والعصبية والقبائل المتكاثرة والعشائر المتظاهرة وهم (آرادوس) (ومازو)، (وبتاسا)، (وكشكاش)، (واليون)، (وجازوناتان)، (وشيروب)، (واكتور)، وغيرهم وكان على كل عربة من عرباتهم ثلاثة من المحاربين؛ ولم يكن مع حضرة الملك أحد من عشيرته ولا من أمراء دولته ولا من قواد جنوده ولا من العساكر الرماة ولا من عساكر العربات فتوجه إلى معبوده واستغاث بمولاه قائلا:

تركني وحدي جند الرماة والفرسان ولم يبق معي من يشد أزري. أو يعضد ظهري. فماذا يريد مولاي أمون؟ فهل أنا عاص أستحق العقاب مع إني لمولاي سميع مطيع أعمل بما أعلم من الأمر بقدر ما أستطيع. وأقوم بحقوق المشاعر وإظهار الشعائر. وأملأ بيوت العبادة من غنائم الأعداء وأتقرب للمعبود بالقرابين التي لا تحصى عدا. وقد أكثرت من المعابد والهياكل وذبحت ألف ثور قرباناً مزينة بالزهور الطيبة الرائحة وشيدت الهياكل الجسيمة. واقتطعت لها الأحجار العظيمة. وغرست في المعابد الأشجار المخلدة. ونذرتها لتكون مآثر مؤبدة. وأحضرت من جزيرة

أسوان للمولى المعبود أحجار المسلات الشـامخة. وأجريت السفن في البحار الزاخرة لجلب غنائم الملل إلى الهياكل الباذخة. فها أنا يامولاي أدعوك وأنا بين أقوام كثيرين لا أعرفهم. وأنا في حضرتك وحدي. فاقـدا لجندي. تركني عساكر الرماة وفرّ عني الفرسان الكماة. وقد دعوتهم فما أجابوبي. واستغثت بهم فما أغاثوني. وأنت أولى بي من الجنود الرماة والفرسان. وأحق بنصرتي من الأبطال والفـتيان. فانصرني على العدد الكثير والجم الغفير. قال: ثم أجـاب الشاعر في قصيدته بكلام عن مولاه أنه لبى دعاءه؛ وقـبل رجاءه. (قلت): وقـد ضربنا صـفحا عن إيراده هنـا خوف ملل القارئ.

وبعد قتال وحـروب هائلة بين رمسيس والحيثيين والكنعانيين مـدة خمس عشرة سنة كادت تفنى فيها جيوش الفريقين تقـدم ختاسار رئيس الحيثيين في طلب الصلح والكف عن القتال حقنا للدماء واستبـقاء لما بقى من تلك النفوس فجنح رمسيس إلى ذلك. قـال صاحـب العقـد الثـمين: وأبرم أمـره سنة إحدى وعـشـرين من حكم رمسيس، وحرروا معاهدة كتبت صـورتها أولاً بلغة الحيثيين ثم نقشت على لوح من فضة وقدمت إلى ملك مصر في مدينة رمسيس وكانت مبنية على الشروط والأحكام المدوّنة في المعاهدة التي وقعت بين أمير الخيـتاس ورمسيس الأوّل وسيتي الأوّل وهذا نص تعريبها.

المقدمة

في اليـوم الحادي والعـشـرين من شهـر طوبة سنة إحـدى وعشـرين من حكم رمسيس مـيامون محبوب (أمـون رع)، (وحورمخي)، (وپتاح) سيد قـسم (أنختو) بمنف (وموت) سيدة قسمي (أثر)، (وخونفرت حتب) بطيبة وهو القائم على كرسي ملك العباد كـأبيه (حورمخي) تخلد ذكـره بينما كان هذا اليوم في مـدينة بارمسيس ميامون يؤدّي فـيها الشعائر للمعـبود أمون رع ولحورمخي ولتوم سـيد مدينة المطرية ولأمون الساكن بمدينة بارمـسيس ولبتاح بالمدينة المذكورة وللشـجاع (ست بن تحوت) لأنهم منوا عليـه بدوام عيـده الرسمي وبدوام أعـوام السلم له، وبخضـوع الأهالي والأمم تحت تعليه على الدوام، إذا برسل من طرف أمير الحيثـيين ختاسار أقبلت إليه وتقدمت بين يديه ليطلبـوا الصلح منه. وكانت صورته منسوخـة على لوح من فضة

مرسل من طرف أمير الحيثيين إلى ملك مصر مع رسولين هما: (تارتيسبو)، (ورمسيس) يطلب الصلح من رمسيس ميامون ثور الملوك الذي وضع حدوده في كافة الأرض حيثما أراد وهذه المعاهدة كتبها ختاسار أمير الحيثيين المفخم ابن موراسار أمير الحيثيين المفخم، وحفيد سابلل أمير الحيثيين المفخم على لوح من فضة وذلك بينه وبين رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر المفخم ابن سيتي الأول ملك مصر الأكبر المفخم، وحفيد رمسيس الأوّل ملك مصر الأكبر المفخم، وهي معاهدة وطيدة على الصلح والمحالفة والوفاق مؤكدة للسلم، والاتفاق دائمة على الدوام.

كان فيما مضى من عهد بعيد حصل بين ملك مصر، وأمير الحيثيين عليهما رضوان الرب اتفاق إلا أن أخي موتور أمير الحيثيين نقضه وتحارب في زمنه مع سيتي الأول ملك مصر الأكبر لكن من الآن فصاعدا أعني من هذا اليوم تعهد ختاسار أمير الحيثيين بمراعاة هذه الشروط سائلاً (أمون رع)، (وست) أن يمنا بدوام اتباعها في ديار مصر وفي بلاد الحيثيين وأن يزيلا الشقاق أبداً من بين المتشارطين. قال:

(المعاهدة)

اتفقت أنا ختاسار أمير الحيثيين، ورمسيس ميامون ملك مصر الأكبر من هذا اليوم على مراعاة الصلح والمعاهدة بيننا أبد الآبدين وعلى أن يكون حليفي ومنطوياً على السلم معي، وعلى أن أكون حليفه ومنطوياً على السلم معه دهر الداهرين، كما كان ذلك في عصر أخي موتور أمير الحيثيين الأكبر الذي خلفته في الحكم بعد موته وجلست على تخت والدي وها أنا ختاسار أظهرالمودة الصادقة لرمسيس ميامون ملك مصر الأكبر وبناء على معاهدتنا ومسالمتنا هذه تكون ديار مصر وبلاد الحيثيين في سلم ومحالفة تامة دائمة دون أن يقع بينهما أدنى شقاق مدى الدهر بشرط أن أمير الحيثيين لا يشن أدنى غارة على مصر لسلب شيء منها كما أن رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر لا يشن غارة على بلاد الحيثيين لسلب شيء منها وأن أتبع اتفاق العدل الذي حصل في مدّة سابلل رئيس الحيثيين الأكبر واتفاق العدل الذي حصل في مدة أبي مورا سار رئيس الحيثيين الأكبر وأن يتبع ذلك أيضاً رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر ونعترف بيننا سوية بأن نتبع هذا الاتفاق، ونجري أعمال العدل من هذا اليوم بشرط أنه إن أغارت أعداء على بلاد رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر لزمه أن يرسل إلى أمير الحيثيين ليخبره بالحضور فينضم إلى قوّته عليهم، ويجب على أمير

الحيثيين حينئذ أن يجيب سؤال ملك مصر الأكبر، ويقاتل أعداءه وإن لم يرد أمير الحيثيين الحضور بنفسه لزمه أن يرسل جنوده المشاة وعرباته ليقاتلوا أعداء ملك مصر، وإن غضب رمسيس ميامون على جماعة من أتباعه يكونون قد سرقوا شيئاً منه وأراد أن يقتلهم، فعلى أمير الحيثيين مساعدته على ذلك وإن أغار عدوّ على بلاد خيتا لزم أمير الحيثيين أن يرسل إلى ملك مصر ويخبره بأن يحضر بقوته ليقاتل أعداءه، فإن أراد رمسيس ميامون ملك مصر الحضور بنفسه، قاتل أعداء أمير خيتا، وإن امتنع عن الحضور بنفسه لزمه أن يرسل مشاته وعرباته ليقاتل أعداء أمير خيتا وأن يعين الوقت ويخاطبهم بذلك، وإن كانت جماعة من خدم أمير الحيثيين تسيئه في خدمته فعلى رمسيس ميامون أن يساعده في تأديبهم، وإذا هاجر بعض السكان من بلاد رمسيس ميامون إلى أمير خيتا. فعلى هذا الأمير أن لا يقبلهم بل يرسلهم إلى رمسيس ملك مصر الأكبر، وإذا ذهب بعض العملة الماهرين إلى أمير خيتا لعمل ما فلا يتوطنون أرض خيتا بل يرسلون إلى رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر، وإذا كان بعض الهاربين يحضرون من بلاد خيتا ليتوجهوا إلى رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر فلا يقبلهم عنده بل يرسلهم إلى أمير خيتا، وإذا ذهب بعض العمال الماهرين من أرض خيتا إلى ديار مصر لعمل ما فعلى رمسيس ميامون ملك مصر أن لا يوطنهم مصر بل يأمر بإرسالهم إلى أمير خيتا. هذا الكلام الذي على لوح الفضة مقول على لسان ألف معبود من معبودات ومعبودي الجهاد منهم معبودات بلاد خيتا وعلى لسان ألف معبود من معبودات ومعبودي الجهاد منهم معبودات مصر، وهو أيضاً يعتبر حقاً وذمة علينا ويشهد بذلك ست معبود تونب، وست معبود خيتا، وست معبود مدينة أرنا، وست معبود مدينة توسور، ونتاوست معبود مدينة بركاوست معبود مدينة خساب، وست معبود مدينة سارسو، وست معبود مدينة حلب، وست معبود... وست معبود مدينة سربينا، وأسترتا معبود بلاد خيتا وجزيرة تاضرار وكدش، ومعبود مدينة أخن، ومعبود مدينة تساي، وجبال وأنهار بلاد خيتا، ومعبودات بلاد كادز وأتانا وأمون ورع وست والأرباب الحربية والمعبودات وجبال وأنهار ديار مصر وكافة من بدائرة البحر الأكبر والهواء والسحب وهذا الكلام الذي على لوح الفضة منسوب لبلاد خيتا وبلاد مصر، فكل من لم يتبع مضمونه تصرف ألف معبود من بلاد خيتا، وألف معبود من بلاد مصر في مسكنه وأملاكه وخدمه ومن يتبع الكلام الذي على هذا اللوح سواء كان من بلاد خيتا أو من بلاد مصر

أحبه ألف معبود من بلاد خيتا وألف معبود من بلاد مصر وأحيت بيته وأملاكه وأتباعه أيضاً. وإذا هرب رجل أو اثنان أو ثلاثة من مصر وذهبوا إلى أمير خيتا فعلى أمير خيتا أن لا يقبلهم بل يأمر بإرسالهم إلى رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر، وكل من أرسل إلى رمسيس ميامون لا يعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا أولاده ولا تقتل أمه ولا يضرب على عينه ولا على فمه ولا على رجليه ولا تقام عليه أية تهمة جناية وإذا هرب من بلاد خيتا رجل أو اثنان أو ثلاثة وذهبوا إلى رمسيس ميامون ملك مصر الأكبر فعليه أن يأمر بإرسالهم إلى أمير خيتا، وكل من أرسل إليه لا يعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا أولاده ولا تقتل أمه ولا يضرب على عينه ولا على فمه ولا على رجليه ولا تقام عليه تهمة جناية انتهى بنصه.

فلما تمت هذه المعاهدة بين الفريقين، بقي كل منهما محافظًا عليها ستاً وأربعين سنة، وفي هذه المدة حصلت الراحة التامة للرعية، ووقع فيها المصاهرة بين رمسيس وأمير الحيثيين، وذلك أن رمسيس تزوّج بابنة هذا الأمير وبعد المصاهرة بمدة دعا رمسيس صهره إلى الحضور في ديار مصر كما دلت على ذلك الكتابة الموجودة في ورقة انسطاسي وحاصلها:

أن رئيس الحيثيين الأكبر أرسل إلى أمير (كاتي) أحد أمراء دولته قائلاً له: هيىء نفسك كي تذهب إلى مصر حيث دعانا ملكها رمسيس لذلك ولا يسعنا مخالفته إذ لا فرق بينه وبيننا وقد أحبته الناس لكونه يمنح الحياة لمن يشاء. اهـ.

وكان حضور أمير الحيثيين لزيارة رمسيس في مدينته بعد مضي ثلاث وثلاثين سنة من حكمه ولتذكار سياحته نقش حاصل رحلته في حجر ورسم عليه صورة نفسه وصورة ابنته التي تزوّجها رمسيس وصورة رمسيس فتعجب المصريون من ذلك. وقالوا: إنما أهل مصر صاروا قلباً واحداً مع أمير الحيثيين؛ وهذا من الأمور التي لم يسبق لها مثيل من عهد المعبود (رع) انتهى.

قال أهل التاريخ: ولم يكن له من غاية في هذه الفتوحات العظيمة سوى حب الظفر والغنيمة وتذليل الأعداء وانقياد الأمم لسطوته وخضوعهم لعزته وجبروته، ولكن قد خانته الأيام فإنه ما رجع إلى تخت مملكته حتى هبت جميع تلك الممالك إلى الخروج عليه، ونهضت إلى شق عصا الطاعة، فلم يبق له منها إلا بعض المدائن

والبلاد القريبة، وهذه أيضاً لم تبق على الطاعة لملوك مصر بعد موت رمسيس الثاني المذكور إلا زهاء أربعة قرون، ثم عصت وخرجت كغيرها ولما كف عن الغزوات والحروب وجه عنايته إلى تزيين الهياكل وإتحافها بنفائس الغنائم ثم صرف همته إلى تشييد المباني العجيبة. وكان في بنائه الهياكل يراعى معتقد الأهالي في كل بلدة ومدينة. وكان الذين أسرهم في غزواته يقطعون الأحجار ويشيدون تلك الآثار. وكان جل اهتمامه منصرفاً إلى تحسين المدينتين العظيمتين وهما منف دار الملك، وطيبة دار الدين والعلوم، وقد أنشأ الجسور والقناطر والترع والخلجان، وسخر الأسرى في ردم الأراضي المنخفضة التي كان يفسدها النيل، وفي رواية أنه حوّل النيل إلى مجراه الحالي ليصلح بذلك ما تلف من الأراضي المنخفضة. قال بعض الكتاب: ويقال أنه لما رجع رمسيس الثاني المذكور من آخر غزواته إلى ديار مصر خرج أخوه للقائه، ومعه جماعة من خواصه وأظهر الفرح والسرور؛ وقابله بمدينة تنيس فأحسن الملك فيه ظنه وأخلص له في المودة، فلما استقر بالملك المقام مع عائلته في قصره الملوكي بمدينة تنيس أضرم أخوه النار في القصر يريد إهلاك الملك وعائلته حرقا وأخو الملك هذا هو المسمى عند اليونان (دانوس المصري) فلما أحس الملك بالحريق فرّ هارباً ونجا هو وعائلته من هذه المكيدة، فخاف دانوس وهاجر إلى بلاد اليونان. ويقال إنه أسس فيها القبائل المصرية وقد حكى بعض المؤرخين أن دانوس هذا هو نفس أرمايس أخو رمسيس الثاني وأنه ركب سفينة من مصر مع طائفة من المصريين وهاجر إلى موره وعمر بلاد اليونان ومدنها وخالف ذلك بعض المؤرخين. فقال: إن دانوس هذا ليس من أبناء ملوك الدولة التاسعة عشرة ولا من إخوة رمسيس الثاني، وإنما هو من عائلة الملوك الرعاة المشاغبين للعائلة المصرية المتأصلة، وأنهم لما حاربوا أمراء الملوك الرعاة وأخرجوهم ومزقوا شملهم هاجروا تحت رئاسة دانوس المذكور. وقيل إنه من أبناء بنت ايتاخوس المصري الذي كان قد فرّ من مصر إلى مدينة حور ومعه طائفة من عرب العمالقة فنزل وتزوّج منها وأعقب بنتا ولدت دانوس المذكور؛ ثم هاجر ايتاخوس إلى بلاد اليونان، وتولى ملك إقليم ارغوس في بلاد مورة فلما انتقلت المملكة إلى أولاده وأولاد أولاده وكان دانوس من ذرية بنته ارتحل إلى مملكة ارغوس ليأخذ حقوقه ووراثته في ممالك جده. قالوا: وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن تمدن اليونان انتقل مع من هاجر إليها من ديار مصر في تلك الأزمان وأن اليونان إنما هي بنت مصر لا محالة.

وطالت أيام ملك رمسيس فكانت ثلاثاً وثلاثين سنة، وقال آخرون: بل سبعاً وستين سنة. وقيل ثمانياً وستين سنة وأشهرا واستدلوا على ذلك بأنه لما تغلبت دولة فارس على بلاد مصر، وخرجت الحكومة من يد ملوك مصر الأهلية، وكان في رواق الصور الملوكية بمدينة طيبة بالصعيد صورة رمسيس الثاني المذكور، أراد داريوس ملك فارس أن يضع صورته في هذا الرواق فوق صورة رمسيس الأكبر، فغضب رئيس الكهنة المحافظ على تلك الصور من ذلك، وقال للملك بغلظة: لا يجوز لأحد من الملوك أن يعلو على رمسيس الأكبر إلا من حذا حذوه في أعماله العظيمة فلم يغضب داريوس من كلامه، وقال له: لأجتهدن وأفعلنّ لمصر من المنافع ما فعله هذا الملك العظيم إن عمرت عمر رمسيس حتى لا أكون دونه في الشهرة ورفعة المقام.

ورمسيس هذا هو الذي قسم مملكة مصر إلى ست وثلاثين إيالة، وأقام على كل إيالة نوابًا لجمع العساكر وتجنيد الأجناد وهو الذي رسم صورة الخريطة وصوّر فيها صورة المدن التي افتتحها ليبين لأهل مصر عظم ملكه وكنه جبروته وكان فيه تيه وتعاظم فإنه كان إذا ركب في موكبه لزيارة المعابد أو التنزه يأتي ببعض الملوك والأمراء والعظماء الذين أسرهم ويلبسهم ثيابهم الملوكية، ثم يربطهم كالخيل أربعة أربعة ليجروا عربته، وكان بعد رجوعه من هذا الموكب يجلسهم ويحسن إليهم. وكان قد كف بصره في آخر أيام حياته فجزّع نفسه بعد ذلك بيده كأس الحمام وجسده اليوم محفوظ بدار الآثار المصرية. وبموته تولى بعده ابنه المسمى منفطاً الثاني. (ويقال له أيضاً: منفتاح الأوّل).

(في الملك منفطا الثاني)
(ابن رمسيس الأكبر)

تولى الملك بعد موت أبيه رمسيس الأكبر سنة خمسمائة وألف قبل الميلاد. ويقال له أيضاً فاران أو فرعان وفرعون وإنما سمي منفطا لكون جده كان يسمى بذلك، وكانت عادة ملوك مصر القدماء أن يلقب الملك منهم بلقب جده وله أبنية ومآثر عظيمة تدل على علوّ همته، وفي أيامه خرج بنو إسرائيل من مصر مع موسى وهارون سنة أربع وخمسين وستمائة وألف قبل الميلاد بعد وقوع ما وقع من المعجزات على يد موسى كما جاء في التوراة فهو على هذا فرعون الذي أغرقه الله

سبحانه وتعالى في بحر القلزم. وقال بعض المؤرخين من أهل أوروبا: إن خروج بني إسرائيل وغرق فرعون كانا في زمن رمسيس الثاني، وزعم بعضهم أن هاتين الحادثتين كانتا في زمن ابنه منفطا الأول والذي وعليه معظم المؤرخين أنهما في زمن فرعون بن رمسيس الأكبر المسمى عندهم فرعان أو (أبو خوريس) وهو منفطا الثاني هذا. قال مانيطون المؤرخ: مات منفطا يعني منفطا الثاني هذا عن ابنة اسمها (طوسير) وابن قاصر اسمه منفطا الثالث ويلقب (أوسير خپرورع ميامون) فتزوّجت هذه الابنة بعظيم من المصريين اسمه حفطا منفطا، فكان يقال له أيضاً فرعون تبعا لها وكان يحكم بالنيابة عنها. اهـ. ففسر أهل التاريخ أن زواج طوسير المذكورة بذلك العظيم الذي لم يكن من الدم الملوكي مع أن جدها سيزوستريس كان قد خلف عدة بنين يدل على حدوث حادث عظيم للغاية نجم عنه انقراض سائر أعضاء تلك العائلة الملوكية. قالوا: وذلك الحادث إنما هو غرق فرعون وسائر جنوده في البحر ، ولا بأس من أن نذكر هنا تفصيلاً لقدوم بني إسرائيل إلى مصر وما جرى عليهم إلى يوم خروجهم منها على ما جاء في التوراة، وما قاله المفسرون في ذلك تتميما للفائدة وإن كان فيه بعض الإسهاب والتطويل.

أعلم أن أولاد يعقوب الذين جاءوا إلى يوسف بمصر مع يعقوب أبيهم هم راؤبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساخر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير. وقد تناسل من هؤلاء الأحد عشر وممن خرج من أصلابهم سبعون نفساً غير يوسف عليه السلام فلبثوا مع أبيهم بمصر ما شاء الله. ثم مات يوسف وجميع إخوته وسائر ذلك الجيل. وبقى من خرج من أصلابهم فتوالدوا ونموا وكثروا كثرة بالغة جدا وامتلأت أرض مصر منهم شرقاً وغرباً، فلما رأى فرعون كثرتهم ونماءهم (وهو رمسيس) خاف شر العاقبة. وقال لقومه: انظروا كيف نما بنو إسرائيل وكثروا وصاروا شعباً أعظم منا هلم نحتل لهم لئلا يكثروا فيخشى أنه إذا حدثت حرب ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويكونون لهم عوناً علينا، فجعلوا عليهم رؤساء تثقل عليهم وتسومهم الخسف، ثم جعلوا يسخرونهم في البناء ونقل الأحجار وحمل اللبن فابتنوا مديتني (فيتوم) (ورعمسيس) وفيتوم هذه هي المسماة في الآثار باسم بيتوم (ورعمسيس مدينة حصينة واقعة بين مصر وفلسطين). وكان أولئك الرؤساء لا يألون جهداً في تعذيبهم وإيذائهم فقد وجد منقوشاً على جدران هيكل طيبة الصغير من قول أولئك الرؤساء للعمال من بني إسرائيل وذلك في عصر توتوميس الثالث

(ها هي العصا بيدنا فلا تكونوا متوانين). قال أصحاب التاريخ: وقد اشتدت عليهم وطأة العذاب في أيام رمسيس الثاني إذ لم يكن ثمة ما يشغله عنهم بسبب المعاهدة التي تمت بينه وبين أمير الحيثيين بالكف عن الحرب والقتال، فوجه عنايته إلى بناء المعابد وإنشاء العمارات الجسيمة والأبنية الضخمة بعمال من الإسرائيليين فكان فريق منهم للبناء وفريق للحرث وفريق للأعمال الدنيئة، ومن لم يقدر على عمل شيء فعليه الجزية، وقد وجد مكتوباً على ورقة البردي الموجودة الآن بمتحف لوندرة عاصمة الإنجليز ما ترجمته:

إن جلالة الملك رمسيس شيد لنفسه مدينة تدعى رعمسيس حصينة الموقع بين مصر وفلسطين مملوءة بالخيرات العظيمة ورسمها كرسم (أون) يعني أرمنت وستبقى أكثر من منف وتشرق الشمس في أفقها وتغرب فيها وتهجر الناس مواطنها لتسكنها فهيكل (أمون) غربيها وهيكل (سوتنح) جنوبيها وهيكل (استرته) شرقيها والآلهة (بوتو) في شمالها والمدينة بينهم كأنها أفق السماء وفيها (رمسيس) كأنه معبودها فهو ملك كالشمس بين الأمراء لم تكن لمصر لذة إلا به وهو مثل (توم) من حيث حُسن الإدارة، كيف لا وقد خضعت له الأرض. اهـ.

قالوا: ولما أتم عمال الإسرائيليين بناء المدينة المذكورة فرح بها رمسيس فرحاً عظيماً وأولم فيها وليمة حضرها كاتب من المصريين اسمه (بنيتا) فكتب في ذلك إلى رئيس له اسمه (أمنم أبت) يقول ، قد دخلت مدينة رعمسيس فوجدتها في أحسن حال وهي جميلة ليس لها في الحقيقة مثيل في عمارات طيبة ولا في جبل السلسلة الذي هو محل النعيم حيث ترى حقولها مملوءة في كل آن بالمغروس والمأكول وحيضانها مشحونة بالأسماك وغدرانها ترفرف عليها سائر أشكال الطيور المائية ومروجها مخضرة بالحشائش الأنيقة إلى أن قال: وميناها غاصة بالسفن والشواني المشحونة بالخيرات الكثيرة من المأكولات على اختلاف أنواعها تأتي إليها في كل يوم، وإذا نزل بها مقيم سره وانشرح صدره إذ لا رقيب فيها ولا معارض بل يستوي فيها الصغير والكبير إلى أن قال: وفيها جواري الملك الحسان واقفات على أبوابها والفرح يعم سائر أرجائها بلا مكدر لصفوه، عشت يارمسيس في صحة وعافية، ومع ما كان فيه بنو إسرائيل من الذل والحيف كانوا في نماء وازدياد عظيمين حتى خاف فرعون عاقبة أمرهم وحسب لهم ألف حساب، وكان لنساء الإسرائيليين قابلتان إحداهما اسمها شفرة وثانيتهما اسمها فوه، فأرسل فرعون في طلبهما فلما تمثلتا بين

يديه. قال لهما: انظرا إذا جاء المخاض لإحدى العبرانيات ودعيت إحداكما إليها فإن ولدت ذكراً فلتقتله في الحال بلا مهل، وإن ولدت بنتا فلتبقها فلم تفعل القابلتان ذلك وخالفتا فرعون فيما أمر وأحس فرعون بذلك فأرسل في طلبهما وسألهما فقالا: إنا لم نخالف لمولانا أمراً ولكن العبرانيات أشدّ وأقوى من المصريات ولذلك يلدن قبل أن تصل إحدانا إليهنّ فتركهما فرعون ونادى في قومه أن اطرحوا كل ذكر ولدته عبرانية في النهر، فإن ولدت بنتا فاستبقوها فتطاولت أيدي الناس إلى العبرانيات وبالغوا في إيذائهن وتنكيلهن، واحتاطت بهن العيون والأرصاد فكانت شدّة عظيمة للغاية، واتفق في هذا الحين أن تزوّج رجل من بيت لاوى بابنة من سلالة لاوي فحملت ثم ولدت ذكراً فنظرت إليه فرأته جميلاً حسن الصورة فخبأته ثلاثة أشهر، ثم خافت أن ينفضح أمرها فأخذت له سفطاً من البردي وطلته بالقار والحمرة ووضعت الصبي فيه وألقته في النهر بين الحلفاء النابتة على حافة النيل وأوقفت أخته من بعيد لترى ماذا يحل به وبينما هي على هذه الحال إذ أقبلت ابنة فرعون في وسط جواريها ووصيفاتها لتغتسل في النهر وكان بعض جواريها على مقربة من النهر فنظرن السفط في ذلك المكان فأخبرن سيدتهن بخبره فأمرت باستحضاره فأحضرنه ففتحته فرأت فيه الصبي يبكي فتأملت في وجهه وقالت: (هيه هو من أولاد العبرانيين). وخالج حبه فؤادها وعند ذلك تقدمت أخته إلى ابنة فرعون. وقالت: هل تسمح سيدتي بأن أذهب وآتي لها بمرضعة ترضعه، فقالت لها: اذهبي فذهبت أخته وعادت ومعها أم الصبي فدفعت لها ابنة فرعون الصبي. وقالت: أرضعيه ولك أجرتك فأخذته وانطلقت فرحة مسرورة بنجاته ولبثت ترضعه حتى كبر وترعرع فأتت به إلى ابنة فرعون فاتخذته لها ولداً وسمته (أوزار سيف) ومعناه كما فسره أهل العلم من المتأخرين (موسى) وجاء في التوراة أنها سمته (موسى). وقالت: إني انتشلته من الماء وعنيت بتربيته وتهذيبه وتعليمه العلوم والفلسفة المصرية حتى نبغ.

واتفق أن خرج موسى يوساً إلى حيث بنو إسرائيل يشتغلون، فرآهم وهم يقاسون العذاب ألواناً والرؤساء تسوقهم إلى العمل كالأنعام المسخرة ونظر فإذا مصري يضرب عبرانياً ضرباً شديداً فشق عليه هذا لأمر جدًّا وأغضبه ونظر يمنة ويسرة. فلم ير أحدًا يخشاه فوكزه موسى فقضى عليه وواراه في الرمل وهو لا يظن أن أحدًا رآه قط وأصبح فخرج وإذا باثنين يختصمان وكان أحدهما شديداً قوياً فكاد

يبطش بالثاني فتقدّم إليه موسى. وقال له: لماذ تضرب صاحبك؟ كف عنه يرحمك الله. فقال له الرجل: ومن جعلك رئيساً وقاضياً علينا أتصرّ على قتلي كما قتلت المصري بالأمس وشاع خبر قتل المصري ونقلوه إلى فرعون فغضب وطلب موسى فلم يجده حيث خرج هارباً من ذلك اليوم إلى أرض (مدين) ولما اشتد به التعب جلس عند بئر هناك ليستريح، وكان لرجل مدين المدعو رعوئيل سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن فبينما هي على هذه الحال إذ جاء بعض الرعاة وطردوهن وأخذوا ما في الأجران من الماء فكبر هذا الأمر على موسى واستعظمه. وقام وطرد الرعاة واستردّ الأجران وسقى غنم أبيهن فلما عادت البنات إلى أبيهن. قال: ما بالكن قد رجعتن اليوم مسرعات؛ فقلن: رجل مصري عاوننا اليوم وأنقذنا من أيدي الرعاة وسقى لنا الغنم، فقال رعوئيل: ويلكن ياقاسيات اذهبن واستدعين الرجل لنشكر له صنيعه فأتين به، فأكرم رعوئيل وفادته وأنزله مكاناً رحبا وبالغ في إكرامه وقربه منه، ولبث موسى على هذه الحال أياماً كثيرة فزوّجه رعوئيل إحدى بناته المسماة حنورة فرزقه الله منها بولد فسماه (جرشوم). قال لأني ولدته وأنا في بلاد غريبة.

وما زال موسى وزوجته عند أبيها رعوئيل حتى مات فرعون الذي هو رمسيس الثاني، وقد أخذت الشدّة من بني إسرائيل مأخذها، وارتفع صراخهم إلى عنان السماء واتفق أن خرج موسى يوماً يرعى غنم حميه على عادته فسار بهم على غير التفات إلى ما وراء جبل (حوريب) وجلس هناك قليلاً، وكان على مقربة منه عليقة فنظر إليها وإذا هي تتوقد ناراً ولم تحترق، فدنا من العليقة والخوف ملء فؤاده فسمع صوتاً يناديه (موسى موسى). فقال: لبيك. فقال: لا تقترب من هنا واخلع نعليك لأن الموضع الذي أنت واقف به مقدّس، واعلم أني إله أبيك وإله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فاشتد الخوف بموسى وستر وجهه بيديه. فقال الصوت: إني عالم بمذلة شعبي الذي بمصر وعالم بأوجاعهم وسأنقذهم من تلك العبودية وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض واسعة تفيض لبناً وعسلاً وسأسكنهم حيث يسكن الكنعانيون والحيثيون والأموريون والغرزيون والحوّيون واليبوسيون فاذهب إلى فرعون وأخرج شعبي من بلاده. فقال موسى: من أنا حتى أذهب إلى فرعون، ومن أنا حتى أخرج شعبك من أرض مصر؟ قال، فإذا خرجت بشعبي من أرض مصر تعبدون الله على هذا الجبل. وهذه تكون لك علامة أني مرسلك، فقال موسى:

السمع والطاعة. فإذا أتيتهم وقلت لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. وقالوا: ما اسمه. فماذا أقول؟ فأجابه الصوت قل لهم هو (أهية شر أهية) وقد أرسلني إليكم فإذا سمعوا قولك فادخل أنت وشيوخ بني إسرائيل على فرعون وقولوا له إن الله انتقانا وأمرنا بالدخول عليك لتطلق شعبه بني إسرائيل وإني أعلم أن فرعون لا يطلق شعبي ولا يسرحه فلذلك سأضرب مصر بكل عجائبي حتى تخرجوا، فقال موسى: وكيف يصدّقني شعبك ويعمل بقولي؟ فقال له الصوت: وما تلك بيمينك؟ قال هي عصاي. قال: ألقها فألقاها؛ فإذا هي حية تسعى، فخاف موسى. فقال له الصوت: مدّ يدك وأمسك بذنبها فمدّ يده وأمسك به فعادت عصا، فنادى الصوت ياموسى: أدخل يدك في جيبك. فأدخلها ثم أخرجها. فإذا هي بيضاء مثل الثلج. فقال له: أدخلها ثانية. فأدخلها، ثم أخرجها، فعادت كما كانت. قال الصوت: فإن لم يصدّقوك بعد هاتين الآيتين فخذ ماء من النهر وصبه على الأرض فيصير في الحال دماً وسأشد أزرك بأخيك هارون وأكون لكما عوناً ونصيراً.

وانحدر موسى إلى مصر ومعه زوجته وأولاده وهارون أخوه وكان عمر موسى ثمانين سنة وعمر هارون ثلاثاً وثمانين، فلاقاهم بعض العبرانيين وفرحوا بمقدمهم وسجدوا لله شكراً حيث نظر إلى ضعفهم وما هم عليه من الذل والمسكنة وشاع الخبر بذلك فعم الفرح. وبات موسى ومن معه وأصبحوا وقد دخل هو وأخوه هارون على فرعون. وقالا له: يقول لك إله إسرائيل: أطلق شعبي ليعبدوني في البرية. فتعجب فرعون من كلامهما، وقال من أنتما ومن هو إلهكما الذي يطلب أن أطلق له بني إسرائيل عبيدي وعبيد شعبي اخسآ، ورسم للرؤساء والمسخرين بأن يشددوا على سائر العبرانيين ويضيقوا عليهم ما استطاعوا فشدّدوا وهدّدوا وساموهم الخسف فلما ضاق منهم الخناق اجتمع كبارهم ومدبرو أمرهم ووقفوا لفرعون في طريقه فلما دنا منهم صاحوا في وجهه. وقالوا: ارحم عبيدك ولا تحرقهم بنار غضبك، فلم يتلفت إليهم فعادوا وهم في أسوأ حال وإذا بموسى وهارون ينتظرانهم فكلموهما في الأمر وبكوا وانتحبوا، وقالوا لهما تضرعاً إلى الله كي يستجيب نداءنا ويرحم صراخنا فدخل موسى وهارون على فرعون، وقالا له: يقول الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب: إن أنت لم تطلق شعبه بني إسرائيل حاق بك وبجميع شعبك غضبه فزجرهما، وقال: ما الذي جئتما به من العجائب حتى أطلق عبيدي القائمين ببناء معابد آلهة شعبي وهياكلهم. فقال موسى لهارون: خذ عصاي وألقها أمام

فرعون ومن حوله من كبـار دولته فألقاها فصارت حية تسـعى فلم يحفل فرعون بما صنع موسى وهارون وأمر بالسحرة والعرّافين فـحضروا. فقال: دونكم وما فعل هذا العبرانـي فطرح كل واحد عصاه فـصارت حية تسعى فـانقضت عليهن حـية موسى وابتلعتهن جميعاً فغضب فرعون وأمـر بإخراج موسى وهارون فأخرجوهما فعاد إليه موسى وأخـوه ثانية. وقـالا: يقول الرب إن لم تطلق بني إسـرائيل نضرب الأرض والنهر فـيتحوّل ماؤه وسـائر مياه سواقـيكم وآجامكم وكل مجـتمعات ميـاهكم دما فيكون الدم في جميع أرض مصر حتى في الأخـشاب والأحجار. قالا ذلك وفعلاه بحضرة فرعون وكبار دولته وجماعـة السحرة والعرافين فالتفت فرعون إلى السحرة. وقال: وأنتم ماذا تـقولون؟ قالوا: نفعل هاته الآية بعـينها وفعلوها في الحال فـاشتد عناد فرعون. وقـال: لا أطلق قط ذلك الشعب النجس وكبر الأمر عليـه جدًا وجاء الناس ليسـتقوا من الـنهر فلم يقدروا لشـدة نتنه فحـفروا حوالي النهـر وأخذوا الماء فوجدوه دماً فكانت شـدة عظيمة وبعد سبعة أيـام دخل موسى وهارون على فرعون وكلماه في إطلاق بني إسرائيل فلم يلتفت إليهما. فقالا له: يقول إله إسرائيل إن لم تطلق شعبي ليـعبدني في البرية وأبيت ذلك فـها أنا أضرب جميع قـومك بالضفادع فيفيض الـنيل ضفادع وتنبت في الأرض وتدخل بيتك ومخدع فـراشك وتصعد إلى سريرك وتدخل سائر بيوت شعبك وإلى مخابزك ومعاجنك. فقال فرعون: لا سبيل إلى ذلك فأمر موسى هارون فمدّ يده إلى النيل ففاض في الحال ضفادع وانبثت على وجه الأرض فجاء العـرافون وفعلوا كذلك واشتد إيذاء الضفـادع بالناس، فاستدعى فرعون مـوسى وهارون. وقال لهما: اطلبـا إلى إلهكما أن يرفع عنا ضفـادعه فرفع موسى عينه إلى السماء ونادى الله تعالى فماتت جميعها بإذن الله فجمعوها، فكانت أكواماً كـثيرة لا تكاد تدخل تحت حصر وأنتنت وظن فـرعون أنه لم يبق من موجب لإطلاق بني إسرائـيل، فجعل يحـاول موسى وهارون ويطاولهـما فـمدّ هارون يده بعصا موسى وضرب بها تراب الأرض فصار كله بعوضاً، وعم كل أرض مصر فجاء العرافون ليخرجوه بسحرهم فلم يقدروا واشتد البعوض بالناس والبهائم فكانت شدته عظيمة جـدًا فلم ينكف فرعون عن عناده ولم يسرح بني إسـرائيل فغضب الله على فرعـون وضربه هـو وقومه بضـربات أخرى مـتتـابعة؛ هي الذبـاب وموت الماشـية والقمل، والبرد، والجراد، والظلام الدامس مدّة ثلاثة أيام، ثم موت الأبكار من ولد فرعون الجـالس على كرسي عظمته حتى بكر الجـارية التي تطحن على الرحى حتى

بكر البهائم أيضاً فكانت هذه الضربة خاتمة ضربات مصر؛ فقام حينئذ المصريون قومة رجل واحد على فرعون ملكهم. وقالوا له: أطلق بني إسرائيل الساعة فأطلقهم، فساروا مع موسى وهارون من مدينة رعمسيس نحو مدينة (سكوت). وهم زهاء ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد ومعهم شيء كثير جدًّا من الضأن والمعز والبقر فكانت مدة مقامهم بمصر مائتين وثلاثين سنة ، وقال موسى لبني إسرائيل: اذكروا أنكم خارجون من أرض مصر من بيت الذل والعبودية في شهر أبيب. وأخذ موسى وهارون جثة يوسف عليه السلام معهما ليدفناها في أرض الموعد، وسارا ببني إسرائيل وهم جيش عرمرم من سكوت إلى (ايتام) ونزلوا في طرف البرية أياماً ثم رجع بهم موسى ونزلوا أمام فم الجيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صهيون ، وندم فرعون على ما فعل من إطلاق بني إسرائيل فنادى في جنده وكبار قومه بالمسير خلفهم وإرجاعهم وأمر فشدوا مركبته وجهزوا ستمائة مركبة حربية وعدّة وافرة من مركبات النقل وسار بها سيراً حثيثاً جداً خلف بني إسرائيل حتى أدركهم عند فم الجيروث أمام بعل صهيون عند البحر، فلما رآهم بنو إسرائيل مقبلين بخيلهم وعرباتهم فزعوا جدًّا وصرخوا إلى الله تعالى وصاحوا في وجه موسى وهارون. وقالوا: ويلكما هلا يكون في أرض مصر قبور ندفن فيها حتى أتيتما بنا إلى هنا لنموت في هذه البرية، فرفع موسى عينه إلى السماء فسمع صوتاً يقول: قل لبني إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك وامدد يدك بها إلى البحر وشقه فتنكشف اليابسة فاعبر البحر أنت وهم ، ففعل وباتوا ليلتهم تلك وأصبحوا وكانت ريح شرقية طول الليل فيبس البحر وظهرت اليابسة فعبر بنو إسرائيل والماء سور لهم ذات اليمين وذات الشمال فتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم بسائر مركباتهم وخيلهم فلما تم عبور الإسرائيليين مدّ موسى عصاه إلى البحر، فانهال الماء على فرعون ومن معه من كبار قومه وجنوده ومركباته، وأغرقهم جميعاً وشاهد بنو إسرائيل أجسادهم طافية على وجه الماء فصاحوا جميعاً صيحة الفرح، وجعلوا يترنمون بهذه الكلمات ، أرتل لله تعالى فإنه قد تعظم. وقد طرح الفرس وراكبه في اليم. الله ربي قوتي ونشيدي قد صار خلاصي هو إلهي سبحانه فأمجده إله أبي فأرفعه وجعلوا يكثرون من مثل هذه الأغاني حتى ملأت أصواتهم البرية وأخذت مريم أخت هارون الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها يضربن بالدفوف والكاسات ويرقصن ومريم تنشدهن شيئاً من الحماسيات، ثم ارتحل موسى ببني إسرائيل من بحر سوف،

وخرجوا إلى برية شور فساروا ثلاثة أيام ولم يجدوا ماء فانقلبوا على موسى وأخيه. وقالوا: قد جئتما بنا إلى هنا فمن أين ياترى نستقي وليس أمامنا إلا تلك العين المرة، فنظر موسى إلى شجرة كانت على مقربة منهم. وقال: اطرحوا هذه الشجرة في العين. فطرحوها فصار ماؤها عذباً زلالا ففرحوا واستقوا وساروا في طريقهم حتى نزولا على (إيليم) وكان بها اثنتا عشرة عينا وسبعون نخلة فاستقوا واستراحوا أياماً ثم ارتحلوا من (إيليم) فوصلوا إلى برية (سين) الواقعة بين (إيليم) المذكورة (وسينا) في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني من خروجهم من أرض مصر فشق عليهم ذلك جداً وتذمروا على موسى وهارون وخاطبوهما بفحش القول وهذر الكلام. وقالوا هل جئتما بنا إلى هذا القفر لتقتلانا بالجوع، والله قد كان خيرا لنا أن نخدم المصريين ونستعبد لهم ونحن جالسون عند معاجن الخبز وقدور اللحم، فكبر هذا الأمر على موسى ونادى ربه وبكى فقيل له إني منزل عليهم في الصباح خبزا من السماء فيخرجون ويلتقطون حاجة اليوم وفي المساء لحماً فيأكلون ويستغفرون، فكان ذلك وساروا من هناك إلي (إرفيديم) فأعوزهم الماء فصاحوا في وجه موسى وهارون وقالوا: ارجعا بنا إلى أرض مصر فإنه خير لنا أن نموت عبيداً لأهلها من أن نموت في هذه البرية عطشاً فغضب موسى. وقال: ويلكم إلى كم تغلظون في القول. وإلى متى تعنفونني؟ ونظر إلى السماء وبكى فناداه الصوت أن خذ عصاك التي ضربت بها البحر وخذ معك جماعة من شيوخ بني إسرائيل وسر بهم إلى حوريب واضرب الصخرة التي هناك بعصاك تلك فينفجر منها الماء فسار موسى ومعه الشيوخ إلى حوريب وضرب الصخرة بعصاه فانفجر منها الماء فاستقى بنو إسرائيل وسائر دوابهم وشكروا ودعوا ذلك المكان باسم (مسة ومريسة) ثم سار بهم موسى وهارون حتى جاءوا برية سينا وحطوا رحالهم أمام الجبل، ونادى الصوت موسى وهارون أن اصعدا إلى الجبل واقتحماه فصعدا فأنزل الله تعالى على موسى العشر كلمات شريعة يقضي بها. ولبث موسى يصعد إلى سينا وينحدر منه إلى بني إسرائيل بوصايا الله تعالى وشريعته التي سنها لهم حتى ناداه الصوت يوماً: أن اصعد ياموسى إلى الجبل فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لشعبي بني إسرائيل، فقام موسى لساعته وودع شيوخ بني إسرائيل. وقال لهم: إني مستخلف فيكم هارون (وحور). فمن كانت له ظلامة فليتقدم إليهما، وصعد إلى الجبل فغشيه السحاب وكانت نار آكلة تتأجج في وسط الجبل وبنو إسرائيل ينظرون

إلى ذلك وهم وجلون فأقام موسى فوق الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة.

ولما أبطأ موسى ولم ينزل هاج بنو إسرائيل وماجوا وملوا من المقام في البرية فقاموا على هارون وصاحوا في وجهه. وقالوا: قم واصنع لنا إلهاً يسير أمامنا؛ فإننا مللنا المقام في هذا المكان القفر أما موسى الذي أخرجنا من أرض مصر وجاء بنا إلى هنا فلا ندري ما فعل الله به فوعدهم فملوا من الوعد وذهبوا إلى السامري، فقال: ائتوني بالذي عند نسائكم وبناتكم من الحلي فأصنع لكم منه إلهاً. فأتوه بجميع ما عند نسائهم وبناتهم من الذهب فصنع لهم عجلاً على أحسن ما يكون فلما نظروه صاحوا. وقالوا: (هذا إلهكم يابني إسرائيل الذي أخرجكم من أرض مصر). وبنى لهم مذبحاً ونادى فيهم بأن تقربوا إلى إلهكم في الغد بما شئتم، ففرحوا وأكلوا وشربوا ليلتهم تلك وأصبحوا وقد اجتمعوا حول العجل يرقصون ويطربون ويغنون الأناشيد. وإذا بموسى قد انحدر من الجبل وألواح الشهادة في يده فلما اقترب من المحلة وأبصر العجل والناس من حوله يرقصون ويغنون اشتد به الغيظ والحنق وألقى ألواح الشهادة إلى الأرض فانكسرت، وانقض على العجل فنزعه وأوقد ناراً عظيمة وطرح فيها العجل ثم حرقه ثم نسفه في اليم نسفاً وكان بنو إسرائيل يستقون منه وأكرههم على شربه جزاء مخالفتهم فشربوه وهم صاغرون وغضب الله على بني إسرائيل، ونادى الصوت: ياموسى. قل لهذا الشعب قاسي القلب إنهم لا يدخلون الأرض المقدسة بل يلبثون أربعين سنة في هذه البرية ويموتون جميعاً فلا يدخلها إلا أولادهم وأحفادهم. فبكى موسى وتضرع إلى الله تعالى أن يرحم شعبه بني إسرائيل وأن لا يجازيه حسب عمله فناداه الصوت ثانية قائلاً: وأنت ياموسى لا تدخلها أيضاً أي لا تدخل تلك الأرض بل تراها من بعيد ثم تموت فاشتد بكاء موسى وشاع الخبر بين القوم فبكوا بكاء مرا ، لكن قد نفذ القدر المقدور ، وأقام بنو إسرائيل في تلك البرية أربعين عاماً حتى مات سائر من خرجوا مع موسى وهارون من أرض مصر. ولم يبق منهم أحد. وما أصابهم مما هو مذكور في التوراة لا حاجة إلى إيراده هنا.

أما مؤرخو اليونان فإنهم لم يأتوا على ذكر شيء مما جاءت به الكتب السماوية بشأن هذا الحادث وجميعهم يؤوّلُ انفلاق البحر لعبور بني إسرائيل بحادثتي المد والجزر وينكرون غرق فرعون موسى ويقولون إنه لم يكن من موجب لذلك أي لاضطهاد بني إسرائيل إلا انضمامهم مع من بقى من طوائف الملوك الرعاة وخلودهم

إلى شق عصا الطاعة فضرب ملوك مصر عليهم الاسترقاق والاستعباد كي لا يستطيعوا مد يد المساعدة إلى أهل الحجاز والشام الذين كانوا كثيري الإغارة على ديار مصر (قلت): وهذا القول بعيد لأن نزول بني إسرائيل على أرض مصر كان بعد طرد طوائف الملوك الرعاة من البلاد وجلائهم عنها وظهور العائلة الثامنة عشرة المتأصلة. قال مانيطون المؤرخ في كتابه بعد كلام، وعاش يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد في أيام أعظم وأقدر فراعنة المملكة الجديدة يعنى طوطمس الذي تولى الملك بعد نفي الرعاة، ومما يدل على صحة ذلك ما جاء في التوراة أيضاً من قول يوسف لإخوته عند حضورهم إليه بمصر ، يكون إذا دعا كم فرعون وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً لتسكنوا في أرض چاسان لأن كل راعي غنم رجس عند المصريين . اهـ. وقال بعض الكتاب أيضاً ، قد دلت الآثار على أن السعاة وحملة الرسائل كانوا من الكنعانيين فاستغاثوا وابتهلوا إلى الله تعالى، فأرسل إليهم موسى وأخاه هارون فذهب موسى إلى فرعون بآيات مذكورة في التوراة فخاف فرعون وأطلق بني إسرائيل فساروا من مدينة(رعمسيس) حتى أتوا مدينة (سوكوت). وكانوا ستمائة ألف رجل غير الأطفال وسار معهم أيضاً عدّة كثيرة جدًّا من الطوائف الأخر الذين كانوا في أسر المصريين ومنهم الفينيقيون وقد نزلوا (بارام) التي في آخر الصحراء وأمر الله تعالى موسى أن ينزل بهم أمام فم خروث التي بين مجدل والبحر أمام بعل صفون وأن يسير موسى أمامهم قريباً من البحر الأحمر وينزل هناك ففعل ، وندم فرعون على إطلاق بني إسرائيل فجمع فرسانه وجنوده وتبعهم ليرجعهم إلى أرض مصر، فأمر الله موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق وعبروا جميعاً على اليابسة حتى صعدوا إلى الشاطىء الثاني فأتبعهم فرعون وجنوده فغطاهم الماء وغرقوا جميعاً ، ولما عبر موسى البحر سار بأسباطه من طريق الصحراء بين مجدل والبحر. فكان طريقهم على أطراف بلاد العرب شرقي بلاد مصر والبحر الأحمر ولم يمروا بأرض فلسطين شرقاً خوفاً من جنود الحيثيين أن تردّهم إلى أرض مصر قياماً بالعهد الذي كان بين ختاسار ملك الحَيثيين (ورسيس) الأكبر ملك مصر وهو ردّ كل من أتى من رعايا أحدهما إلى بلاد الآخر ، وتاه بنو إسرائيل في البرية أربعين سنة عقاباً لهم على مخالفة وصايا الله تعالى كما جاءت به الكتب المقدسة ولم يدخل أرض كنعان أحد منهم سوى يوشع بن نون كما أمره الله مع أن مسافة الطريق فى البرية إلى أرض كنعان ليست إلا اثنتى عشرة مرحلة ودخلها بعدهم أولادهم أما موسى فقد أراه الله سبحانه إياها من جبل (تبو) ثم مات، ولم يعلم للآن مكان قبره.

وقال يوسوفوس المؤرخ غير ذلك. وقال آخرون: إن خروج بني إسرائيل كان في أيام الملكة طوسير بنت الملك منفطة الثاني كما سيأتي بيانه في محله.

(في الملكة طوسير بنت منفطة الثاني)
(وأخيها الملك منفطة الثالث)
(الملقب أيضاً)
(أوسر خبرورع ميامون)

تولت هذه الملكة حكم البلاد بعد أبيها منفطة الثاني، وكانت متزوّجة بعظيم يسمى حفطا منفطة. ويقال له أيضاً فرعون تبعاً لها وكانت ولايتها قبل أخيها لصغره ولذلك كان زوجها المذكور يدبر الملك بالنيابة عنها، وطالت مدتها مع أخيها منفطة الثالث فكانت تسع عشرة سنة ، قال بعض أصحاب التاريخ ، وفي أيام الملكة طوسير كان خروج بني إسرائيل من أرض مصر ، وقال يوسوفوس عن مانيتون الكاهن المصري في خروج بني إسرائيل أنه لما كان الملك أمنوفيس ، قال صاحب العقد الثمين ولعله منفطس ، يحب أن يرى المعبودات تتجلى له كما كانت تتجلى على الملك (حوريس) أحد أجداده سأل في ذلك أحد المكاشفين ورغب إليه أن يعلمه كيف يصل إلى هذه المرتبة. فقال له: إنك لن ترى إلهك عياناً حتى تطهر الديار من جميع المجذومين وأصحاب الدناسة، فجمع (أمنوفيس) الملك من هؤلاء ثمانين ألفاً وهم من الإسرائيليين ووضعهم في محاجر طرا وبينهم طائفة من الكهنة فأثار هؤلاء القوم غيظ المعبودات فخاف ذلك المكاشف شر العاقبة وكتب نبأ في صك يقول فيه: إن هؤلاء القوم ، يريد اليهود ، سيتعاهدون مع قوم آخرين ويملكون مصر مدة ثلاث عشرة سنة وبعد أن كتب ذلك قتل نفسه فلما علم الملك (أمنوفيس) بمقالة ذلك المكاشف لم يلتفت إليها ونقل أصحاب الدناسة إلى مدينة (أواريس) ليقيموا بها وكانت قد تخربت وتداعت إلى السقوط من أيام العمالقة فلما سكنوها واستقر بهم المقام تألفت منهم طائفة فكان على رأسها مقدم ديانتهم المسمى أوزار سيف المقيم بالمطرية. قال صاحب العقد الثمين ، وقد فسره أهل العلم من الأوروپاويين بموسى، فجعل لهم قوانين مخالفة للعوائد المصرية وأعدهم للحرب وتعاقد مع من بقى من العمالقة المتوطنين من أجيال بالشام فهاجموا مصر سوية وملكوها بغير قتال فعند ذلك تذكر الملك (أمنوفيس) ما قاله ذلك المكاشف وخاف وجمع الأصنام وهرب بها إلى بلاد الايتيوبيا ومعه جيشه وكثير من المصريين فعاث العمالقة واليهود في البلاد

وأفسدوا في الأرض وأساءوا إلى أهلها وشددوا عليهم وضيقوا وحرّقوا المدن والقرى ونهبوا المعابد وكسروا الأصنام وأكلوا الحيوانات التي كان المصريون يعبدونها وألزموا الكهنة من المصريين بذبحها وتقطيعها وإلقائها في الطرق وبينما هم على هذه الحال إذ عاد (أمنوفيس) من بلاد الايتيوبيا بجيش عظيم ورجع أيضاً ابنه (رمسيس) بجيش آخر وهجموا على العمالقة واليهود فانتصروا عليهم وقتلوا منهم عدة كبيرة، واقتفوا أثرهم حتى أدخلوهم أرض الشام . اهـ.

أما مؤرخو العرب فقد قالوا: إن خروج بني إسرائيل وغرق فرعون مصر كانا في أيام هذه الملكة وقد سموها باسم (دلوكة بنت ذبا) وقد ذكر المقريزي في خططه ما نصه ، قال ابن عبد الحكم: لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها إلا العبيد والأحرار والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهن واحدة وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها (دلوكة بنت ذبا) وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الأشراف. وقالت لهن: إن بلادنا لم يكن قبلاً يطمع فيها أحد ولا يمد عينه إليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وقد ذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصناً أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فإنا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجاً يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة فيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالاً وأجرت عليهم الأرزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض الأجراس فيأتيهم الخبر من أي وجه كان في ساعة واحدة، فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة فملكتهم ثلاثين سنة. اهـ. قلت فليتأمل «أما أخوها الملك منفطة الثالث فقد كان كثير التعبد للأصنام المصرية شديد الخضوع إليهم وله إغداقات كثيرة على الهياكل والمعابد وأهدى إليها تحفاً كثيرة جدًّا وقد أنشأ هيكلاً خصوصيا لمعبوده (أمون) في هيكل الكرنك وعمل له قسيسو مدينة طيبة في هذا الهيكل القاعدة الصغيرة التي هي بالحوش الأول تذكارا لاسمه. قال صاحب العقد الثمين: وكتبوا عليها أن (لوى) رئيس كهنة معبد (أمون) كان هو وابنه وخليفته محبين للملك ولكهنة (أمون) . اهـ.

وبنى لنفسه مقبرة عظيمة في بيبان الملـوك كتب عليها القسيسون أنه حكم جميع بلاد مصر وساسها، وقد حصل في أيامه الخلل وكثرت الاختلافات الداخلية وفشت الأغراض وخـرج عليه بعض الرعيـة وادعى بعضهم الرئاسة وانـتحل لنفسه حـقوق الكهونية والوراثة لملك مصر، وكـان ممن خرج رجل اسمه (أمنحبس) وادعى أنه ابن (رمسيس) الأكـبر وكان مولده في مدينة (خب) وأخذ يـنازع منفطة الثالث في الأمر وما زال حتى مـات منفطة الثالث فكانت مدة حكمـه بالاشتراك مع أختـه (طوسير) مدة واحدة قـدرها على ما قاله أهل التاريخ تسع عـشرة سنة وستة أشهـر فلما مات تولى بعده (أمـنحبس) المذكور وتسلق عـرش الملك اختـلاساً فحكم مـصر وجـميع ملحقاتها وأشاع أن المعبودة (إزيس) قـد اختارته من مدينته (خب) التي هي من قسم (أفرو وميتـوپوليس) وجعلته حاكماً على الأرض وكان مـتزوّجاً بامرأة تدعي (باكت أورنور) فلم يستقر بـه المنصب حتى عم الخلل جميع البلاد وأقامت فـيها الفوضى، واشتدت ووردها الأجـانب وتمكنوا منها ورسخت قدمـهم في جوفها فعـاملوا أهلها بالقسوة والجـفاء والغلظة حتى كادت ترحل أهل البلاد وتنزح إلى غـيرها من البلاد الأخرى. وما زال الحال هكذا حتى مات (أمنحبس) المذكور، ومحي بموته اسمه من جميع الهـياكل والآثار لكونه ليس من بيت الملك وفي أيامه ظهر (سـبتاح) من بيت الملك القديم ونازع (أمنحبس) الملك أياماً كثيـرة وما زال ينازعه حتى هم إلى معاونة (سبتاح) المذكور الوزير (بابي) وانضمت إليه زوجة (سبتاح) المسماة (توسرت) فتم له ذلك وارتقى المنصب بعنايتهما.

(في الملك سبتاح)

لما كثـرت الفتن والإرهاصات الداخليـة وعم الاختـلال وانتشرت الـفوضى في البلاد واستقـل كل رئيس بحكم جهة مخصوصـة نهض الوزير المسمى (بابي) واتحد مع (توسرت) زوجة (سبتاح) المذكور على تولية (سبتاح) ملكاً على مصر فعملا وما زالا يعمـلان حتى تم (لسبـتاح) الأمر، واسـتقل لملك مصـر. قال صاحب العـقد الثمين: ولذا قال هذا الوزير إني أزلت البـاطل وأظهرت الحق لكوني أجلست الملك (سبـتاح) على تخت والده. اهـ. ولما استقـر به المنصب أقام وزيره المسمى (سـيتي) حاكماً على بلاد (كوش) وقلده أيضاً مناصب أخرى عالية. وأجله وقربه عنده زلفى ولم يقدر (سبـتاح) المذكور على إعادة الراحـة في داخلية البلاد (إلى سـابق مجراها ولا ردع أهل البغي والفساد والخوارج الذين ظـهروا في داخلية البلاد) بل ظل الحال على ما هو عليه من الخلل والارتبـاك حتى مات فبقيت مـصر في يد هؤلاء الخوارج

زمناً طويلاً لم يتكلم أصحاب التاريخ عنه بشيء إلى أن نهض من أمراء هذه العائلة (اريزو الفنديقي) واستقل بالملك فعاث وأفسد وقهر أهل البلاد وأذلهم وأساءهم وطالت أيامه حتى ظهر آخر اسمه (سيتنخت) فقام على اريزو الفنديقي المذكور وخلعه وطرده من البلاد واستقل هو بالملك. قال صاحب العقد الثمين: ويرى اسم الملك (رمسسوسبتاح) منقوشاً مرتين في خانة ملوكية داخل الهيكل الذي شيدته زوجته (توسرت) فالمرة الأولى تجده في باب الهيكل والثانية في داخل الهيكل المذكور منزوياً في المكان الذي نقشت فيه زوجته اسمها وقد شيد لنفسه قبراً في بيبان الملوك كتب عليه أسماءه ولكنها محيت منه . اهـ.

(في الملك سيتنخت)

لما استقر بالملك (سيتنخت) المنصب نهض إلى قتال الأغراب الذين عاثوا في البلاد وأفسدوها ومزقوا هيبتها فردعهم وأرغم من قام من أهل البلاد ينازعه الملك وأخضعه وسعى جهد الاستطاعة في إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه بعد أن اختل نظامها في أيام الملك (أمنحبس) إلى أيام (سيتنخت) هذا. قال صاحب العقد الثمين: ومما يؤيد صحة ما كان حاصلاً من الاختلال والاضطراب في مدة الملوك الثلاثة السابقين وهم (أمنحبس)، (وسبتاح)، (وسيتنخت) ما ورد في ورقة (هارميس) من النصوص المقولة على لسان رمسيس الثالث في مبدأ حكمه حيث بين فيها حال تلك المدة الوخيمة بالألفاظ المعربة الآتية:

(قال الملك رمسيس الثالث) المقدس الأكبر لأمراء ورؤساء البلاد والجنود والمشاة وجنود العربات الحربية والسردانيين ولكثير من العساكر الأجنبية وغيرهم من السكان المقيمين في ديار مصر اسمعوا مقالتي فإني سأعلمكم بحسن سيرتي ، لما صرت ملكاً على البلاد وكانت أهل مصر منفية بالجهات الخارجة ولم يكن للمقيم فيها اعتبار ومضى على ذلك زمن طويل وتداولت الأيام ومصر في أيدي رؤساء أجنبية، وكان أحدهم يقتل الآخر بدون مراعاة الشريف والحقير ثم بعد هذا الاختلال بمدة ظهر (الفنديقي اريزو) أحد هؤلاء الرؤساء واختلس الملك لنفسه وألزم جميع الأمم بدفع الجزية له وكانت رفقاؤه تنهب كل ما أدّخره الناس لأنفسهم وهكذا كانوا يفعلون وعاملوا المعبودات كالناس ومنعوا عنهم قرابينهم المعتادة ولكن المعبودات أصلحوا الأمور وأوجدوا العدل في المملكة وتكرموا بتحسين الحال وإزالة الأهوال وجعلوا (سيتنخت مرمايون) ملكاً على جميع المملكة (وأجلسوه فوق التخت المنيف

فكان إذا غضب يشبه (ست) واعتنى بكافة المملكة) وقتل كل من ثبت عليه قتل نفس أو ذنب وبذلك طهر تخت مصر المنيف من أهل الجرائم وحكم أهلها فوق تخت الشمس (توم) المعبودة لهم واستقبلها بوجهه وكان يبني الحائط على كل من لم يظهر لصاحبه الصحبة والأخوّة ونظم المعابد وأعطى المعبودات مرتباتهم من القرابين حسب مربوط قوانينهم وأورثني الحكم في أرض مصر وجعلني حاكماً على جميع ملحقاتها لأقوم بأمر الأمة التي التأمت ثانياً ثم توفى وظهر من دائرة نوره كالأجسام السماوية فعملوا له الرسوم المعتادة لدفن الأموات وشيعت جنازته في النهر على سفينة ملوكية ثم وضعوه في جدثه الأزلي غربي طيبة وبعد ذلك جعلني أبي (أمون) وأعظم المعبودات (رع)، (وبتاح) ذوي السماحة ملكاً على تخت والدي فتقلدت رتبته مع غاية المسرة وفرحت الناس وانشرحت مما حصل لهم من مزيد سرورهم وقروا عينا لما تطروني ملكاً على مصر حيث إني أشابه (حور) ملكها حين كان فوق تخت (أزوريس) وتتوجت بتاج (أتف) وبتاج الثعبان وتزينت بالريشتين كالمعبود (تاتانن) وهكذا كان ارتقائي على تخت (حورمخي) وتزييني بملابس الفخار مثل (توم) . اهـ. بنصه.

وبموت الملك (سيتنخت) هذا انقطعت مدة حكم الدولة التاسعة عشرة على ما قاله جماعة من الكتاب فإنهم عدّوه آخر ملوكها، وبعضهم يقول غير ذلك، فكانت مدة حكم هذه الدولة على المشهور من أقوال أصحاب التاريخ مائة وأربعاً وسبعين سنة وقامت بعدها الدولة المكملة للعشرين وأولها الملك رمسيس الثالث ابن (سيتنخت) المذكور.

(الفصل الثالث)

(في ملوك الدولة المتممة للعشرين الطيسوية)

كان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف قبل الميلاد أي سنة عشر وتسعمائة وألف قبل الهجرة، وعدد ملوكها اثنا عشر ملكاً وسنو ملكهم مائة وثمان وسبعون سنة وقيل غير ذلك. وأول ملوكها من نسل ملوك العائلة التي قبلها. قال أهل التاريخ وقد كان لفظ الدولة عند قدماء المصريين غير المعنى المعهود منها في اصطلاح المتأخرين وإنما كانت عندهم بمعنى آخر كالعصابة أو الفرع مثلاً قالوا: والعائلة هي التي تحكم مدة خاصة في بلد خاصة حكومة متميزة وإن لم تختلف السلالة ولأخرجت الحكومة عن السلسلة الملوكية وأول من ملك منهم رمسيس الثالث الآتي الكلام عليه.

(في الملك رمسيس الثالث)
(الملقب)
(رع أوسر ماميامون)

كان أول ملوك هذه الدولة الملك رمسيس الثالث ويسمى رمسيس الميمون يعني عبد شمس ويقال له أيضاً سيطوس الأول وإنما سمى باسم رمسيس الثالث تفاؤلاً بهذا الاسم وافتخارا إذ أن رمسيس الأكبرجعل لهذا الاسم كبير اعتبار ومزيد افتخار، وقد تلقب به من أتى بعده من الملوك حتى أن هذه الدولة أي المكملة للعشرين سميت بالدولة الرمسيسية ورمسيس الثالث هذا آخر مشاهير ملوك مصر وكان قبل موت والده (سيتنخت) شريكاً له في حكم البلاد وتدبير أمورها فلما آل إليه الملك كبر اهتمامه بأمور المملكة وحفظ حدودها وملحقاتها واعتنى بتنظيم داخليتها، وكان شجاعاً عالي الهمة محارباً ولم يستقر به المنصب حتى قامت عليه قائمة الحروب والفتن وخرج أهل البادية فهددوا معاقل إقليم مصر المعروف بالدلتا وأذلوا العملة الذين كانوا بطور سينا لاستخراج المعادن، وزحف على ديار مصر طائفة عظيمة من الليبيين من جهة الشرق برئاسه أربعة وهم (ديد ومشاكن وصمار وصا وتمار) وانضم إليهم طوائف (التهانو)، (وتماحو)، (وكحاك) وقبائل أخرى ممن يجاورهم وقد ساروا من سهول صحراء ليبيا وما زالوا حتى احتلوا قسم مريوط وقسم صان ومصابّ النيل إلى فرعه الأكبر وانتشروا وشغلوا جزء الدلتا الغربي من مدينة (كريانا) إلى آخر حدود مصر الشرقية، ومنها إلى ضواحي منف من الجهة القبلية، فقام عليهم الملك رمسيس. وقاتلهم قتالاً شديداً مبتدئا بأهل البادية فهزمهم وانتصر عليهم نصرا مبيناً حتى أبادهم ولم يبق منهم إلا القليل ثم طارد الليبيين الذين هم أهل برقة ومن معهم من بقية الطوائف في السنة الخامسة من حكمه فهزمهم شر هزيمة فانحاز بعضهم إليه فأدخلهم في جيوشه المعدّة للإمداد وتتابعت نصراته عليهم حتى أدخلهم تحت الطاعة وأذلهم وكسر شوكتهم وأزال بأسهم.

قال صاحب العقد الثمين: وهذه الواقعة منقوشة في خمسين سطراً على جدران مدينة (آبو) بطيبة تركنا من أولها ستة عشر سطراً لعدم فائدتها لنا ولنذكر ههنا من السطر السابع عشر إلى آخرها نقلاً عن (شباس) وهذا نصها.

(الملك رمسيس الثالث) ذبح سكان بلاد السهول والجبال وأبادهم وأخذهم إلى مصر أساري متواضعين أمام معبوداتها وأشبع الجائع بالمؤنة الوافرة التي غمر بها

إقليمي الصعيد والبحيرة وبث الفرح في أهل مملكته على الدوام كيف لا وهو الذي أجلسه المعبود (أمون) على تخت مصر وجعل غالب ما تطلع عليه الشمس في قبضة يده. ثم إن أهل آسية وبلاد (تهانو) اللصوص أهل الدناءة عصوا وفعلوا أفعالاً قبيحة في مصر وشنوا غارة العصيان عليها مدّة الملوك السالفة. ونهبوا أمتعة المعبودات وأموال الناس، ولم يردعهم أحد منذ عصيانهم. فلما ظهر هذا الشاب الهمام وثب عليهم كالأسد ذي المخلب القاتل وهجم عليهم كالمعبود (نهى) أعني (هرمس) حتى أبطل كلامهم الذي هددوا به أهل مصر وأثبت كلامه عليهم وسرت إلى جنوده قوة حميته، فظهروا كالثيران المستعدة للهجوم على المعز وكانت خيالته تهجم عليهم كالصقر إذا انقض على الطيور الصغيرة ولهم زئير كالسباع الهائمة من الغيظ، وكانت ضباطه شديدة البطش لا تقاوم كأنهم المعبود (رسپ) ينظرون الألوف من الناس صغيرة كحدقة العين، ولقد كانوا في قوتهم مثل (مونت) الذي اسمه ميزان العدل يخافه جميع بلاد السهول والجبال، وبعد ذلك اجتمع أيضاً لقتاله (الليبيون ... والمشواشيون) المعروفون قديماً (بتماحو) واعتمد جنودهم على رأي رؤسائهم المهيج لقلوبهم ووافق أفكارهم هذا الرأي فقالوا هلم بنا نسكر ونشبع من خمر الحمية إلا أنهم خابت آمالهم ولم ينالوا مقاصدهم لعدم استحسان هذا الرأي لدى المعبود (أمون) حيث لم يستجب دعاء رئيسهم لكونه معبوداً محسناً عالماً بالهدى والضلال سلطان المعبودات الذي أقام رمسيس رئيساً على مصر وجعل بيده القوّة والنصر حتى صار بدعوات الأمم له ملكاً ذا دولة عظيمة بفطنة وذكاء كالمعبود (هرمس) ولما ظهر لهذا الملك ما كمن في قلوب (تماحو) ذوي القلوب الصغيرة من سوء مقاصدهم تغلب عليهم فخضعوا لسيفه وتفصيل ذلك (انهم اجتمعوا) عند رئيسهم وأصروا على سلب بعض أراض من مصر فتعجب المصريون. وقالوا: كيف ينالونها مع كونهم لم يسمعوا قولاً يشبه ذلك في مدّة الملوك السالفة فلما سمع الملك رمسيس كلام الأعداء هاج قلبه واضطرب وهمّ باستئصالهم بسيفه المنصور، فرعبوا منه كالمعز إذا هجم عليها ثور ووطئها برجليه وضربها بقرنيه وزعزع الجبال واقتفى أثر من قرب إليه. كيف لا وقد منحته المعبودات في حضرتهم ما يليق به من القوّة فكان إذا اخترقت جماعة حدوده هجم عليهم كالنار المحرقة إذا انتشرت في الحشائش فيصيرون كالأوز المأخوذ من شبكة للتقطيع والشيّ، ولذلك تساقط منه أولئك الأعداء عند هجومه عليهم ربما مضرجة بدمائها تساقطا هائلاً ولم يمكنهم من شيء سوى مشاهدة ذنوبهم كبيرة بينهم كالجبال الشامخة بل جردوا في الميدان من أسلحتهم

وتراكمت على الأرض أمواتهم بشهامة الملك المنصور صاحب السيف والقوّة (رعمسيس الثالث) المماثل (لمونت) وأحضر معه من هذه الواقعة لمصر أيديا وأحاليل مقطوعة وأسرى لا تحصى مسلسلة في الأغلال منقادة، واجتمع في هذا الوقت رؤساء هؤلاء الأمم المأسورة لينظروا فضيحتهم، أما الملك فقد سارت معه أعيان دولته الذين هم من درجة الثلاثين نحو المعبود (أمون رع) باسطين أيديهم إلى السماء منادين نداء السرور مع امتلاء قلوبهم بمحبة الملك قائلين: أيها المعبود قد وجب علينا مدح شهامة الملك رمسيس الذي حضرت لديه جميع رؤساء الدنيا وقلوبهم مرتجفة ومختطفة وغير مستقرة في صدورهم شاخصين إلى هذا الملك الشبيه (بتوم) ملك كسر في حكمه أصلاب (تماحو) الذين زحفوا على حدود مصره ودمروا الأرض وجعل قواد فرسانهم فرقاً تحت تصرفه ولقبهم باسمه هذا ما حصل مع (تماحو) الذين بدءوا بالعدوان على مصر من غير أن يقفوا على حالها وجلبوا معهم المشواشيين كالسيل ورحلوا من وطنهم فهلكت مزارعهم وتلفت وشلت أعضاؤهم من الفزع وعجزت وصاروا يقولون لقد انقصمت في بلاد مصر ظهورنا وأذل إلى الأبد ملكها نفوسنا والمصريون يقولون ياحسرة عليهم إنهم يرون رقصنهم تبدّل بذبح والمعبودة (سخت) المصرية في أثرهم والفزع لاحق بهم فازداد عند ذلك تأسف الأعداء. وقالوا: هزمنا من غير مقاتلة فرسانهم لنا في ميدان القتال فلا نمشي في الطريق التي يمشي الناس فيها بل نخوض الماء حياء منهم، ولقد ألمّ بنا الخراب من ملكهم إذ كان كالنار علينا كل مرة أراد قتالنا واختطفتنا رجاله حين قربنا إليهم ولم نجد لنا سبيلاً إلى النجاة منهم، ولما أراد رئيسهم رمسيس الشبيه (بست) الهجوم علينا كالسبع ذي المخلب واتبعنا ليقتلنا اضطرنا إلى القهقري دائماً والبعد عن مصره فأوجاعنا أعظم من الموت وسرت فينا النار فلا نزرع أبداً ولقد أراد رؤساؤنا (ديد ـ ومشاكن ـ ومرايو ـ وصماور ـ وصاوتمار) الذين كانوا أكبر المهيجين لنا مع الليبيين إضرام اللهيب في مصر من أولها إلى آخرها، ولكن سخطت علينا المعبودات لأننا نهبنا هياكلهم وأراضيهم فالتزمنا بالخضوع لسيف مصر ذي البسالة العظمى أليس هو الذي أعطته الشمس قوة النصر فشابهها وقت ظهوره واستنارت به البشر، فهلم بنا نسد إليه احترامنا ونقبل الأرض أمام حسام مصر المنصور. (قال): وبهذا يتضح لك أن الليبيين انهزموا هم ومن معهم شر هزيمة وضربت عليهم بسبب عصيانهم الذلة والمسكنة وهذا حاصل ما تم في الواقعة الأولى ، وقد وقعت له واقعة ثانية كانت أكبر من الأولى وهي أنه لما سمع أهل آسية الصغرى والجزائر اليونانية بهذه الحرب

الأخيرة هموا بالخروج عن طاعة رمسيس الثالث، فشنوا الغارة عليه وهم (الدنائيون ـ والترسانيون ـ والشكالاشيون ـ والتكرسيون) الذي خلفوا (الدردانيين) في البطش والمنعة بين الأمم الترواتية، وتعاهدوا على قتال هذا الملك وانضم إليهم (الليسيون ـ والفلستيون) وساروا حتى نزلوا ببلاد (خسيتا ـ وكركميش ـ وكاتي ـ وآراد ـ وكدش) فنهبوها وأخذوا رجالها معهم ليستعينوا بهم على قتال المصريين ثم ساروا حتى نزلوا ببلاد الأموريين وأقاموا بها مدة. ثم نزلوا على مصر كسيل العرم من طريق الدلتا فتقابلت جيوشهم وسفنهم الحربية بالمراكب والجيوش المصرية وكانت تنتظرهم بين مدينتي (رافيا ـ والطينة) بجانب برج رمسيس الثالث وامتلأت مصابّ النيل بالسفن الحربية والمراكب المشحونة بعساكرالأعداء فشرع الفريقان في القتال والطعان فكانت المشاة من المصريين تزأر كالسباع وعساكر عرباتهم تقاتل تحت قيادة رؤساء محنكين وضباط مدّربين وخيولهم تضطرب أعضاؤها وتدوس الأمم بسنابكها أما رمسيس فكان واقفاً أمام جيشه كأنه معبود الحرب (مونت) يقتل في الأعداء ويجندلهم ويغرق سفنهم وأموالهم حتى هزمهم هو ورجاله شر هزيمة وانتصر عليهم نصرة تامة وعادت الراحة بعد ذلك واستتبت وعمت الطمأنينة أنحاء البلاد مدة طويلة، فلما كانت السنة الحادية عشرة من هذه الواقعة عاد (الليبيون) إلى شق عصا الطاعة مرة ثانية وزحفوا على ديار مصر ومعهم قبيلة (المشواشيين) وطوائف (سباته ـ وكبكاش) وبعض طوائف أخر وجيش من الجنود (الترسينية ـ والليسية) وأغاروا على مصر من جانبها الغربي، وذلك في شهر مسرى من السنة المذكورة، وكان مقدم هذه الحملة(كابور) وابنه (مشاشال) فلما التقى الفريقان أعمل فيهم المصريون القتل وأبلوا فيهم بلاء حسناً وانتصروا عليهم انتصاراً مبيناً.

وأرسل رمسيس الثالث طائفة من جنوده المظفرة إلى جبل الطور لقتال أهل البادية الذين كانوا يغيرون على الحدود ومحلات المعادن فضربهم وأخضعهم وأدخلهم تحت الطاعة فعلت بعد ذلك كلمته وطار صيته واتسعت مهابته وانجلى عن أرض مصر جميع من كان بها من (السردانيين ـ والترسينيين ـ والليسيين ـ والفلسطينيين) بعد أن كانوا يأتون إليها مهاجرين من أوطانهم منذ خمسة أجيال ورحلوا إلى قارة أوروبا (قال شباس) فاستوطن (الترسينيون) شماليّ مصبّ نهر (الطبر) ونزل السردانيون بجزيرة سردينيا فسميت باسمهم ورحل الفلسطينيون إلى الشام وأقاموا بساحل البحر بين يافا وسهول مصر بأرض كنعان وعاشوا فيها وحاكمها ملك مصر واستقرت طائفة المشواشيين الذين يسميهم مانيطون الحبر المصري

(ماكسير) في الناحية الأخرى من الدلتا وأقطعهم رمسيس هناك أرضاً وصارت رجالهم في ليبيا وسواحل النيل جنودا تحت قيادة المصريين وامتازوا بالبسالة والإقدام والمثابرة على الحروب.

قال بعض المؤرّخين ولما خرج الملك رمسيس الثالث لقتال الأعداء أقام أخاه المسمى (أرمايس أو بتناور) حاكماً متصرفاً على مصر بالنيابة عنه بشرط أن لا يلبس التاج الملوكي وأن يراعى حقوق زوجة أخيه رمسيس أمّ أولاده فبينما هو يقاتل، إذ وردت إليه الأخبار من رئيس كهنة المصريين بأن أخاه (أرمايس) لم يعمل بوصيته وأنه أقام راية العصيان واستبدّ بالملك فكرّ رمسيس راجعاً إلى مصر ودخل مدينة تنيس واستولى على سرير الملك ولبس التاج الملوكي فهرب (أرمايس) وهاجر إلى بلاد اليونان، واليونان يسمونه باسم (دانوس). وقال هيرودوتوس المؤرخ أنه حين رجوعه أي رجوع رمسيس من غزوته جاء إليه أخوه (أرمايس) الذي كان حاكماً على مصر بالنيابة عنه ودعاه هو وزوجته وأولاده إلى الحضور في وليمة أعدها له في قصره بمدينة صان وتظاهر بتهنئته وأبدى له البشاشة والفرح فأحسن الملك فيه ظنه ولم يعتقد أن أخاه يظهر خلاف ما يبطن والحقيقة أن أخاه أضمر له السوء والهلاك فلما استقرّ بالملك المقام أضرم أخوه النار في القصر ولم يشعر الملك بذلك فلما أحس هو وعائلته بالحريق فرّوا هاربين ونجوا من هذه المكيدة.

ولما صفا للملك رمسيس الحال نهض إلى إصلاح العمارات فوسع معبد الكرنك وأصلح هيكل لقصر وغيره من عمارات الأقاليم البحرية وزاد في قرابين المعبودات وفي الاحتفالات الدينية والمواسم والأعياد. (قال صاحب العقد الثمين): ويرى على حيطان هيكل مدينة. (آبو) أن الملك رمسيس هذا كان متزوّجاً بامرأة أجنبية من آسية أو من بلاد الحيثيين تدعى (هيمارو صاث) وأبوها يدعى (هيبواتر وصاث) رزقت من رمسيس باثنين وثلاثين ولدا منهم ثمانية عشر ذكرا وأربع عشرة أنثى وأكثر أسمائهم تلاشت ولم يبق منهم سوى العشرة الأول، وهم الأمير رمسيس الأول، وكان قائد المشاة. فلما تولى الملك لقب برمسيس الرابع ثم الأمير رمسيس الثاني، ولما تولى الملك لقب برمسيس السادس، والأمير رمسيس الثالث ناظر الاصطبلات ، ولما تولى الملك لقب برمسيس السابع، والأمير رمسيس الرابع ناظر الاصطبلات، ولما تولى الملك لقب برمسيس الثامن والأمير يراهيو ناميف أول قائد للعربات الحربية والأمير منتحوحي خوبشف قائد الجيوش والأمير رمسيس الخامس الملقب (بمريتوم) كان رئيس الكهنة في المطرية ثم صار ملكاً، والأمير رمسيس السادس الملقب (بخاموس)

رئيس كهنة معبد (بتاح سوكـار) في منف والأمير رمسيس السابع الملقب (بأمون حي خوبشف) والأمير رمسيس الثامن ولقبه (ميامون). اهـ.

ومما تقدّم يستدل على أن الدولة الملوكية المتممـة للعشرين كانت سعيدة الطالع، وأن هذا الملك قد أعلى شأن المملكة المصرية ورقاها مراقي السعز والرفاهية كما كانت في القدم. ولما كانت السنة الثانية والثلاثون من حكمه اعتزل الأشغال، وأشرك معه ابنه رمسـيس الرابع في الحكم إلى أن مات بعد ذلك بقليل ودفن في قـبره الذي بناه في بيبان الملوك فاستقل ابنه رمسيس الرابع بالملك وهو بكر أولاده وولي عهده وقائد جيوشه المشاة.

(في الملك رمسيس الرابع)

لما استـقرّ به المنصب الملوكي وأخذ في تدبيـر أمور الرعية. قـام عليه في السنة الثانية من حكمه أهل آسية وخرجوا عن طاعته فركب عليهم، وقاتلهم وأعادهم إلى الطاعة صاغرين ثم عنى بالتـجارة فسهل أسبابها وفتح لها طـريقاً ما بين مصر وبلاد العرب من ناحـية (قفط) وأصلح شؤون الرعـية بسن القوانين، وإيجـاد النظام ومال إلى محبتـهم فأحبوه كثيـراً وأثرت البلاد في أيامه وأخصبت، وكان واسـع السياسة ميالاً إلى توسيع حدود المملكة مولعاً بإبداع مـا يؤثر عنه، وقد وسع معبد (خونسو) بطيبة وعمل رسوماً بالحفر على حيطان وأعمدة معبد الكرنك. ويقال إن مدّة حكمه كانت طويلة جداً، ولم يذكـرها أحد من الكتاب وقد مات فتـولى الملك بعده أخوه رمسيس الخامس وهو الملقب (برع أوسرماس خبرزع).

(في الملك رمسيس الخامس)

قد اختلف أصحاب التاريخ في رمسيس الخامس هذا إلى رمسيس الثالث. فقال بعضهم: إنه لم يكن من ذرية رمـسيس الثالث (وقال بعضهم غـير ذلك أما من قال أنه لم يكن من ذرية رمسيس الثالث) فقد نسب ارتقاءه سرير الملك وقبضه على زمام حكم البلاد بعد موت رمسيس الرابع ابن رمـسيس الثالث إلى الخديعة والغش وذلك أنه لما ظهر الاختلال في داخلية البلاد وكـثرت الدسائس في آخر أيام الملك رمسيس الرابع المذكور ظهر هذا الملك بمظهر الخديعة، واختلس الملك لنفسه ونقش اسمه على الآثار بعد اسم سلفه رمسيس الرابع، وانتحل النسبة إلى العصابة الملوكية، فلما تولّى بعده الملك رمـسيس السادس مـحا اسمه المكتـوب بينه وبين أخيه رمـسيس الرابع، ونقش اسمه مكانه لاتصال سلـسلة العائلة بدون فاصل أجنبي عن بيت الملك، وبني

رمسيس الخامس المذكور له قبراً في بيبان الملوك ظاهرا على ربوة في آخر الوادي وعليه نقوش تدل على وقائع فلكية ورموز دينية مثل رسم فلك الشمس وما تقطعه في اليوم والليلة، ورسم عدد ساعات اليوم والليلة أيضاً وجداول مطالع الكواكب وحلولها في البروج وأحكام النجوم وتناسخ الأرواح والنص على ثواب المحسن وعقاب المسيء، وذكر الحروب التي وقعت في أيامه. ويقول بعض المؤرّخين أن مدّة حكم هذا الملك كانت عشرين سنة فلما مات تولى بعده رمسيس السادس.

(في الملك رمسيس السادس)
(الملقب)
(بنباميامون)

(وفي الملك رمسيس السابع، ورمسيس الثامن ومیامون مرتيوم، ورمسيس التاسع)

لما استقرّ برمسيس السادس هذا المنصب الملوكي اهتم ببناء بيوت العبادة والهياكل العظيمة، وكانت له عناية تامة بالمعبودات وعاداتها المقرّرة واستكشف في أيامه المنجمون من المصريين نجم الشعري اليمانية، وبنوا على استكشافه حسابهم الفلكي، فأمر برسم هذا النجم على مقبرته التي أنشأها في بيبان الملوك، وذلك في سنة أربعين ومائتين وألف قبل الميلاد المسيحي كما قاله (بيوت) الفلكي الفرنساوي في حسابه. قال بعض أصحاب التاريخ من اليونان: وقد كان المصريون يحسبون سنتهم التوتية ثلثمائة وخمسة وستين يوماً واستمروا على هذا الحساب الأزمان الطوال ثم تبين لهم برصد الشعري اليمانية اختلاف حسابهم ونقص سنتهم ربع يوم فبتكميل ربع يوم في الحساب تكون السنة التوتية ثابتة على حالة واحدة ووجدوا الفرق بين السنة المختلفة، والسنة الصحيحة في كل مائة وعشرين سنة شهراً كاملاً وبضم هذا الشهر وزيادته يتكوّن منه في كل ألف وأربعمائة وستين سنة زيادة ثلثمائة وستين يوماً سنة كاملة وهي الفرق بين السنين المختلفة والسنين الصحيحة فبكبس هذه السنة في تلك المدة يوافق في آخر الدور أول السنة الصحيحة لأوّل السنة المختلفة، ويوافق طلوع الشعري اليمانية فصار تصحيح السنة التوتية على هذا الوجه يسمى عند القدماء (بالدور الشعروي). قالوا: ووجه هذا التصحيح أن الألف والأربعمائة والستين سنة المختلفة بإضافة سنة الفرق عليها للتصحيح تكون ألفاً وأربعمائة وستين سنة صحيحة وحينئذ يكون عدد دورهما بهذه الإضافة واحدا لأن مقدار أيام كل

منهمـا مساو لمقدار الآخـر في العدد فلذا صح التحـرير والتصحيح لتـوفيق السنين، وكان تاريخ هذا التصحيح في أواخر القرن العشرين قبل الميلاد المسيحي . اهـ.

قال صاحب العـقد الثمين: وقد وجد على صخـرة ببلاد (النوبة) بجبل (أنيب) الذي على شاطيء النيل الأيمن حذاء إبريم على بُعد خمسين كيلو مترا من أبي سنبل نقوش لرجل مصري يدعى (بني بن حرونفر) كان في عصر هذا الملك يعني رمسيس السـادس رئيسـاً على إقليم (واوا) وحـاصلهـا أن هذا الرجل أوقف لتـمثـال الملك رمسيس السادس أربع قطع من الأرض الزراعية المجـاور بعضها لمدينة هيكل الشمس بالدير وبعضها لمدينة (أما) المعروفة أيضاً بإبريم البالغـة مساحتها ألفا وخمسمائة ذراع من ضرب خمـسة عشر في مائة وقطعـة أخرى من الأرض الطفلية غيـر مدرجة في سجل الزراعة تبلـغ مساحتهـا ألفا ومائتي ذراع حاصلة من ضـرب أربعة في مائتين واثنين في مائتين وأنه أوقف غيطا في أرض عالية تدعى (رفـتي) وجعل زرعها معداً لأكل الثـور الذي يذبح كل سنة قرباناً لتـمثـال الملك المذكور، ويرى في آخـر هذه النقـوش وصية مـعناها كل من تعـدّى على حدود هذه الأراضي التي أعـرضنا عن ذكرها هنا لعدم فائدتهـا جازاه (أمون) جزاء مضاعفاً وجازت المـعبودة (موت) امرأته والمعبـودة (خوتو) أولاده ولحقه الجـوع والظمأ والذل إلى أن يهلك في تلك الأرض اهـ. ملخصاً من تاريخ بروكش.

وكان رمسيس السادس المذكور عظيم الشوكة كـبير المهابة، وقد تغلب على كثير من البلدان وعلى إقليم (آهي) وعلى بلاد الذهب المسـماة (إكينا) وأخذ منهـا الجزية وبسط حكمه على بلاد الزنوج، وأقام عليهـا الولاة والحكام لجباية الأموال، ومات، فتولى الملـك بعده الملك رمسيس السـابع الملقب بـ (رع أوسر ماميـامون استبن رع) قال أهل التاريخ وهو أخو الملك رمسيس السادس ولم يعلم من تاريخ حياته وأعماله شيء يذكر ولا المدة التي حكمهـا ومات فتولى الملك بعده رمـسيس الثامن الملقب بـ (رع أوسرمـاخون امن) قالوا وهو أخـو رمسيس السادس أيـضاً ويظن أنه حكم مع أخيه رمسيس السابع فكانت مدة حكمهـما واحدة ولم يعلم لهما شيء من أخبارهما ولا آثارهما أيضاً، وبموت هذا أيضاً حكم بعدهما الملك (ميامون مرتيوم) ثم رمسيس التاسع وهو (سبتاح) الملقب بـ (سنحعـن ميامون). قال أهل التاريخ: ولم يعلم من سيرتهما شيء يذكر وماتا فتولـى الملك بعدهما الملك رمسيس العاشر الملقب بـ (نفر كاوورع استبن رع) الذي سيأتي ذكر أخباره بعد.

(في الملك رمسيس العاشر)
(الملقب)
بـ (نفر كاوورع استبن رع)

كان لهذا الملك آثار كثيرة بالقرنة والكاب وقد وجد له دفتران محفوظان بمدينة لندن عاصمة الإنكليز أحدهما فيه حساب السنة الثانية من حكمه، والثاني فيه حساب سبع عشرة سنة من أوّل ستة عشر أمشير سنة واحد إلى أحد عشر أمشير سنة سبع عشرة من حكمه، وله بعض عمارات أخرى مهمة ونقوش من هذا القبيل، قال صاحب العقد الثمين: ومنها النقوش التي على حيطان هيكل (أمون رع) بطيبة الدالة على علو شأن الكهنة في عصره وعلى بعض ملحوظات تاريخية ومحصلها أن رؤساء كهنة أمون بطيبة أخذوا من عهد رمسيس الثالث في الظهور ونفوذ الكلمة شيئاً فشيئاً مع كل ملك إلى أن آل ملك مصر بعد انقراض هذه العائلة يعني الرمسيسية إلى (حرحور) الذي هو سادس الكهنة المذكورين الذين هم (روى ـ وروما ـ ومرى بست ـ ورمسيس نخت ـ وأمون حتب ـ وحرحور) المذكور.

ومما اشتهروا به في أيام هذا الملك أن (أمون حتب) لما تولى رياسة الكهانة على معبد (أمون رع) الموجود بطيبة بعد موت أبيه (رمسونخت) تحبب كثيراً إلى الملك وتداخل في أمور الحكومة حتى وكل الملك لعهدته تجديد عمارة الهياكل وغيرها من الأشغال الجليلة التي كانت من وظائف الملوك ومدحه بخطبة عظيمة بعد أن كان المدح من الكهنة للملوك فكان ذلك باعثاً على تقدّم هؤلاء الكهنة وتداخلهم في أمور الحكومة وتقرّبهم إلى السدّة الملوكية كما يشهد بذلك صريح النقوش المكتوبة على الحائط الشرقي من هيكل طيبة ونصها:

أن (أمون حتب) ولي العهد قام بدل أبيه (رمسونخت) رئيساً على كهنة (أمون رع) سلطان المعبودات بطيبة . اهـ.

فكان انتحال لقب ولي العهد لنفسه تمهيداً لتنفيذ ما قد وطن النفس على عمله وهو أخذ الحكم لنفسه أو لمن يأتي من الكهنة بعده، ولذا تعدى على عمل الملوك فقال:

إني لما وجدت هذا البيت المقدّس المعدّ من قديم الزمان لكهنة (أمون رع) آل إلى الدمار. أردت أن أصلح ما فيه كما فعل (أوسرتسن الأوّل) في أيامه فشرعت في بنائه وجدّدته بعمل جيد وصناعة متقنة وقوّيت حيطانه من جميع جهاتها وأتممت

بناءه وصنعت أعمدته وأمسكتها بحجارة كبيرة من أسفلها وأعلاها بعمل متقن وصنعت له باباً كبيراً بمصراعين من خشب السنط بقفل محكم وأتممت سوره الكبير المطل على جهة (محي) من الحجر وبنيت فيه بيتاً جديداً عالياً ليكون مسكناً لكل رئيس على كهنته ونضدت هذا الباب الكبير بخشب السنط وجعلت مفاتيحه من النحاس الأحمر، وطليت التماثيل بالذهب النقي والفضة، وبنيت فيه باباً كبيراً بالحجر يفتح إلى بحيرة المعبد من الجهة القبلية لأخذ الماء منها لغسل المعبد وأحطت جميع المعبد بسور، تم نصبت الأحجار الشامخة المنقوشة على بابه الكبير، وركبت مصاريع الأبواب المتخذة من خشب السنط، ونصبت أمامها تمثالاً من حجر النحت الكبير، ودهنت دائرة النقوش باللون الأحمر وكتبت عليها اسم الملك وبنيت خزانة للأموال في الأرض داخل القاعة الكبيرة، أما الأعمدة الكبيرة فصنعتها من الحجر والأبواب من خشب السنط الملوّن وبنيت أيضاً حجرة للملك، وأنشأت خلف الكيلار محلاً من حجر لوضع أدوات المعبد فيه، وجعلت أبوابه ومصاريعها من خشب السنط ونصبت في الحوش الأول الكبير تماثيل لكل رئيس من كهنة (أمون رع) وأنشأت بساتين كالبساتين التي على بحيرة معبد (اشر) في الكرنك، وغرست فيها الأشجار إلى أن قال أفضل سيدي (أمون رع) سلطان المعبودات وأعترف له بالعظمة والحكمة والقوّة وأطلب منه للملك ولنفسي الحياة والصحة والعافية وطول البقاء. اهـ.

فلما تم بناء الهيكل المذكور على ما وصفه رسم الملك لمن حوله من الأمراء والوزراء بأن يعطوه العطايا العظيمة جزاء ما فعله من الذهب والفضة. فلما كان اليوم التاسع عشر من هاتور من السنة العاشرة من حكم رمسيس العاشر المذكور حضر (أمون حتب) فى الحوش الأول من معبد (أمون رع) وحضر أمراء الملك وهم (أمون حتب) مستشار الملك وأمين خزانته (ونس أمون) مستشار الملك (ونفركا أم يامون) كاتب الملك وترجمانه ومستشاره. فلما انتظم محفلهم حضر الملك وألقى مقالة مدح فيها (أمون حتب) وهي: دعوت (مونتو) معبود الحرب و(أمون رع)، و(تحوت) صاحب الكلام القدسي ومعبودات السماء والأرض أن يكونوا شهداء عليّ وأشهدت نفسي وأنا رمسيس العاشر ملك مصر الأكبر، وأشهدت أولاد وأحباب المعبودات على أن يكون التوزيع والتمتع بمنافع أشغال الأهالي فيما يختص بمعبد (أمون رع) سلطان المعبودات تحت نظارتك وتعطي لك الإيرادات كافة وأن تستلم الضرائب وتتكفل بإدارة خزائن الأموال ومخازن المأكولات وشون الغلال التابعة لمعبد

(أمون رع) سلطان المعبودات لتكون على أحسن حالة وعلى ذلك أكافئك أيها التابع العظيم الممتاز وأكلفك بهذه الوظائف لتقوى بها على ما فيه الإصلاح ولما شاهدت فعلك تعجبت منه وأصدرت أمري بالإنعام عليك بالذهب والفضة وغيرهما مكافأة لك وأنطت بذلك أمين خزانتي والمستشارين (نس أمون ـ ونفركا أم بيامون).

فعند ذلك قام المستشاران ووضعا في عنق (أمون حتب) عقدا من ذهب وحلياه بأنواع الحلي كما يشاهد ذلك على صورته المرسومة في الحجر بمعبد أمون في الكرنك . اهـ.

ومن هذا الحين أخذت شوكة (أمون حتب) رئيس الكهنة المذكور في العظم واتسعت كلمته وعلت وتمكن من الملك وأرباب دولته وتداخل في جميع أمور المملكة حتى آلت حكومة البلاد وانتقلت إلى عقبه كما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى.

ولما مات الملك رمسيس العاشر المذكور، تولى بعده الملك رمسيس الحادي عشر وهو الملقب برع أوسرما (اسبين رع).

(في الملك رمسيس الحادي عشر)

كان هذا الملك عظيم الكلمة واسع المهابة امتد حكمه على بلاد الايتيوبيا وجميع بلاد سوريا، ولم يستدل له على شيء من الآثار سوى ما وجد منقوشاً على حجر مستخرج من هيكل (خونسو) وهو موجود بالخزانة الملوكية بمدينة باريس عاصمة الفرنسيس. وحاصل ما على الحجر المذكور أنه بينما كان هذا الملك في الجزيرة بين دجلة والفرات التي كانت من ملحقات الديار المصرية في ذلك الحين، وفد عليه جميع ملوك الأمم الخاضعة لسلطانه وقدموا له الجزية المضروبة عليهم من الذهب والحجارة الكريمة والعطريات اللطيفة من محصول بلاد العرب، وكان ممن أرسل الجزية إليه ملك (بختانا) أرسلها مع ابنته وكانت جميلة، فلما رآها الملك أحبها ومال قلبه إليها فتزوجها وسماها من هذا الحين (نفرورع) ورجع بها إلى ديار مصر وعمل لها الولائم والأفراح، ولما كان اليوم الثاني والعشرون من أبيب سنة خمس عشرة من حكمه سار إلى مدينة طيبة التي هي تخت الملك يومئذ لزيارة (أمون رع) يوم عيده البهي بطيبة الجنوبية، فبينما هو هناك إذ دخل عليه أحد حجابه وأخبره بأن بالباب رسولاً وفد من قبل صهره ملك (بختانا) ومعه هدية عظيمة برسم الملكة فأمر به فتمثل بين يديه. وقال: السلام عليك ياشمس الأمم، نسألك العيش في كنفك ثم

تذلل. وقال: إني أتيت إليك أيها الملك العظيم لأخبرك عن (بنت رشت) شقيقة الملكة (نفرورع) فإنه قد أصابها مرض في جسمها فأتيت أسألك إرسال طبيب ينظر في شأنها. فلما سمع الملك مقاله أمر بالأطباء والروحانيين فتمثلوا بين يديه فقال لهم: قد دعوتكم لتختاروا من بينكم رجلاً ماهراً حاذقاً فأتوه بكاتب الملك واسمه (تحوت أم حب) فرسم له بالمسير مع الرسول إلى بلاد (بختانا) فلما وصل إلى المدينة التي فيها (بنت رشت) وجدها ممسوسة بجني ورأى نفسه غير كفء لدفعه عنها وأخبر ملك بختانا بذلك فأرسل الملك المذكور إلى ملك مصر يقول: أيها الملك العظيم والسيد المفخم تكرم علينا ثانياً بإرسال معبود مع كاهنه إلى بلادنا لإخراج ذلك الجني ، وكان وصول هذا الطلب إلى مصر في غرة بؤنة سنة ست وعشرين الموافق يوم عيد (أمون) وكان الملك يومئذ في مدينة طيبة فقام من ساعته ودخل على (خونسو) معبود طيبة الثابت في كماله. وقال له: أيها السيد العظيم قد جئت إليك من أجل بنت أمير بختانا، ثم أمر الملك فأنزلوا المعبود (خونسو) وكاهنه في سفينة كبيرة وهيأ لهما خمساً من السفن وكثيراً من الخيول والعربات لتسير على يمينه ويساره عند مروره في بلاد بختانا، فلما وصل ذلك المعبود إلى المدينة التي فيها (بنت رشت) من تلك البلاد بعد مضي سنة وخمسة أشهر جاء ملك بختانا لمقابلته ومعه قومه وامرأته وألقى نفسه على الأرض وتقدم إليه. وقال: لقد جئت إلى بلادنا وأفرحتنا بأمر صهرنا ميامون رمسيس ملك مصر، ثم أتوا بالمعبود إلى المكان الذي كانت فيه (بنت رشت) فسرت كرامة المعبود فيها حتى برئت من مرضها ونطق الجني الذي كان عليها أمامه قائلاً: أهلاً وسهلاً بالمعبود الكبير مزيل الأذى عن بلاد بختانا هي لك وأهلها جميعاً عبيدك وأنا أيضاً عبدك فسأعود من حيث أتيت لينشرح صدرك بإتمام الغرض الذي دعيت إليه، غير أني أرجو منك أن تأمر بأن يعملوا لي في يوم واحد مهرجاناً من قبل ملك بختانا فأشار كاهن المعبودات إلى ملك بختانا أن اعمل قرباناً عظيماً لهذا الجني وعند تلاوة العزيمة على الجني المذكور، كان ملك بختانا واقفاً مع قومه وجلا فعمل الملك القربان وأولم (لخونسو) وللجني وليمة عظيمة، ثم ذهب الجني إلى حيث أمره المعبود (خونسو) الحاذق، ففرح ملك بختانا وقومه فرحاً شديداً. وقال في نفسه يجب أن أبقي هذا المعبود في بلادي وأعوقه عن الرجوع إلى ديار مصر فمكث في بلاد بختانا ثلاث سنين وتسعة أشهر، وبينما الملك نائم في سريره إذ رأى أن المعبود قد خرج من ناووسه العظيم كأنه باشق من ذهب قد بسط أجنحته وطار إلى مصر فاستيقظ فوجد نفسه مريضاً. فقال لكاهن (خونسو)

إن المعبود يريد أن يفارقنا ويذهب إلى مصر وأمر فوضعوه على عربته وأطلق سبيله وأعطاه كثيراً من أنواع الهدايا العظيمة فلما وصل سالماً إلى طيبة توجه إلى معبد (خونسو) ورفع إليه أنواع الهدايا الثمينة التي أهداها إليه ملك بختانا فلم يأخذ منها شيئاً وبعد ذلك رجع (خونسو) الحاذق إلى معبده في اليوم الثالث عشر من أمشير سنة ثلاث وثلاثين من حكم الملك رمسيس ميامون مانح الحياة ومخلد الذكر. انتهى باختصار.

ولما مات رمسيس الحادي عشر هذا تولّى الملك بعده رمسيس الثاني عشر وهو الملقب (رع من ما استبن بتاح).

(في الملك رمسيس الثاني عشر)

لما تولى الملك رمسيس الثاني عشر هذا زين مدينة طيبة بالمباني العظيمة في بيوت المعابد وغيرها من بقية الآثار وزين معبد (خونسو) في المدينة المذكورة بكثير من التماثيل الصغيرة كما زين مقابر العائلة الرمسيسية. وقد وجد مريت باشا مدير دار التحف المصرية في سنة ست وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية حجرا في شونة الزبيب بالعرابة المدفونة، فحوى ما هو منقوش عليه أن رمسيس هذا طال حكمه سبعاً وعشرين سنة. قالوا: وخط هذه النقوش يضاهي تقريباً الخط المكتوب على الورقة القديمة المحفوظة الآن في متحف تورينو بإيطاليا المؤرخة في اليوم الخامس والعشرين من كيهك من حكم الملك المذكور وحاصل ما نقله منها بروكش في فهرست تاريخه، أن هذا الملك أصدر أمراً إلى (بيانخاس) حاكم الايتيوبيا ورئيس الأمم الأجنبية التابعة للدولة المصرية يقول فيه سيصل إليك مرسومي المتضمن لما في الجواب المعطي للرئيس (ياني) مستشاري الذي سافر بأوامري فوصول هذا الأمر إليك اشترك معه في إنجازها بالحسنى لأنه هو المكلف في الأصل بأدائها وعليك أن تلاحظ توابيت المعبودة وتضعها في سفينة وأن تأتي بها معه إلى المكان الذي أعد لنصب التماثيل فيه مع إحضار الأحجار النفيسة لتسليمها للصناع واحذر من التأخير في إنجاز هذه المطلوبات وإلا خلعتك وعاملتك على مقتضى ما يصل إلينا من أخبارك. قالوا: فإن صح أن هذه الورقة محررة في عصر هذا الملك كان حكمه ممتدا إلى بلاد الحبشة غير أنه كان ضعيف القوة قليل البطش، ولم يزل كذلك حتى توفى وتولى بعده الملك رمسيس الثالث عشر الملقب (برع خبر ما استبن رع).

(في الملك رمسيس الثالث عشر)

قد كان هذا الملك خامد الهمة ضعيف العزيمة ذابل الشوكة، وكان المتولي في

أيامه على رئاسة كـهنة (أمون رع) سلطان المعبودات الكاهن (حـرحور) وهو سادس العائلـة التي تقدّم ذكر اسـم كل منهم في محله، فلمـا رأى (حرحـور) المذكور من ضعف عزيمة رمسـيس الثالث عشر تطاول إلى الأعمال السيـاسية وتداخل في أمور البلاد وأحكامها، وضم إليه قومه وأخذ في مخاصمة الملك وعائلته، وتظاهر بالعداء فاختل نظام الدولة وتفرقت كلمة أهل البلاد وزالت سطوة الحكومة وانحطت شوكتها وخرجت جملة بلاد عن حيازتها فضاقت حدودها وأحاطها من جميع الجهات أعداء أشدّ قوّة منها واقتدارا وما زالت تسير القـهقري حتى انتزعها (حرحور) رئيس الكهنة المذكور من رمسيس الثالث عشر وزال الملك عن الـدولة المتممة للعشرين التي آخرها رمـسيس الثـالث عشـر المذكور، وقـامت بعـدها الدولة الحادية والعـشرون وأولهـا (حرحور) رئيس الكهنة وهو من مدينة طيبة.

(الفصل الرابع)

(في ملوك الدولة الحادية والعشرين التنيسية)

كان ابتـداء ظهور هذه العائلة سنة عـشر ومائة وألف قـبل الميلاد أي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكـها أربعة. وقال العلامة ماسبرو بل هم سبعـة نقلاً عن الآثار، ورتبهم على الترتيب الآتي الكـاهن (حرحور) والكاهن (بعنخي)، والكاهن (بينوزم) الأول والملك (بـينوزم الثاني)، والكاهن (مـزاحرتي)، والملك (منخـوبر يرى)، والكاهن (بينـوزم الثالث). ولكـنه لم يجزم بـصحـة هذا الترتيب حتى تنكشف له حقـائق ما في الآثار ومع أن هذا الترتيب المنقول عن الآثار يكاد يكون في حكم الثابت المحقق، فلم يأتنا أصحاب التاريخ إلا بأخبار ثلاثة منهم ليس إلا وذكر بعضهم أسماء الأربعة الأخـر دون ذكر أخبارهم. وقال أن مدة ملكهم جميعاً كانت مائة وثلاثين سنة. وأن أصل هذه العائلة من مدينة تنيس التي هي صان شرقـية؛ وكانت هذه المدينة من أعظم مـدن الديار المصرية هواء وتربة وأتقنهـا نظاماً وترتيباً وفيـها كثير من البساتين، والكروم، والنخيل، والمزارع الـواسعة، والأشجار العظيمة، والخلجان الكثيرة، والترع التي يجري فـيها الماء صيفاً وشتاء ثم يصب في البحر الملح من جـميع جهاتها. وكانت هذه الـعائلة في عصر سيدنا سليـمان وأبيه داود عليهما السلام. ويقال إن سيدنا سليمان تزوّج بنت أحد فراعنتها وأمهرها مدينة غـزة، وأول ملوك هذه العائلة الكاهـن حرحور وهو أحد الثـلاثة الذين جاء أهل التاريخ على ذكر أخبارهم تفصيلاً.

(في الكلام على الكاهن حرحور)

قد كان هذا الكاهن في أول أمره خاضعاً معترفاً بالتابعية للملك رمسيس الثاني عشر فلما تولى الملك رمسيس الثالث عشر وأحس بضعف شوكته خرج عن طاعته واتخذ لنفسه الألقاب الملوكية، فسمى نفسه أول كاهن (لامون)، وولي العهد، وحامل المروحة على يمين الملك، وقائد الجيش في الأقاليم القبلية والبحرية، وأمين خزائن الأرض كيوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وكان رمسيس الثالث عشر لا يلتفت إلى ذلك ولا يفكر في المآل فكبرت كلمة (حرحور) وانضم إليه جميع الكهنة، وخرج على رمسيس الثالث عشر ونزع منه ملك البلاد واستولى على الأقاليم القبلية والبحرية وتصرف في جميع الأمور ورسم نفسه على جدران هيكل (خونسو)، (وسيتي) معبودة (انبو) تقدم له التاج الأحمر الخاص بالإقليم القبلي، والمعبود (حور) يقدّم له التاج الأبيض الخاص بملك الإقليم البحري ، قال صاحب العقد الثمين: وكتب على هذا الهيكل يعني هيكل (خونسو) ما معناه إني وسعت مصر وأتت إليّ رؤساء (روتنو) خاشعين لسطوتي إلى غير ذلك من عبارات المدح. اهـ.

قال المؤرخون: ولم يكن شيء من ذلك البتة فقد كانت البلاد في غاية الاختلال والضعف، ولم تقو على رد ما خرج من البلاد الأجنبية وقد منعتها الشام من الوصول إلى حدودها، ولم يبق في وسعها غيرالدفاع لا الفتوح كما كان في الأيام السابقة. وقد جمع حرحور الكاهن المذكور من بقى من العائلة الرمسيسية ونفاهم إلى الواحات الكبرى تشفياً وانتقاماً وهم رمسيس الرابع عشر، ورمسيس الخامس عشر، ورمسيس السادس عشر، قالوا: وكان رمسيس السادس عشر المذكور متزوّجاً بابنة ملك آسية المدعو (بلاشارنس) فرزق منها بولدين وبنت وهم الأمير (صيحور أوف عنخ) والأميرة(صي أن نوب أوص عنخ)، (والنمروذ) الذي تولى قيادة الجيوش المصرية على عهد حرحور وهو المعروف (بنمروذ الخليل إبراهيم عليه السلام). ولما مات حرحور المذكور تولى الملك بعده ابنه (پعنخي).

(في الكاهن پعنخي)

قد كان بعنخي الكاهن المذكور ضعيف الشوكة قليل التدبير والسياسة فلما رأي أهل البلاد منه ذلك نهضوا إلى الثورة وهب من بقى من العائلة الرمسيسية إلى إثارة الخواطر وتحريض الأهالي على الخروج فاختل نظام الحكومة وساء تدبير بعنخي الكاهن فلم يتمكن من نقش اسمه بين أسماء الملوك، وظهر رمسيس السادس عشر

في أيامه واستعان بصهره ملك آسية، المدعو (بلاشارنس) فسير إلى مصر طائفة من أهل الشام وكان من أمرهم في ذلك العهد ما سيذكر في محله، ومات بعنخي المذكور قبل أن تصل إليه النجدة من صهره ولم يأت عملاً يذكر، فلما مات تولى بعده ابنه (بينوزم) الأول الملقب (خع خبرع استبن أمن).

(في الكاهن پينوزم الأول)
(الملقب)
(بخع خبرع استبن أمن)

تولى بينوزم الملك بعد أبيه في خلال القلاقل والاضطرابات وظلت الدسائس قائمة إلى السنة الخامسة والعشرين من حكمه، اشتدت الفتنة وقامت على ساق بين الإقليمين القبلي والبحري بسبب إبعاد العائلة الرمسيسية إلى الواحات وعلا لهيبها فلم يقدر (بينوزم) الكاهن على إطفائها لاشتغاله بدفع إغارة أهل الشام الذين كانوا أتوا لنجدة رمسيس السادس عشر صهر ملكهم فأرسل ابنه المدعو منخبر رع إلى مدينة طيبة لإرجاع الأمور إلى سابق مجراها وإطفاء نيران الفتنة فسار إليها وما زال بها حتى سكنت الفتنة وزالت فلبث بطيبة وأقام نفسه رئيساً على كهنة (أمون رع) معبودها بدل أبيه (بينوزم) واستقدم من بقى من الرمسيسيين من الواحات، قال صاحب العقد الثمين: وهذه القصة هي المنقوشة على حيطان هيكل (خونسو) بطيبة وحاصلها:

أنه في السنة الخامسة والعشرين أتى (منخبر رع) ابن الملك بينوزم رئيس الكهنة، وقائد الجيش بقوة عظيمة إلى الوجه القبلي ووطد الراحة في البلاد، وقمع البغاة واقتص منهم بما يناسبهم، وأعاد النظام إلى حالته الأصلية ثم توجه إلى مدينة طيبة فرح الفؤاد فاستقبله أهلها بمدائح التهاني، وبعد ذلك أخرجوا تمثال (أمون رع) في محفل عظيم لمكافأة (منخبر رع) على صنعه بحضرته فأمر أمون بجلوس (منخبر رع) على كرسي والده (بينوزم) وجعله رئيس كهنته وقائد جيوش الوجه القبلي والبحري، فصنع (منخبر رع) في تظير ذلك خيرات عظيمة، وفي أول يوم من سنة ست وعشرين الموافق لمولد (إزيس) وموسم (أمون رع) أخرجوا أمون هذا في موكب عظيم ووضعوه أمام باب القاعة الكبرى من معبده فدخل عليه (منخبر رع) وتضرع إليه بأدعية كثيرة وقرب إليه قرباناً عظيماً. ثم قال له: أيها السيد العظيم لقد كثرت الشكوى من غضبك على الناس المنفيين في الواحات فأبتهل إليك أيها المعبود المصور

لكل موجود ويا مخرج الغذاء للمعبودات والموجودات ويا نور الشمس فى النهار وضياء القمر فى الليل، يا من يسرى فى السماء بسلام دون وقوف وإهمال. انظر إلى أولئك الذين نفيتهم بأمرك واشف مرضاهم وارأف بهم لأنهم أممك العديدة فهل يستطيع أحد أن يسكن غضبك لو غضبت على شىء أنت الشعاع المنير استجب دعوتى .واعف فى هذا اليوم عن الخدم الذين نفيتهم فى الواحات ليعودوا إلى مصر.

فاستجاب دعاءه، ثم طلب منه ثانياً أن لا ينفى أحد من أهل مصر إلى تلك الجهات البعيدة. فأجاب سؤاله أيضاً. ثم طلب منه ثالثاً أن يصرح بكتابة أمره هذا على حجر لنشره فى البلاد فقبل المعبود طلبه وبعد ذلك قال (منخبر رع): لقد فرحت كثيراً بتمام قصدى الذى ستحسن به بين الخلق سيرتى. فأنا عبدك النائب عنك فى مدينتك من صغرى أنت صورتنى وأظهرتنى فى الوجود لسرور خلقك فأعطنى عيشة هنية فى خدمتك وقدساً ووقاية من عذابك وأرشدنى إلى طريقك واهدنى سبيلك وحبب قلبى فى بيتك العظيم ولا تحرمنى من فضلك، إلى غير ذلك من العبارات المألوفة لديهم . ثم طلب فى آخر هذه النقوش من معبوده أمون أن يبيد ويميت كل ذى سعى فى الفساد، فأجابه المعبود إلى ذلك. اهـ.

وأما الملك (بينوزم) فإنه بينما كان مرابطاً فى الحدود لدفع العدوّ عن البلاد إذ قدم نمروذ ملك أشور بجيش عظيم جدًّا يريد التملك على ديار مصر وضمها إلى مملكته لا إلى معاونة الرمسيسيين أصهاره فقاتل الملك (بينوزم) وعساكره وانتصر عليه نصراً مبيناً ونزع الملك منه، وأدخل مصر تحت حكمه وتصرف فى البلاد تصرف الفاتح، وما زال بينوزم منزوياً حتى مات فدفنته أمه المسماة (مهتن أوسخ) فى مقبرة بالعرابة المدفونة ورتبت لقبره المرتبات المعتادة فى أعياد الأموات والخدم والحشم، وزال الملك من كهنة طيبة بزوال الكاهن (بينوزم) وتولى نمروذ على البلاد ، قال بعض المؤرخين: وكان عدد ملوك هذه الدولة أعنى دولة الكهنة الحادية والعشرين سبعة ملوك وكانت مدّة حكمهم جميعاً مائة وثلاثين سنة وأصلهم من مدينة تنيس التى يسميها بعضهم أيضاً (صان) وهى أعظم مدن مصر وكانت ذات جنات ونخيل وبها المجارى العظيمة لرى أرضها صيفاً وشتاء كما تقدّم لك القول ، قال صاحب العقد الثمين: قد حصل خلاف بين بروكش وماسپرو فى شأن هذه العائلة، فذهب بروكش اتباعاً لنص بعض الآثار إلى أن رؤساء الكهنة نزعوا الملك من الرمسيسية ونفوهم إلى الواحات، ثم حصلت مصاهرة بين الرمسيسية وملوك الدولة الآشورية فأدى جميع ذلك إلى تفرق الكلمة الأهلية ووقوع مصر فى يد ملوك الدولة

الآشورية، وذهب ماسپرو إلى أنه لما أراد رؤساء الكهنة حصر الملك فيهم عارضهم سكان الوجه البحرى وأقاموا (سمنتو) ملكا عليهم فنفى الكهنة إلى بلاد الأيتيوپيا إلا أنه بالنظر لضعفه وتفرق الكلمة الأهلية لجأ هو ومن كان معه من الملوك إلى جيرانهم فكان ذلك سببا لزوال الملك منهم وسقوط مصر فى أيدى ملوك الدولة الآشورية.
قال وأما ما يتعلق بالتنيسيين وهم أهل صان فقال ماسپرو أنه لما أراد (حرحور) حصر الملك فيه وفى عائلته عارضه فى ذلك سكان الوجه البحرى مع أهل صان وأقاموا (سمتوميامون) ملكاً عليهم فجعل مركز حكمه بمدينة صان وتبعه فى ذلك خلفاؤه الذين اعتبرهم مانيتون ملوكاً أصليين لهذه العائلة إلى أن قال: ولضعف هؤلاء الملوك، أعنى بهم ملوك الدولة الحادية والعشرين المذكورة، كان أهل طيبة يطيعونهم وقتاً دون وقت وكذلك الايتيوبيون خرجوا عن طاعتهم واستقلوا تحت حكم كاهن من رؤساء كهنة أمون وعصتهم أيضاً بعض بلادهم فالتجئوا إلى بعض الملوك المجاورة لهم واحتموا فيهم واختلطوا بهم فزوّجوا أولادهم بنات ملوك الإسرائيليين وأخذوا من بناتهم لأولادهم فكان هذا سببا لنزع مصر من أيديهم واستيلاء النمروذ المتقدّم ذكره عليها، قال صاحب العقد الثمين: بين بروكش كيفية تداخل الأجانب فى بلاد مصر الذى أدّى إلى نزعها من ملوكها. فقال: إن ملوك مصر اعتادت من قديم الزمان على تكملة ما ينقص من جيوشهم من أسارى الحرب وتغالوا فى ذلك حتى زعم ملوك العائلة الثانية عشرة أنهم نقلوا أهل الشمال إلى الجنوب وأهل الجنوب إلى الشمال، وأنهم أسسوا لهم فى وادى النيل طوائف عديدة، ولما خرجت ملوك العمالقة من أرض مصر فى عصر العائلة الثانية عشرة، قلت: لعلها الثامنة عشرة كما يؤيد ذلك ما جاء فى التورات بقى غالب قومهم فى شرق الدلتا وحازوا بعض امتيازات ميزتهم عن المصريين وأطلق عليهم اسم (بى أمو) أى (بيراميت) وتحصلوا أيضاً من المصريين على وظائف مهمة كالكهانة ونحوها فأدّى ذلك إلى إدخال معبوداتهم فى الديانة المصرية فاحترمها المصريون وبنوا لها معابد فى منف.
قال: ولما تعاهد رمسيس الثانى مع الحيثيين كان ذلك سبباً أيضاً لسريان اللغة السامية فى بلاد مصر فتعلمها غالب المصريين والليبيين وحصل من ذلك تغيير وتحريف فى اللغة المصرية القديمة فاستعملوا (كريات) بدل (نوت) أى مدينة (وترعا) بدل (را) أى باب وحرفوا كثيراً من الكلمات فقالوا: (خبوشا) وشانبشا وويدل (خبش)، (وشنس) أى باب ومصباح وفضلاً عن تغيير اللغة وتداخل الأجانب فى بلادهم شيئاً فشيئاً استقلت قبيلة من الليبيين بنفسها غربىّ الدلتا فى أرض هناك استحوذت عليها

من المصريين فأدى جميع ذلك إلى أن صارت مصر غنيمة للأجانب فى آخر هذه العائلة . اهـ.

هذا وقد كان النمروذ من نسل (بياى). ويقال له (بواى) أو (بوبوايى) الشامى الأصل الشهير الذى قدم إلى مصر أثناء ملك العائلة المتممة للعشرين، وأقام ببسطة أو بضواحيها ونمت ذريته بها فزوّج ابنه الخامس (ششنق) بأميرة من بيت الملك تدعى (مهتن أوسخ) فولدت له هذا النمروذ الذى تلقب رئيس الكهنة وقائد المشواشيين، ثم ولد النمروذ ولد سماه ششنق على اسم أبيه فتولى ششنق هذا ملك مصر بعد موت ميامون سبيونخع الثانى آخر ملوك التنيسية من هذه العائلة فكان هو المؤسس للعائلة الثانية والعشرين.

(الفصل الخامس)

(فى ملوك الدولة الثانية والعشرين

قال أصحاب التاريخ: كان سرير ملك هذه الدولة مدينة بسطة بإقليم الشرقية ومحلها الآن تل بسطة القريب من مدينة الزقازيق على بُعد بعض فراسخ. وعدد ملوكها تسعة وسنو ملكهم مائة وسبعون سنة. قالوا: والغالب أن ملوكها لم يكن منهم من الغزاة وأصحاب الفتوحات إلا القليل، ويظهر أيضاً أنه كان لهم مصاهرة أو قرابة أو حب واختلاط بالأجانب لتقارب أسمائهم بأسماء ملوك الأكراد والعراقيين. ولم تكن جنودهم الخاصة بحراسة أجسادهم من المصريين المتأصلين ولا من المستوطنين بل كانوا من المغاربة. وكان أول ملوك هذه العائلة البسطية حسب ترتيب الآثار الملك ششنق الذى سيأتى الكلام عليه، وكان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة ثمانين وتسعمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وستمائة وألف قبل الهجرة.

(فى الملك ششنق الأول)

هو رأس هذه الدولة الثانية والعشرين. وتسمى أيضاً بالدولة البسطية نسبة إلى مدينة بسطة التى كانت تخت حكمها ويلقب هذا الملك (برع ونرخبراستبن رع) تملك نحو سنة تسعين وتسعمائة قبل الميلاد على ما رواه جماعة المؤرخين وثمانين وتسعمائة على رواية مانيطون. والثانى أقرب إلى الصواب ويسمى فى التوراة شيشاق. وهو الذى لجأ إليه يوربعام ملك إسرائيل مستغيثا به فنهض إلى نجدته وقصد أورشليم بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس وقاتل رحبعام بن سليمان

ملك يهوذا وكان فى جيوشه قوم من السود والحبشان فافتتح مدن يهوذا عنوة ونهب خزائن بيت المقدس وخزائن بيت الملك، وأخذ تروس الذهب التى عملها سليمان عليه السلام ثم عاد إلى مصر ظافرا غانماً ونقش تاريخ هذه الواقعة على جدران هيكل الكرنك العظيم وكتب عليه (يهوذا ملكى) يعنى مملكة يهوذا فى قبضة يده، وقد عنى كثيراً ببناء المعابد وقطع الأحجار من جبل السلسلة لعمارة هيكل الشمس وكان أكبر أولاده المسمى (آووبوت) رئيساً لكهنة (أمون رع) وقائد جيوش الصعيد، فوكل لعهدته جلب الأحجار للعمارات الكثيرة فقام بذلك خير قيام، وأقام الملك ششنق إلى أن مات فى أحد فصول الصيف وتولى بعده ثانى أولاده المدعو (ارسرخان) وهو الملقب (برع خم خبر استبن رع) فكانت مدة حكم ششنق المذكور اثنتين وعشرين سنة وفى رواية إحدى وعشرين سنة.

(فى الملك ارسرخان الأول)

تولى ارسرخان الملك بعد أبيه ششنق رغماً عن معارضات أخيه (آووبوت) إذ قام ينازعه ويزعم أنه أحق بالملك لأنه أكبر أولاد ششنق واشتد النزاع بينهما وطال الجدال ثم استتب الأمر (لارسرخان) فارتقى سرير الملك، وقبض على زمام البلاد وعلت كلمته وهو المذكور فى التوراة باسم زاراح الحبشى وقد حارب مملكة يهوذا بعشرات آلاف من النفوس وثلثمائة عربة حربية فسار ملك يهوذا لملاقاته واصطفت جنود الفريقين فى وادى (صعد) فوقع الرعب فى قلوب جند مصر، فولوا الأدبار جميعاً وانتصرت عليهم جند يهوذا نصراً مبيناً، فلم يعد ارسرخان إلى محاربتهم ثانية ومات وتولى الملك بعده ابنه (تاكلوت) الأول الملقب (برع خبراستبن أمن نترحق أون) فكانت مدة ملك ارسرخان خمس عشرة سنة.

(فى الملك تاكلوت الأوّل)

لم يقف أصحاب التاريخ لهذا الملك على شىء من الأخبار أو الآثار ولم يعلموا شيئاً عنه وغاية ما أمكنهم الوصول إلى معرفته من أخباره أنه كان متزوّجاً بامرأة تدعى (كابوس) فولدت له صبياً سماه (أرسرخان الثانى) فلما مات (تاكلوت) المذكور قام بالأمر بعده ابنه (أرسرخان) الثانى ولقب (برع أوسر ما استبن أمن).

(فى الملك ارسرخان الثانى)

تولى ارسرخان الملك بعد أبيه تاكلوت، ولم يعلم له من المآثر التاريخية سوى أنه فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه مات العجل المسمى (أبيس) وهو معبود

المصريين الأعظم. قال المؤرخون: وكان هذا الملك متزوّجاً بامرأتين إحداهما تدعى (كراما) والثانية تدعى (مـوت آووت عنخس) فولدت له الأولى ولدا سماه (ششنق) باسم جدّه فلما بلغ أشده ولاه رئاسة كهنة(بتاح) معبود مدينة منف وورث عنه إخوته من أمه هذه الوظيفة من بعده، وولدت له الثانية ولداً سماه (نمروذ ششنق) باسم جدّه، أيضاً ولما بلغ أشده ولاه رئاسة الجيش ونظارة كهنة المعبود (خنوم) فى مدينة اهناس وخلفه إخوته لأمه فى وظيفة الكهانة ثم انتقل من اهناس وصار حاكمًا على الوجه القبلى ورئيساً على كهنة أمون بطيبة ولما مات (ارسرخان) الثانى المذكور تولى الملك بعده ابنه ششنق الثانى الملقب (برع سنحم خبراستبن امن).

(فى الملك ششنق الثانى)

قال علماء التاريخ: لم يوجد لهذا الملك من المآثر شيء يذكر، وقد انقطعت بعده سلسلة العصبة الوارثة من بيت الملك: ولذلك لما مات ارتقى على سرير الملك بعده رجل اسمه (تاكلوت) وتاكلوت هذا كان زوج الأميرة (ميموت كروما ما أمن موت أم حعت) أخت النمروذ بن ارسرخان الثانى وكان رئيساً على كهنة أمون طيبة وقائد الجيوش المصرية، وقد رزق من زوجته هذه بولد سماه (أوسورخون) وجعله رئيساً على كهنة (أمون رع).

(فى الملك تاكلوت الثانى)

(الملقب)

(برع خرخبراستبن رع)

لم يكن تاكلوت هذا من سلالة بيت الملك. وكأنه لم يتقرب إلى هذا المنصب إلا بسبب تزوّجه بالأميرة (ميموت كروما ما أمن موت أم حعت) أخت النمروذ بن اوسورخون الثانى. وفى أيامه زحف على مصر الايتيوبيون من الجنوب والآشوريون من الشمال وهددوها، فخرج أهل الشام وغيرها من ملحقات مصر عن حكمها وانكمش ملوكها الأصليون فى مدائن الأقاليم البحرية وصاروا كالولاة وهم ثلاثة ملوك (شيشاق الثالث وبيمايى وشيشاق الرابع). قالوا: وفى أيامهم جزئت مصر إلى ولايات صغيرة، وكان على كل ولاية رئيس من الليبيين تحت حكمهم واشتغل هؤلاء الملوك بجمع الخراج وإدارة الأمور الداخلية ولم يلتفتوا إلى ما كان الرؤساء المذكورون يفعلونه من الاستبداد بالأحكام والتشديد على الرعية، ولم يأخذوا

حـذرهم منهم ولا من الأجـانب الذين اسـتوطـنوا البلاد بـسبب ضـعف الحكومـة وانحطاط قدرهـا فعظمت شوكـة أولئك الحكام وتجاوزت فـعالهم الحـدود، وكانت تسـاعدهم على ذلك طوائف الجند من الـليبـيين الذين دخلوا فى خـدمة الحكومـة المصرية وطمحوا بأنـظارهم إلى الوظائف العالية واختلسوا الألقاب الملوكـية، فخاف الملوك الأصليون وانزووا أولا فى مدينة بسطة ثم هاجروا منها فرارا من أعدائهم إلى مـدينة منف واتخـذوها مـقـرا لهم، وقـامت الفـوضى فى البـلاد وتكاثر الخـروج والعصيـان فكانوا فى شاغل مستمـر بدفاع الأعداء من الآشوريين والايتيـوبيين وما زالوا على هذه الحال من الضـعف والانحطاط حتى مات (شيـشاق الرابع) الذى هو آخرهم وانتزعت الملك من بعـده طائفة أخرى من التنيسيين وهم المعـروفون بالعائلة الثالثة والعشرين، فكانت مدة حكم العائلة الثانية والعشرين المذكورة ستاً وستين سنة وقيل أكثر من ذلك.

(الفصل السادس)

(فى ملوك الدولة الثالثة والعشرين التنيسية)

كان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة عشر وثمانمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف قبل الهجرة. وعـدد ملوكها أربعة ومدّة ملكهم تسع وثمانون سنة. وكان مركـزها فى تنيس وهى المعروفة الآن بصان فى إقليم الشـرقية، وهؤلاء الملوك الأربعة هم (بدوسابست)، (وأوسورخـون الثالث)، (وبساموت)، (ودت) ولم يكن من سبب لدخول مصر فى حكم هذه العائلة سوى ضعف شوكة شيشاق الرابع الذى هو آخر ملوك الدولة الثـانية والعشرين وخـروج الإقليم القبلى عن طاعتـه وانسلاخ الكثيـر من ملحقـات مصر كـالشام وغيـرها عن حكومته وانزوائه فـى مدينة منف واستقلاله بحكم الإقليم البـحرى إلى أن مات وظهر بعد موته التنيسـيون، فاستولوا على الإقليم البحـرى أوّلاً وأوّل ملوكهم (بدوسابست) الذى يسمـيه مانيطون المؤرخ (بتوباستيس) فجعل هذا الملك قاعدة مملكته مدينة بسطة، ولما استقر به الملك أخذ فى تقوية مملكته وما زال حتى نزع طيبة من أيدى الايتيـوبيين وضمها إلى ملكه فعظمت شوكته وهابه أبناء جنسه وغيرهم، وطالت أيامه فحكم أربعين سنة لم يغفل فيها عن أعدائه ولم يخفض لهم جناحاً ثم مات فقام بالأمر بعده (أوسورخون الثالث) فجعل مقـره طيبـة وتنيس وحافظ على مملكتـه من الأعداء، وبالغ فى ذلك ومـات بعد أن

حكم تسع سنين فقام بالأمر بعده (بسامـوت) الملقب (أوسر رع استبن بتاح بيموت) وجعل تخت مملكته مدينة منف واتبع طريق أسلافه فى اليقظة والمحافظة على مملكته ومات بعـد أن حكم عشـر سنين. ثم قام بالأمـر بعده (دت) وهو آخـر ملوك هذه العائلة، فحكم إحدى وثلاثين سنة حـسب ما قاله مانيطون، قال بعض المـؤرخين: وكان عـصر هذه الدولة عصر مـحن وإحن وانقسمت فى أيامـها مصر إلى عـشرين ولاية فكانت كل ولاية تشتمل على عدة بلاد وجملة أقسام وعليها أمير مخصوص، واستمرت على هذه الحـال مدة إلى أن ظهر جماعة من صا الحـجر بالإقليم البحرى فنهـضوا إلى نزع الحكومـة من أيدى هؤلاء الرؤسـاء، وقد كـانوا أضعـفوها بسـوء تدبيـرهم، وما زالوا حـتى تم لهم الأمر ثم أرادوا أن يؤسـسوا عـائلة جديدة تـقوم بحكم البلاد وتدبير سياستها فعاكسهم الدهر أياماً وقام لمعارضتهم أولئك الرؤساء ثم لم يلبثـوا أن عجزوا عن مـقاومة الصـاويين وأعيـتهم الحيلة فى أمـرهم فاستـعانوا بالايتيوبيين فطمع الايتيوبيون فى حكومـة البلاد واستولوا على الإقليم القبلى وقاموا على الصـاويين يريدون إرجاعـهم عن عـزمهم فلم يقـدروا واستـمرت الحـال بين الفريقـين على ما هى عليـه إلى أن ظهر رجل اسـمه (تفنخت) فركب عـلى طائفة الايتيوبيين وردعهم وأسكن الفتنة، ولم يلبث أن ظهروا عليه وهزموه شر هزيمة فعاد إلى مصالحتـهم والاتفاق معهم على توليته حكم البـلاد تحت إمرتهم فولوه، فأسس الملك للعائلة الرابعـة والعشرين وكان هو رأسـها وعدد ملوكها خـمسة كمـا سيأتى بيانهم.

(الفصل السابع)

(فى ملوك الدولة الرابعة والعشرين الصاوية)

كان مبدأ ظهـور هذه الدولة سنة إحدى وعشرين وسبعـمائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وألـف قبل الهجرة، وكانت تخت حكمها مـدينة صا الحجر التى كـانت من أشـهر مـدن الديار المصـرية فى ذلك الحين. ولـذلك كانت تعـرف بالدولة الصاوية. وقـيل: ولم يملك منها سوى ملك واحد أو اثنين أو خـمسة وهو أصح على ما رواه مانيطون المؤرخ وسنو ملكهم ست. وقـيل إحدى وعشرون سنة، وقيل أربع وأربعون ولم يذكر أصحاب التاريخ سوى مآثر اثنين منهم وهما (تفنخت) الذى يقال له أيضاً (تخناتس) رأس هذه العـائلة وابنه الملك (باكوريس) الملقب (بوح كـارع) وتركوا أخبـار الشـلاثة الأخر لاتفـاق وقـائعـهم مع وقائع وأخبـار الملوك

الايتيوبيين، وهم ملوك الدولة الخامسة والعشرين السودانية الذين تغلبوا على بلاد مصر ونزعوا حكمها من يد الدولة الصاوية هذه.

(في الملك تفنخت)
(الذي يسمي أيضاً)
(تخناتس)

ذكرنا فيما تقدم أن مصر إلى ذلك الحين كانت منقسمة إلى عشرين ولاية صغيرة وكان على كل ولاية منها ملك أو أمير مستقل بحكمها، ولكنه يخشى إغارة جاره على ولايته ولذلك كان بعضهم لبعض عدوّا فحصن كل أمير ولايته وأكثر فيها من القلاع والحصون والرجال ومعدات القتال، وكان أكثر جندهم من المشواشيين وغيرهم من الأجانب. وقد ملؤوا أرض مصر من الحصون والمعاقل على الآكام وضفاف النيل والجزر والبحيرات وغير ذلك وكان الملك (تفنخت) هذا حاكماً على مدينة (نتر) التى يقال لها باللغة القبطية (منوتى) المجاورة لمدينة (كانوب) على بحر رشيد فتاقت نفسه إلى الملك وطمعت فيه فركب بقومه لقتال أقرب الولايات إليه وما زال حتى انتصر على ملكها في عدة مواقع، ولما كثرت جموعه واشتد أزره بهم. قام لقتال بقية الملوك وقاموا لقتاله فاشتدّت الحرب بينهم وكادوا يوقفونه غند حده، ثم ضارت بينهم سجالاً إلى أن قويت شوكته فتغلب عليهم وظفر بهم وأخذ منهم قسم صا الحجر وقسم اتريب وقسم ليبيا وقسم منف ولم يتعرض للتنيسيين الذين هم بقية عائلة الملوك التنيسية الحاكمين على جميع البلاد شرقى الدلتا ثم سار بجيوشه إلى الصعيد فأذعن له بعض أمرائه بالرضا والتسليم وبعضهم بالقهر والغلبة، وما زال حتى وصل قسم أرمنت واستولى عليه وضرب الضرائب على قسم اهناس الجنوبية، وكانت هذه الأصقاع تابعة (لبعنخى) ملك الايتيوبيا فلما بلغ (بعنخى) خبر زحف (تفنخت) المذكور ركب لقتاله واقتتل الفريقان قتالاً شديداً للغاية فانتصر (بعنخى) ملك الأيتيوبيا على (تفنخت) نصراً مبيناً ، قال صاحب العقد الثمين: ونقش ذلك على حجر وجد بجبل برقل ونقل منه إلى متحف بولاق وهذا نص نقوشه التى ترجمها ده روچيه.

(فى غرة توت) سنة إحدى وعشرين من حكم ملك الوجه القبلي والبحرى (بعنخى) ميامون خلد ذكره صدر أمر منه بما نصه: اسمعوا ما فعلته زيادة عن أجدادى أنا الملك المخرج من سلالة مقدسة النائب عن المعبود (توم) اشتهرت بأنى

ملك منذ خروجي من ظلمة الأحشاء واحترمني الأمراء... وميزتني والدتي بسيما الملك من صغري أنا المقدس الطيب محبوب المعبودات ابن الشمس (بعنخي ميامون) لما بلغني أن (تفنخت) أمير الجنوب الحاكم الأكبر في مدينة(نتر) تملك على... (قسم اكسوئيتس) وعلى مدينة (حعب...) وعلى مدينة (عين) وعلى مدينة (بنوب) المسماة باليونانية (مومنفيتس) وعلى مدينة (منف) واستولى على جهة الغرب من أول بلاد البحيرات أعني (بوتو) إلى الحدود الفاصلة بين الصعيد والبحيرة، وسار نحو الجنوب بجيش جرار واجتمع معه سكان الإقليمين، وأطاعته الأمراء وأعيان البلاد، وصاروا تحت رجليه أذلة كالكلاب ولم يغلق دونه حصن في الأقسام الجنوبية وسلمت له مدينة (ميدوم)، (وبيسخم خبر رع)، (والبهنسة)، و(نكاناش) وباقي المدن التي في الجهة الغربية خوفاً منه ورجع إلى أقسام الجهة الشرقية ففتحت له البلاد وهي: (حابنو)، (وتايوحاي)، (وأطفيح) وزحف متقدّمًا إلى أن حاصر مدينة اهناس الجنوبية حصاراً تاماً من كل جهة ومنع الناس عن الدخول فيها والخروج منها واستمر في قتالها حتى غلبها، وأبقى الأمراء الذين اعترفوا له بالسيادة في أقسامهم وأباح لهم الحكم على البلاد كما كانوا عظموه بما يستحقه لذكاء عقله، فانشرح فؤاده.
قال: (بعنخي) وكانت تأتيني الرسل كل يوم من قبل الأمراء وقواد الجيوش سائلة عن سبب سكوتي وعدم مدافعتي عن بلاد وأقسام الوجه القبلي ومخبرة لي بأن (تفنخت) أخذها ولم يعارضه أحد وأن النمزوذ رئيس الأشمونين وأمير (جاور) أي (مجالوپوليس) هدم حصون (نفروس) ودمر المدينة مخافة أن يأخذها (تفنخت) ثم التجأ إلى مدينة أخرى فاقتفى (تفنخت) أثره، فاضطر إلى الخروج عن حزبي والانضمام إليه وصار من جملة رعاياه، وأعطاه قسم اهناس الجنوبية وكافأه وغمره بجميع ما تمناه من الخيرات. فعند ذلك أرسلت إلى قوادي وضباط عساكري الذين كانوا في مصر بطيبة وهم (بورم)، (ولامر سكاني). وغيرهم من بقية ضباطي المقيمين بالجهات المصرية أن يستعدوا لقتاله ويسلبوا رجاله ومواشيه وسفنه التي في النيل. ويمنعوا العمال عن الخروج إلى الغيطان والزراع عن الزرع ويحاصروا مدينة أرمنت ويهجموا عليها هجوماً متوالياً فذهبوا إلى حيث أمرتهم وأمددتهم بجنود أرسلتها إليهم ونصحتهم بنصائح عديدة قبل توجههم إلى القتال بقولي لا تهجموا أثناء الليل هجوم المتلاعبين بل اهجموا متى رأيتم أنه أعد جيوشه وخيوله للمسير إليكم، وإذا قيل لكم أنه جمع مشاته وخيالته في مدينة أخرى فاثبتوا في مكانكم إلى أن تأتي إليكم جنوده وقاتلوهم واهجموا عليه متى قيل لكم أنه نزل بجيوشه في

أية مدينة وانضم إليـه الرجال الذين أحضرهم لإعانتـه من رؤساء التهانيين وعـساكر الوجه البحرى، أو متى نظم هيئة القتال على النمط القديم لأننا لا نعلم ما يريده من تشكيل عساكره المشـاة وفرسانه الكماة وإذا اشتبكت الحـرب فاعلموا أن (أمون) هو المعبود الذى أرسلنا إليهم، وإذا وصلتم إلى قسم (أوس) أمـام مدينة طيبة فانزلوا فى النيل وطهروا أنفـسكم منه وألبسوا مـلابس الأعياد فى ساحل (تب) وضـعوا عنكم القسى والسهم ولا يتعرض رئيس منكم إلى (أمـون) صاحب الشجاعة. إذ بدونه لا يكون لفارسكم قوة لأنه يجبر الذراع الكسير ويفنى العدد الكثير وينصر الواحد على الألوف واغتسلوا فى مياه معابده واسجدوا له وقولوا ثبت أفئدتنا على الحق لنحارب فى ظل سـيفك لأن المقـاتلين الذين ترسلهم يبددون الألوف، فـعند ذلك تواضـعوا أمامى قائلين اسمك سيفنا وعملك مرشد لجـيوشنا وخبزك فى جسمنا حيثما نذهب ومشروباتك تطفـىء ظمأنا وشجاعتك سـلاحنا والنصر مقرون باسـمك، وحاشا أن يثبت جيش رئيسـه معتد باغ فمن يشابهك أيها الملك المنصور الفـعال بنفسك الآمر بالحرب وبعد ذلك انحدروا فى النيل إلى أن وصلوا طيبة، ففعلوا كل ما أوصاهم به ملكهم، ثم زحفـوا منها منحدرين أيضاً فى النيل فـقابلتهم سفن حـربية سائرة إلى الجنوب مشـحونة من الوجـه البحرى بالمـلاحين والجنود والضبـاط الماهرين المدربين وكان مـجيئهم لمحـاربة جيش الملك (بعنخى) فـحاربهم رجال الملك المذكـور وقتلوا منهم جمًّا غفـيراً وأسروا باقى عساكرهم وسفنهم وأرسلوهم أحيـاء إلى محل إقامة الملك (بعنخى) ثم ساروا قـاصدين مدينة اهناس الجنوبيـة لمحاربة أهلها فـبلغ أمرهم إلى أمراء مركز الصعيد وهـم النمروذ والملك (وابوت)، (وششنق) ملك المشواشيين بمدينة أبى صير (وتتـا مناوف عنخ) ملك المشواشيين الأكـبر بمدينة تمى الأمديد وابنه البكرى قائد الجيـوش فى (باتوت ابرححو)، (وبوكوتفى) ولى الـعهد وجنوده وابنه البكرى (نس نقدى) رئيس المشواشيين فى قسم اتريب وجميع الأمراء المتوجين بريشة الوجه البـحرى (وأوسـوركون) أميـر مدينة بسطة ومـدينة (رع نفر) وجـميع أعـيان ورؤساء وحكام الأقسام الغربية والشرقية والبلاد الوسطى، وكانوا كلهم متفقين على رأى واحد وهو اتباع (تفنخت) رئيس الوجه القبلى الأكـبر الحاكم على أقسام الوجه البحرى كاهن المعـبودة (نيت) سيدة صا الحجر وكاهن (بتاح) فـقدمت عليهم رجال (بعنخى) وأوقعوا بهـم القتل الشديد، وأخذوا سفنهم من النيل ومـن بقى منهم عبر النهر، وأقام جـهة الغرب فى محل يدعى (بابيك) وفى صبـاح اليوم الثانى من تلك الواقعة اجتـاز جيش (بعنخى) النيل مقتفياً أثرهم فـأدركهم واختلطت الجنود بالجنود

وقتلوا كثيراً من رجالهم وخيولهم وحصل للباقين منهم رعب شديد فهربوا إلى الوجه البحرى منهزمين شر هزيمة. قال المترجم: ولم نقف على خسائرهم لكسرحصل فى الحجر. قال: ولما سمع النمروذ جنود الملك (بعنخى) شارعة فى أخذ بلدة أرمنت جمع من كان معه من رجاله وخيوله ورجع إليها وتحصن بها وكانت وقتئذ جيوش (بعنخى) مصطفة على النهر بساحل قسم أرمنت، فبلغهم رجوع النمروذ إلى بلده فحاصروها من جهاتها الأربع، ومنعوا الناس من الدخول إليها والخروج منها، وأرسلوا مكتوباً إلى الملك (بعنخى ميامون) يحتوى على أسماء من قتلوه من الأعداء فعند تلاوته اغتاظ وتلون كالنمر. وقال: لئن تركوا باقى جيوش الوجه البحرى أحياء أو مكنوا أحداً منهم من الهرب لمقابلة فرقته ولم يقتلوهم جميعاً وقت هزيمتهم فبحياتى وبحق المعبود (رع) وبحق أبى (أمون) لأقاتلن بنفسى وأهدمنّ جميع ما حصنه أهل الوجه البحرى وأحرمنهم نزول القتال ولكن يلزمنى قبل ذلك أن أعمل موسم رأس السنة بجبل برقل وأقدم القربان لأبى (أمون) يوم موسمه العظيم الذى يتجلى فيه بالظهور عند حلول السنة الجديدة وأتوجه إلى طيبة لمشاهدته هناك فى موسمه العظيم وأخرج صورته فيها ليلة موسمه الجليل الطيبى الذى قرره له المعبود (رع) من قديم الزمان ثم أرجعه إلى معبده وأجلسه على تخته ثانى يوم هاتور المعد لدخوله فى المعبد. وبعد ذلك أذيق الوجه البحرى طعم سطواتى. ولما بلغ عساكره الذين كانوا بمصر أنه غضب عليهم توجهوا لقتال مدينة(واب) فى قسم (أوكسرنحوس) فأخذوها كموجة الماء المتطايرة وأرسلوا يخبرون ملكهم بذلك، فلم يسكن غضبه، ثم هجموا على (تهنى) وكانت مدينة حصينة فوجدوها غاصة برجال الوجه البحرى فعملوا متاريس حولها وهدموا أسوارها وأوقعوا القتل فى أهلها، ولم يعلم مقدار من قتل منهم إلا أنه كان فى زمرة القتلى ابن (تفنخت) أمير المشواشيين فأرسلوا يخبرون الملك بذلك فلم يسكن غضبه، فهجموا على (حيينو) وفتحوا أبوابها ودخلوا فيها وأرسلوا يبشرونه بذلك، فلم يسكن غضبه أيضاً فلما كان اليوم التاسع من شهر توت أتى (بعنخى) من بلاده إلى طيبة وعمل فيها موسم (أمون) السنوى المعتاد ثم توجه منها إلى أرمنت وخرج من مقعد سفينته ووضع النير على خيوله وركب عرباته فانتشر الفزع منه فى قلوب الناس إلى أقصى بلاد آسية. ثم برز للقتال وهجم على الأعداء وزأر عليهم كالأسد. وقال لهم: إذا ثابرتم على القتال أخرتم أوامرى بالعفو عنكم، وإن عزمتم على العصيان أذقت الوجه البحرى فزعاتى، فلم يسمعوا قوله فهزمتهم فرسانه شر

هزيمة ووضع معسكره فى الجهة القبلية الغربية من أرمنت وأخذ فى الهجوم عليها كل يوم وعمل متاريس من تراب لتحجب عنهم ما يأتى من أسوارها ووضع سلالم للارتقاء إليها ففوقت عليها الرماة سهامهم وألقى فيها الملقون أحجارهم واستمروا على قتال أهلها مدة ثلاثة أيام حتى فسد هواؤها وحرم أهلها استنشاق الهواء، فسلمت أرمنت عند ذلك مستغيثة بالملك وخرج منها رسل النمروذ حاملين من الأشياء العظيمة ما يسر الناظر كالذهب والحجارة النفيسة وأقمشة البسوس قائلين: لقد ظهر الملك وتاج الثعبان على رأسه وغيظه مكظوم، ولم نلبث إلا أياماً حتى أطعنا تاجه، فأرسل النمروذ امرأته بنت الملك (مستنت مح) لترجو زوجات الملك (بعنخى) وجواريه وبناته وأخواته (فى العفو عنهم) فسجدت أمام زوجات الملك فى القصر قائلة: أيتها الزوجات وبنات الملك وأخواته أغثننى وسكنّ غضب الملك صاحب القصر فما أكبر سطوته وما أعظم عدالته.

* سقط من الأصل خمسة عشر سطراً لكسر حصل فى الحجر

قال الراوى: فقال (بعنخى) للنمروذ :لقد سددت طريق الحياة على نفسك. فقال النمروذ: لو كنت صعدت نحو السماء كالسهم لأدركتنى، وكيف لا وقد غلبت بلاد الجنوب وأطاعتك بلاد الشمال فهل لنا أن نستظل بظلك فقد أفنى بأسك جميع رجالى فلا أب يرى مع ابنه حتى امتلأت البلاد بالأطفال ثم تواضع أمام جلالة الملك. وقال: لقد جعلتنى سطوتك فى هذا الحال فأنا أحد عبيدك الذين يدفعون الجزية لخزينتك فاحسب جزياتهم وأنا أعطيك أكثر منهم، ثم بادر بتقديم الفضة والذهب واللازورد والزبرجد والحديد والأحجار النفيسة المتنوعة بمقدار وافر حتى ملأ خزينة الملك بجزيته وأحضر حصاناً بيده اليمنى وآلة موسيقية مصوغة من الذهب واللازورد بيده اليسرى، فخرج الملك عند ذلك من قصره وتوجه إلى معبد (هرمس) سيد أرمنت وإلى هيكل المعبودات الثمانية المسمى باسمهم فأظهر له جنود قسم أرمنت الفرح. وقال له الكهنة: ما أعظم الملك (بعنخى) سلالة الشمس لقد جئت فى مدينتك فنرجوك ياحامى حوزة أرمنت أن تعمل لنا عيداً احتفاء بقدومك، فتوجه عند ذلك إلى المدينة ودخل قصر النمروذ وطاف على جميع حجراته وعاين الخزينة والمخازن وأمر بإحضار زوجات وبنات النمروذ، فأتين متواضعات لجلالته حسبما تعلم النساء من شئون التواضع، إلا أن الملك أعرض بوجهه عنهن ثم توجه إلى اصطبل الخيول وبيت المهارى فرأى أنهم كانوا تاركيها من غير أكل فأقسم بحياته وحق (رع) الذى يمنحه أنفاس الحياة الجديدة قائلاً: إن مجاعة خيولى أقبح ذنب فى

الذنوب التى فعلتها أيها النمروذ. فقال النمروذ: لا تغير قلبك بالغضب، سأخبر أيها السيد الخدم بغيظك المتسبب عن مجاعة خيولك. فقال (بعنخى): هل كنت تظن أنك تنسى ظل وجهى المقدس وأنهم يفرون من قوتى ولو كان إنسان غير معلوم عندى وفعل مثل ذلك لما سامحته أما يعلمون إنى مذ ظلمة الأحشاء خرجت من بيضة مقدسة ومنحنى المعبود جوهره فكان جسمى من جسمه فلا أفعل شيئاً دونه فهو الذى يرشد أعمالى ، ثم وهب أموال أرمنت وما فى مخازنها لخزينة وأملاك (أمون رع) ساكن طيبة ثم جاءه ملك اهناس المدعو (بنابسط) بهدايا من ذهب وفضة وأحجار نفيسة ونجائب من خيول اصطبله وسجد أمامه قائلاً: السلام عليك أيها الملك الحاكم المنصور الثور الذى يبطش بالثيران. لقد كنت فى مكان سحيق تغشانى الظلمة وقد أضاء لى النور بعد الظلمات ولم أجد يوم الشدّة من يساعدنى فى القتال سواك أنت المنصور الذى أبدّت الظلمات عنى أنا عبدك ولك جميع ما أملكه وتدفع أهل اهناس الجزية لك فانظر كيف وضعنا تمثال (حورمخى) فوق تماثيل الكواكب. وكانت منزلتك عندنا كمنزلته، وكما لم ننقص قدره كذا لم ننقص قدرك أنت الملك (بعنخى) مخلد الذكر ثم توجه إلى (أين) إلى مكان يسمى (روهن) فوجد مدينة (براخم خبرع) أسوارها مرتفعة وأبوابها مغلقة وكانت ممتلئة بأبطال الوجه البحرى فأرسل يقول لهم: أيها المقيمون فى الموت الضعفاء المحقرون أنتم أيها المقيمون فى الموت لئن تأخرتم عن فتح المدينة لترون مايحل بكم من القتل ولو كان يشق على فلا تغلقوا عليكم الأبواب التى افتتحها لنجاتكم من ضيق هذا اليوم، ولا تفضلوا الموت وتكرهوا الحياة بين الناس...

فأرسلوا يقولون له: حيث إن ظل المعبود على رأسك وأن ابن (نوت) أعانك بيده وكل ما رغبته كان مقضياً لك فى وقته ما كأنه إلا صادر من فم معبود وكيف لا وأنت ابن معبود كما نرى ذلك من أفعالك فالمدينة وأسوارها طوع يدك وأذن لنا بالدخول والخروج فأذن لهم بما تمنوه فخرجوا ومعهم ابن (تفنخت) رئيس المشواشيين ودخلت جنود (بعنخى) المدينة ولم يقتلوا أحدا من الناس الذين كانوا بها، وأرسل فى الحال (بعنخى) أمناء خزائنه ليختموا خزائن صكوك تلك المدينة، ثم أحصى بنفسه ما فى خزائنها وأشوانها وتطوع به لقرابين أبيه (أمون) ثم توجه إلى مدينة (ماريتوم) مسكن (سوكارى) صاحب النور فوجدها مغلقة الأبواب، ولما وصل إليها اضطربت قلوب أهلها مما حصل لهم من الرعب والفزع الذى أخرس ألسنتهم فأرسل يقول لهم: اختاروا أحد أمرين. إما أن تفتحوا الأبواب فتنجوا بحياتكم وإلا فتموتون لأنى لا أمر بمدينة مقفلة ففتحوا له أبواب المدينة فى الحال ودخلها وقدم

قرباناً إلى (منهى) فى مدينة (شات) وحصر الخزينة والأشوان وأعدها لقرابين (أمون) ثم توجه إلى مدينة (تاتوى) فوجد أسوارها مقفلة وحصونها مملوءة بأبطال الصعيد ولكنهم فتحوا أبوابها له وتواضعوا أمامه قائلين: أن أباك أورثك السيادة على الإقليمين فستملكهما وتكون السيد الحاكم على الدنيا ولما مر الملك بالمدينة قدم لمعبوداتها قرباناً عظيماً من ثيران وعجول وإوز ومن جميع الأشياء العظيمة وحصر خزائنها وأضافها إلى خزائنه ووهب ما فيها لقرابين (أمون) ولما قرب من منف أرسل يقول لسكانها لا تغلقوا أبوابكم ولا تحاربوا أيها الناس القاطنون فى المدينة لأنى سأدخل وأخرج بدون إساءة أحد كالمعبود (شو) الذى كان موجوداً فى القرون الأولى، وإن لم تتعرضوا لى فإنى أتقرب بقربان (لبتاح) ولمعبودات منف وأؤدى فى معبد (شيتى) الصلاة (لسكارى) وأشاهد (بتاح) وأذهب بسلام وأرأف بمنف وتنجوا من كل غائلة تبكى أولاد كم واعتبروا بسكان الوجه القبلى فإنه لم يقتل منهم أحد سوى الذين أغضبوا المعبود ولم يصب العقاب إلا من طغى، فلم يسمعوا لقوله وأغلقوا أبوابهم دونه وأخرجوا منهم عساكر تقاتل فرقة من رجاله مؤلفة من شغالة ورؤساء عمارة وملاحين وكان ذلك على ساحل منف ، أما ما كان من أمر (تفنخت) أمير صا الحجر فإنه أتى إلى منف أثناء الليل. وقال مرارا لجنوده وملاحيه وجميع قواده وكانوا ثمانمائة ألف رجل إن منف صارت مستقر أعظم جنود الوجه البحرى والأشوان غاصة بالشعير والقمح وأنواع الحبوب وجميع عدد الأشغال... والسور مبنى والطابية الكبيرة محكمة حسب قوانين الحرب، والنهر محيط بشرقى المدينة ولا يجد العدوّ نقطة للهجوم منها عليكم، وأنتم تعلمون أن مراعينا مملوءة بالمواشى وخزانتى غاصة بأنواع الفضة والذهب والنحاس والملبوسات والعطريات والعسل فسأذهب وأعطى جميع ذلك لأمراء الوجه البحرى وأفتح لهم أقسامهم، فدافعوا عن أنفسكم إلى أن أعود إليكم. فلما تم قوله ركب جواده لكونه أسرع من عربته. وذهب إلى الوجه البحرى خائفاً من الملك (بعنخى) ولما كان اليوم الثانى صباحاً قرب الملك (بعنخى) من منف ورسا على جهتها الشمالية فوجد الماء مرتفعاً إلى أسوارها والسفن راسية على سواحلها وتأملها فرآها محصنة منيعة لها سور مرتفع قد بنى جديداً واستحكامات قوية، ولم يجد فيها منفذا للهجوم عليها فتداولت فى شأنها رجاله بما تقتضيه أصول الحرب. وقالوا: إن الهجوم عليها أولى... ولكن نرى جنودها مستعدة فاستحسنوا رأياً آخر. وقالوا: نجمع كثباناً مساوية لارتفاع سورها ونضع عليها سلالم وننصب حولها السوارى وعروق الخشب

الطويلة ونضع فى محيطها متاريس من تراب للتمكن منها، وبعد رفع الأرض بارتفاع سورها نجد لنا سبيلاً للاستيلاء عليها، ولكن تلون ملكهم (بعنخى) تلون النمر. وقال وحياتى وحق المعبود (رع) وأبى (أمون) أنا أعلم أن ما حصل فى هذه المدينة من تحصين وغيزه هو بأمر (أمون) أما سمعتم كلام سكان الوجه القبلى الذين فتحوا (لأمون) الطريق رغم أنفهم لكونهم لم يذكروه فى قلوبهم ولم يعرفوا قدر أوامره فخذلهم ليبين لهم قوته ويريهم هيبته فسآخذ هذه المدينة كريح عاصف بأمر (أمون) وفى الحال أمر قواده بتقريب سفنه ومراكبه وجنوده ليهجم على منف من جهة الساحل فأحضروا امتثالاً لأوامره جميع السفن والرواميس ومراكب النقل التى يمكنها المرسى على سواحل منف، وربطوا مقدمات السفن فى بيوت المدينة، ولم يشعر أحد بهم ولم ينزعج طفل من أطفالهم ثم أتى الملك ليسير السفن بنفسه وأمر رجاله بالهجوم على المدينة والإحداق بسورها والدخول فى بيوتها من النهر. وقال لهم: إذا تسور أحدكم سورها فلا يقف فى محله ولا تقاتلوا الرؤساء الذين يستسلمون لكم لأن هذا مذموم لا سيما وقد حاصرنا الآن الوجه القبلى، وقربنا من الوجه البحرى وصرنا فى وسط الإقليمين وبهذا التدبير أخذ منف كريح عاصف وقتل منها خلقاً كثيراً وأحضر بين يديه أسراها، ولما كان اليوم الثانى من هذه الواقعة أرسل جماعة يحافظون على المعابد ثم توجه بنفسه إلى هيكل معبودات منف، وقدم لهم قرباناً من المشروبات، وطهر المدينة بالنطرون والبخور وأرجع الكهنة إلى أماكنهم ثم توجه إلى معبد (بتاح) وتطهر ببابه وعمل مهرجان المملكة، ولما دخل فى المعبد قدم لأبيه (بتاح رسبتيف) قرباناً عظيماً من ثيران وعجول وأوز وغير ذلك من الأشياء النفيسة ثم دخل قصرها الملوكى وبلغه أن جميع البلاد التى فى ضواحى منف وهى (حريبديمى)، (وبنينافوعع)، (وببوخن نبيو)، (وتاوحيبى) فتحت أبوابها وهربت رجالها ولم يعلموا أين المفر. ثم إن الملك (وابوت) وأمير المشواشيين (موكانشو) والأمير (بتيسيس) وجميع رؤساء الوجه البحرى أتوا بجزيتهم راجين أن يؤذن لهم باجتلاء أنوار الملك (بعنخى) وبعد ذلك تطوّع الملك (بعنخى) بخزينة وأشوان منف لقربانات (أمون)، (وبتاح) وباقى معبودات (حكابتاح). وفى اليوم الثانى توجه إلى الجهة الشرقية، وتقرب إلى (توم) فى مدينة (حزاو) وإلى معبوداتها فى هياكلهم. وإلى معبودات مدينة (امساح) بقربان من ثيران وعجول وأوز راجياً أن يمنحوه السعادة، ثم توجه نحو المطرية من جهة (خر) وقصد طريق المعبود (سب) من جهة (خر) ومر بالمعسكر الذى كان فى جنوبى مدينة (مرتى) وقدّم قرباناً

لمعبوداتها، وتطهر فى المنبع الرطب وغسل وجهه من ماء (نو) حيثما تغسل الشمس وجهها ثم مر نحو (شيوكامان) وتقرب الشمس وقت شروقها بقربان من ثيران بيض ولبن وعطريات وبخور. وغير ذلك من أنواع الأخشاب ذات الرائحة الذكية ثم قصد معبد الشمس ودخله، وصلى فيه مرتين وطلب له الكاهن الأكبر من المعبود أن يهزم أعداءه، وبعد ذلك صلى الملك صلاة الباب ، قال المترجم: وهى صلاة مخصوصة عندهم ، وكسا الضريح وتبخر بالبخور، وتقرب للمعبود بمشروب، وأحضر له أزهار (الحبنبن) وهى المزروعة فى المعبد ليستخرج له منها العطر ثم ارتقى على الدرجات نحو الشباك الكبير لينظر الشمس فى ضريحها واختلى وحده ورفع المتراس وفتح الأبواب ونظر الشمس فى ضريحها وعظم السفينة المقدسة المعلقة فى مقام (رع وتوم) ثم أقفل الأبواب ووضع عليها طين ابليز وختم فوقه بالختم الملوكى. وقال للكاهن إنى وضعت ختماً فلا يجوز لأى ملك من الملوك أتى هنا أن يدخل فى هذا المحل فتواضع أمامه الكهنة قائلين: سيبقى هذا الختم محفوظاً مباركاً ولا يحصل له أدنى ضرر أيها الملك الحاكم محب المطرية، ثم استعد بعد ذلك للدخول فى معبد (توم) أدى فيه صلوات (انتا) لأبيه (توم خبرع) سيد المطرية وفى أثناء ذلك أتى (اسربون) إلى المطرية ليجتلى أنوار الملك (بعنخى) ولما كان اليوم الثانى توجه الملك (بعنخى) إلى الساحل الذى فيه سفنه، وسار منه إلى ساحل قسم اتريب وضرب خيمته فى جنوب مدينة (كهانى) التى كانت فى الجهة الشرقية من هذا القسم، فأتاه ملوك ورؤساء الوجه البحرى وجميع الأمراء والأعيان المتازين بوضع الريش والظلل على رؤوسهم ومعهم أمراء وأولاد ملوك الوجه القبلى والبحرى والجهات الوسطى ليشاهدوا أنوار جلالته وبعد مثولهم بين يديه، تواضع الأمير (بتيسيس) لعظمته . وقال شرف أيها الملك قسم اتريب حفظتك المعبودة (خونت) لترى المعبود (ختتى خاتى) أى (حور) وقدم له فى معبده قرباناً من ثيران وعجول وأوز وادخل قصرى وافتح خزانتى وتصرف فى جميع ما يكون لأبى وسأعطيك من النفائس فوق ما ترغب من الذهب والزبرجد ومن الخيول أعظم ما فى اصطبلاتى فتوجه الملك أولاً إلى معبد (ختتى خاتى) سيد مدينة(كامور) وتقرب إليه بثيران وعجول وأوز، ثم توجه إلى قصر الأمير (بتيسيس) فقدم إليه هذا الأمير فضة وذهباً ولازوردا وزبرجدا. وغير ذلك من الملابس الملوكية والسرر المغطاة بالأقمشة الرفيعة ومقدارا عظيماً من عطر (انتا) وزيتا طيباً فى أوعية وخيلاً وأفراساً من أعظم خيول اصطبلاته، وحلف الأمير (بتيسيس) أمام ملوك ورؤساء الوجه البحرى. قائلاً: إن كل من خبأ خيوله وأخفى شيئاً مما يملكه فلابد من موته وإلحاقه بأبيه. وقد حذرتكم

لتمتنعـوا من إخفاء شيء من أموالكم وإن كنتم تعلمون أنى لم أظهر شـيئاً مما أملكه فأخبروا الملك بما أخفيته فى بيتى إن كـان ذهباً أو فضة أو أحجاراً نفيسة أو أوانى أو أسـاور أو عقـود ذهـب أو عقـودا مرصعـة بالحـجـارة النفيسة أو حلياً أو تيجاناً أو حلقاناً أو زينة مـلوكية أو من أوان من ذهب للغسـل أو حجارة نفـيسة سـوى ما قدمـته إليه من الأقـمشة والملابس والنفـائس التى فى قصـرى وعلمت أنها تعجـبه وأرجوك أيها الملك أن تمر باصطبلى وتـختار ما يوافقك من الخيـول فقبل ذلك الملك منه وأمـضاه الملوك والـرؤساء وقـالوا نحن أيضـاً نذهب إلى مدننا ونـفتح خـزائننا وننتخب منها مـا يعجبك من أعظم ما فى اصطبلاتنا من نجائب الخـيل فأجابهم إلى ذلك وانصرفـوا وكان هؤلاء الملوك هم (اساركون) ملك مـدينتى (بسطة ورع نفر)، (ووابوت)، (تنتـرينو وتاعـان)، (وتاتا من اف عـنخ) رئيس مـدينتى (تمى الامـديد وتارع)، (وعنخ حور) رئيس العساكر فى (بـاتوت ابيرجح)، (وموكانشو) بنوتس)، (وباحبى)، (وسمهور)، (وبتنف) رئيس المشواشيين الأكبر (بسوبتى)، (وابن سوبتى حز)، (وبحـو) رئيس المشواشـيين الأكبر فى نيـر (وناسنا كاتى) رئيس المشواشـيين الأكبر فى قسم (حسب) ولعله قـسم (نس)، (ونخت حورناسنو) رئيس المشواشيين الأكبر فى قسم (باور) رئيس المشواشييه (وبنتابوخن) رئيس المشواشيين وكاهن (حور) بمدينة (سـخم ستوحـارسـتـمو)، (وحـوربسا) رئيس قـسمى (باسخت بـنت سا)، (اسخت نسبـرا حساوى)، (وتخيو) رئيس (ختنـينفر)، (وبابس) رئيس (وبحايى).
قال الراوى ثم أتو بهـداياهم العظيمـة وكانت... من ذهب وفضـة وسرر بالأقمـشة الرفيعـة وعطر فى أوعية وغير ذلك من الهـدايا العظيمة كالخيـول ونحوها ولما قالوا للملك (بعنخى) أن رئيس مدينة (مسى) أغلق سورها خوفـاً منك وأحرق بيته وتهيأ للقتال على النهر وملأ مدينتـه بالجنود... فعند ذلك أرسل الملك فرسانه لينظروا ماذا حصل من عدو الأمير (بتيسيس) فرجعوا إليه قائلين: نحن قتلنا جميع الرجال الذين وجدناهم فى تلك المدينة فأعطى الملك أرضـها للأمير (بتيسـيس) ولما بلغ هذا الخبر (تفنخت) رئيس المشواشـيين أرسل (البعنخى) رسولاً يقول له: اكـظم غيظك. فإنى وجل من رؤيتك لعدم مقاومتى نار حربك وامتلأ قلبى بفزعك لأنك كمعبود الجنوب (نبتى) وكمعبود الشمال (مونت) الموصوف بالثور المنصور إن أردت شيئاً لم يعارضك أحـد فيـه أنا الآن وصلت جزائر البـحر خـشيـة من سطوتك ومن توبيـخك المؤلم وتعنيفك الموجع. أمـا يسكن خاطرك بما حـصل لى منك؟ ألا ترى أنى صرت الآن حقيراً؟ فلا توقعنى فى شرك ذنبى لأن دقة الميـزان تظهر الفروق الصغيرة فأسألك أن تضاعفها لى بالعفو منك واعلم أنـك إن بذرت بذورا حصدت محصولها عند حلول

وقتهـا ولا تخلع الساق حينما يكون مكللاً بالأزهار، ولقـد أوقعت الرعب فى قلبى وسرى فزعك فى سائر أعضائى حتى صـرت لا أستقر لحظة فى حانة المشروبات ولا أتناول سوى الخبز إذا اشتد جوعى والماء إذا اشتـد ظمئى ومذ بلغك اسمى بالعصيان ألم بجسـمى الفزع وتصدع رأسى وخلقت ثيابى، وقـد التجأت الآن لحمى المـعبودة (نيت) فأتنى وانظر بوجـهك نحوى وإن جحدت ذنبى أفـلا يعفو السيـد عن خادمه وخذ لخزانتك جمـيع ما أملكه من ذهب وحجارة نفيسة وأجـود ما فى خيلى المعدّدة بعددها وأتمنى عليك قدوم رسول من عندك ليزيل الرعب من قلبى وأذهب معه عند المعبود وأحلف يمـيناً أمامه بعدم العود فـأرسل الملك إليه (بتامنستـو) الكاهن الأكبر ومعـه (بوارما) رئيس الجيوش فـأعطاهما (تفنخت) فـضة وذهباً وملابس وحـجارة نفيسـة متنوعة ثم توّجه مـعهما عند المعـبود وتاب إليه وحلف يميناً مـقدسة بأنه لا يخالف أوامر الملك ولا يتعدى أقواله ولا يسىء رئيـساً من غير رضاه وأن يفعل طبق كلامه ويمـتثل أمره فرضى الملك بذلـك منه، وفى الحال جاءه البشـير يقول له: إن مدنية (نترحـانبو) فتحت أبوابها ومدينة(أفروديتـوبوليس) أذعنت لطاعتك ولا يوجد قسم من أقسام الجنوب والشمال والغـرب والشرق مغلقاً دون جلالتك؛ وأن الأقاليم الوسطى تواضعت خوفاً منك وأتاك أهلها بأموالهم، واعترفوا أنهم رعيتك، ولما كان اليوم الثانى صباحاً أتى ملكا الوجه القبلى وملكا الوجه البحرى وتاج الثعبان مضىء على جباههم ومعهم رؤساء الوجه البحرى ليقدموا تحيتهم للملك (بعنخى) ويتشرفوا بلقائه وكانت فـرائصهم ترتعد كفرائص النسـاء، فلم يؤذن لهم بالدخول لدى الملك لأنهم كـانوا مـدنسين بأكـل السمك المحـرم أكله فى مـحل الملوك، وإنما أذن فـقط للنمـروذ بالدخول فى قـصر الملك لكونه طـاهراً لم يأكل السمك المنهى عنـه. وأما الباقون فإنهم لبثوا وقوفاً على الأقدام من غير أن يؤذن لهم بالدخول وبعد ذلك أراد الملك (بعنخى) الرحيل إلى بلاده فـشحن سفنه بما أهدى إليـه من الذهب والنحاس والملابس والخيـرات الواردة إليه من الوجه الـبحرى ومن الشـام، ومن بلاد العرب، وسار فى النيل وقلبـه مسرور وأهل مملكتـه مستـبشرون به من الغـرب إلى الشرق، فكانوا يستـقبلونه مظهـرين السرور، وكان كلمـا حل فى جهة رفع أهلهـا أصواتهم بالفـرح قائلين: أيهـا الملك المنصور (بعـنخى) لقد أتيت وحكمت الوجـه البـحرى وصيرت رجاله أذلـة كالنساء وحل الفرح فى قلب أمك التى ولدتك فصـرت شهمًا وأعطاك (أمون) جـوهره فبـشرى لك أيتهـا البقرة التى ولدت ثـوراً كان له على مر الدهور ذكر مخلد وملك مؤيد. ألا وهو الملك المحب لقسم طيبة. انتهى.

وجعل الملك (بعنخى) مصر تابعة لمملكته وأبقى لرؤسائها ما لهم من الامتياز وجعل (تفنخت) ملكاً عليهم بالأصالة بعد أن كان رئيساً على الجيوش المصرية فاستقر (تفنخت) بمدينة صا الحجر مقر حكومته الأصلية ورجع (بعنخى) إلى مقره بمدينة (نبتا) ونقل إليها تخت الملك من طيبة ومنف بعد أن أرجع الأحوال فى مصر إلى سابق مجراها ولم يمض عليه بعد رجوعه إلى (نبتا) إلا قليل حتى أدركه الموت فورثه فى الملك أمير اسمه (كاتشا) لم يكن من بيت الملك، وإنما كان متزوجاً بابنة كاهن مصرى من العائلة الملوكية، قيل ولما انتقل إلى (كاتشا) المذكور الملك من عائلة (بعنخى) قام عليه أهل مصر وخرجوا عن طاعته فسحب جيوشه من الإقليم البحرى ومن مصر الوسطى وانحاز إلى بلاد السودان وفى هذه الأثناء مات أيضاً الملك (تفنخت) فقام بالأمر بعده ابنه المسمى (باكوريس) الملقب (بوح كارع).

(فى الملك باكوريس)

ولما استقر (باكوريس) على كرسى الملك حذا حذو والده (تفنخت) وحارب أمراء الوجه البحرى وولاة الأحكام فيه ونزع منهم مصر الوسطى والأقاليم البحرية وجعل مصر كلها تحت حكمه واستقل بملكها ، وكان عاقلاً مدربا ذا رأى ثاقب وخبرة بالأمور قاضياً متشرعاً. وفى خلال هذه المدّة مات (كاتشا) الذى قام بالأمر بعد (بعنخى) عن ولدين أحدهما اسمه (سباقون) وثانيهما اسمه (امريتس) فتولى سباقون بعد أبيه ولما علم بما فعله (باكوريس) ملك مصر سار لقتاله وكان (باكوريس) المذكور مبغضاً من جميع الأمراء المصريين لتغلبه عليهم ونزع حكم البلاد منهم، فلما علموا بقدوم (سباقون) انضموا إليه وعاونوه على قتاله كما عاونوا (بعنخى) على قتال (تفنخت) فوقع (باكوريس) فى قبضة (سباقون) فى مدينة صا الحجر فأمر بإلقائه حيّا فى لهيب النار فمات. وكانت مدة حكمه سبع سنين على ما رواه مانيطون المؤرخ وزال بموته الملك من العائلة الصاوية وانتقل إلى الدولة الايتيوبية، ونزح من بقى من العائلة الصاوية المذكورة إلى إقليم الدلتا وتفرقوا فيها وقد أخذت أملاكهم ولبثوا بإقليم الدلتا يتربصون خروج الايتيوبيين من مصر خمسين سنة كما رواه هيرودوتس المؤرخ اليونانى. (قال بعضهم) وقد كان السبب فى استيلاء ملوك السودان على مصر تغيير الأحوال واختلاف كلمة ملوك الدولة الرابعة والعشرين وبغض بعضهم لبعض، واشتداد المنازعات، وقيام الفتنة فى داخلية البلاد فعمت الرزايا والمحن وكثرت الخطوب والإحن وزادت الانقلابات والدسائس فى الأقاليم

القبليـة والبحرية. وقالت التـوراة فى هذا الصدد ما نصـه أن ملوك تنيس صاروا لا عقول لهـم، وملوك منف ضلوا وأضلوا قومهم فقـضينا أن نعطى مصر لمـلك جبار يتولى أمرها ويـدبر شأنها ، ففسر الأحبار الملك الجـبار بالملك (سباقون) السودانى وهو رأس الدولة السودانية التى تولت ملك مصـر وهو الملقب نفر كارع الآتى ذكره بعد.

(الفصل الثامن)

(فى الدولة الخامسة والعشرين السودانية)

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة خمس عشرة وسبعمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وألف قبل الهجرة وعدد من ملك منها أربعة وسنو ملكهم خمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون وأوّل ملوكها الملك سباقون.

(فى الملك سباقون)

قد كان ابتداء ملك سباقون هذا نحو سنة خمس عشرة وسبعمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وثـلاثين وألف قبل الهجـرة بعد تغلبـه على الملك باكوريس وإحـراقه إياه وظفر بمملكة مصر فاتسع نطاق سلطته إلى البحر الأبيض وتكنى بكنى الملوك المصرية وتلقب بألقابهم الفرعونية وسار فى الرعية سـيراً حسناً فدبر أمور البلاد أحسن تدبير وبث روح العدل بين أهلها وأبقى كل أمير والـياً على إقليمه تحت سلطانه وملاحظة أمناء من أبناء جنسه وقد نظم الجسـور وأصلح القناطر والترع والخلجان ورمم المبانى النافعة واصطنع المصانع العظيمة وبذل الجهد فى تعمير مدينة بسطة ورمم ما تهدم من مدينة منف وأعاد نقوشها إلى رونقها القديم وأصلح مدينة طيبة عاصمة الوجه القبلى وكان (سباقون) المذكور إذ ذاك تحت تصرف شقيقته الملكة (أمن ريتس) وأصلح بعض المعابد والهـياكل. ويقال إنه أول من أبطل العـقوبة بالقتل من قـوانين البلاد فأحـبه الناس ومالت إليه قلوب الرعية وعلت كلمته وبعد صـيته فاستتبت الراحة فى داخلية البـلاد ورفل أهلهـا فى حلل الرفاهيـة وثار فى أيامـه ملك أشـور على الفنيـقيـين والإسرائيليـين وأهل فلسطين وأقلقهم بغـزواته المتتـابعة وكان الآشـوريون أهل شدّة وبأس وصبـر على الحروب فاتحدت الممـالك الثلاث على أن تتعاهد مع ملـك مصر وتحالفـه على الذب والدفاع ليخلصـوا من جور الأشوريين وتقـدّم إليه هوشع ملك إسرائيل فى ذلك وأرسل إليـه هدايا ورغب إليه فى معـاقدتهم على قتـال شلمناصر

ملك أشور فعاقدهم سباقون على ذلك طمعاً فى ضم بلادهم إلى مملكته كما فعل أسلافه وأخذ الهدايا فى مقام الجزية ، فلما علم شلمناصر ملك آشور بذلك احتال على هوشع ملك إسرائيل وما زال به حتى أسره وفاجأ قومه وركب عليهم فأخذهم جميعاً أسرى وألزمهم الطاعة فاعترفوا له بها ثم سار شلمناصر إلى مدينة سامرية وحاصرها وضيق حصارها ولكنه مات قبل فتحها وهو آخر بيت السلطنة الآشورية ، فلما مات اجتمع أعيان دولته واتفقوا على إقامة (سرخون) كبير قواد الجند ملكاً عليهم وبايعوه بالملك فلما استقر به المنصب شدد فى حصار سامرية حتى فتحها وزحف بجيشه على بلاد فلسطين وحارب ملكها (يهوبيد) وقتله فلما علم سباقون بذلك خاف وسار بعسكره إلى الشام وانضم إلى (حانون) ملك غزة وكان حليفه فالتقى هناك بجنود ملك آشور فى مدينة (رافيا) فانتشبت الحرب بين الفريقين فانهزمت الجنود المصرية والجنود الشامية ووقع (حانون) ملك غزة فى قبضة (سرخون) ملك آشور وهرب سباقون ملك مصر وهام فى القفار فضل عن الطريق فلقيه أحد الرعاة فدله على الطريق وسار معه من فلسطين إلى أرض مصر فزالت بهزيمته فى هذه المرة هيبته وعصاه أهل الوجه البحرى وخرج أمراؤه عن طاعته وطردوا من كانوا فيه من السودانيين وأخرجوهم إلى طيبة واستقلت حينئذ مدن صان وبسطة واهناس، وكان ممن بقى من أقارب الملك (باكوريس) آخر ملوك الدولة الرابعة والعشرين الصاوية رجل اسمه (اسطيفانيتس) فلما رأى خروج هذه المدن واستقلالها عمد لإرجاعها إلى ما كانت عليه ونادى لنفسه بالملك فتم له ذلك وتكنى بكنى الفراعنة وأرسل إلى (سرخون) ملك آشور يبشره بهزيمة عدوّه (سباقون) وفراره إلى الصعيد ويخبره برجوع حكم الأقاليم البحرية إلى أصحابه من المصريين أما (سباقون) فإنه لما استعصى عليه إخضاع الوجه البحرى فرّ إلى الصعيد ثم مات بعد قليل فقام بالأمر بعده ابنه (سبيخون) الملقب (بدد كورع) وتولى ملك الإيتيوبيا والأقاليم القبلية.

(فى الملك سبيخون)
(ويقال له أيضاً)
(شباناق)

(قال أويرت المؤرخ) بعد كلام ولقد كانت العائلة الصاوية قبل جلوس هذا الملك فى نزاع واختلاف مع العائلة الصانية بأسباب ملك الأقاليم البحرية ورغبة كل منهما

فى الاستيلاء عليه فلما آل إليه الملك عقد النية على الانتقام منهما جزاء ما فعلاه بأبيه سباقون فجيش الجيوش وأعد معدّات الحرب وأكثر منها وازداد همة وإقداماً بتفرق الكلمة بين المصريين ثم ركب عليهم وقاتلهم وأنشب نار الحرب فيهم فظهر عليهم وبسط يده على جميع الديار المصرية وحكمها ولكنه لم يلبث بعد هذه النصرة حتى ظهر عليه (طهراق) الملقب (نفرتوم خورع) وقتله وتولى الملك بعده.

(فى الملك طهراق)
(ويقال له أيضاً)
(تاراقوس)

هو ثالث ملوك الدولة السودانية الخامسة والعشرين، وكان رجلاً محارباً ظافراً ذا شوكة وبأس ولما استقر به المنصب ركب على العصاة والخوارج فبدد شملهم ونزع مدينة منف (من اسطيفانيتس) ملكها وكبير العائلة الصاوية، قالوا: واستقدم أمه من السودان فقدمت فلقبها بالحاكمة أم الإقليمين القبلى والبحرى وسيدة الأمم. كقول العلامة ده روجيه. وتحرك ملك آشور لقتاله فزحف بالآشوريين على مصر من ناحية الطينة. وقاتل طهراق قتالاً عنيفاً حتى هزمه فتقهقر بعسكره إلى مدينة (نبتا) تخت الإيتيوبيا فتبعه ملك آشور بجيوشه وأخذ منه منف وطيبة ونهب ما فى هياكلها من الأمتعة وأسر كهنتها وبعث بما ناله منها إلى بلاد آشور وأمر بوضع بعضها فى هياكلها لتكون شاهدة على نصرته على ملك مصر واستقر فى بلاد مصر وجعل ينظر فى إصلاح ما فسد من أحوالها وما اختل من أعمالها وأعاد أمراءها العشرين إلى مراكزهم وأرجع إليهم امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وجعلهم يتصرفون فى ولاياتهم، كانوا وأقام من بينهم الأمير (نحاو الأوّل) رئيساً عليهم وكان (اسطيفانيتس) فى هذا الحين قد مات وترك ابنا اسمه (نخبشو) فتولى حكم إقليم صا الحجر بعد أبيه تحت راية ملوك السودان وكان (نخبشو) المذكور ساحراً وفلكياً كبيراً على ما رواه (غاليان) ولكنه كان قليل الهيبة فأقام حاكماً على الإقليم المذكور حتى مات وخلفه (نخاو) الأول فترأس على أمراء البلاد وحكم تحت سلطة الملوك السودانيين مدة من الزمان حتى تغلب ملك آشور على (طهراق) فانحلت تابعية (نخاو) واستبد بالأمر وكان (نخاو) المذكور ذا غيرة ونشاط وحمية فلما انفرد بالحكم أخذ فى تتميم ما كان قد شرع فيه أسلافه منذ مائة سنة من إصلاح شئون البلاد وتوحيد حكومتها وتحالف مع ملك آشور ليحفظ لنفسه الرئاسة على أمراء مصر

واستـرجع لحكمـه مدينة منفق ولما تم للملك آشـور الأمر ومـهد الأحـوال فى الديار المصرية أراد الرجـوع إلى وطنه فحصـن مصر ووضع فى قـلاعها نفـرا من عسكره للذب عن البلاد من غـائلة السودانيين إذ كان فى عـزمه الرجوع لقتـالهم وإدخالهم تحت الطاعة ثم سار إلى نينوى ليعيد لها رونقهـا وفخرها القديم وكان قد دوخ مصر وأذلها وأهان عاصمتها طيبة الشهيرة كما فعل (توتوميس) الثالث (وامنوفيس) الثانى بمدينة نينوى منذ تسعة قرون.

ونقل صاحب العـقد الثمين عن أوبرت المؤرخ. فقـال إنه لما وصل ملك آشور إلى نهر الكلب نقش على صخرة هناك بالقرب من الحجر الذى نصبه رمسيس الثانى شاهداً على نصرته نقوشـاً كثيرة بين فيها فتكه بالمصريين والسـودانيين ونسب لنفسه السلطنة عليهما، ولما كانت سنة تسع وستين وستمائة قبل الميلاد أصيب بمرض شديد منعه عن الدفاع فـعاد حينئذ (طهراق) إلى مـصر وهزم أهل آشور فى منف وخلص المدينة منهم بعد أن حـاصرها حصاراً شـديداً فبلغ أمره آشور أخـا الدين، وكان قد أحس بالعجز عن القيام بواجب مملكته فتنازل عن الملك لابنه البكرى آشور بانبال ثم سكن بابل ومات فيها بعد ذلك بقليل فقـام آشور بانبال بإحياء الملك وسار إلى مصر لمحاربة الإيتيوبيين، وضم إليه عسـاكر الآشوريين الذين كانوا بمصر ودخل فى الوجه البحرى فلم يـعارضه أحد وجال فى البـلاد إلى أن تقابل بالجيوش السـودانية بجوار مدينة (كـاربانيت) وتغلب على ملكهم (طهـراق) وأخرج جيـوشه من منف وطيـبة فحلت بهما عسـاكره ومكثت فيهما مدة من الزمان وبعـد انتهاء الحرب أرجع الحكم إلى الأمراء العشرين ثانياً وأصلح الأحوال كما كانت عليه منذ خمس سنين فى زمن آشور أخى الدين وظن بعـد ذلك أن لا يعود الآشوريون إلى الحرب فـعاد إلى وطنه إلا أنه لم يصادف ظنه محله إذ بوصوله إلى نينوى نشر (طهراق) لواء العصيان وعزم هذه المرة على الانتـقام من المصـريين لمساعدتهم أهل آشـور عليه فـهابه المصـريون وأرسلوا له رسلا ليعقدوا معه معاهدة سرية مقتضاها مساعدتهم له على رجوع ملك مصر إليه فبلغ أمر هذه المعاهدة ولاة آشور الحـاكمين فى مصر فبادروا بالقبض على رؤسـاء العـصـاة وهم (سـادلوداري) رئيس إقلـيم تنيس (وباكـرور) رئـيس إقليم (باسوريـتى)، (وتخلو) رئيس إقليم صا الحـجر وأرسلوهم فى الأغـلال إلى نينوى وحيث كـان أول من عصى من الأقـاليم البحـرية هو إقليم صا الحـجر (ومندس)، (وتنيس) نهبهم ولاة آشور ليكونوا عبـرة لغيرهم ولكن لم يستطع هؤلاء الولاة صد

الملك (طهراق) حيث لم يكن لهم قبل بجنوده فرجعوا القهقرى أمامه واسترجع طهراق لملكه مدينة طيبة ومنف وأبطل منهما عبادة العجل (أبيس) الذى عكف المصريون على عبادته حديثاً ثم أخذ فى تهديد الوجه البحرى فلما بلغ ذلك ملك آشور أراد أن يحسن المعاملة مع أمراء مصر المأسورين عنده ليكونوا أعواناً له على عدوّه (طهراق) فطلب (نيخاو) وخلع عليه خلعة الشرف وأعطاه سيفا غمده من ذهب وعربة وخيولاً وبغالا ولكن لم يستصوب أن يرئسه على إقليم صا الحجر بل جعل ابنه (بسامتيك) الكبير حاكماً على قسم اتريب ورخص له فى الرحيل إلى مصر فعاد (نيخاو) ولم يجد فيها (طهراق)، حيث كان قد هاجرها وتوجه إلى بلاده لرؤيا رآها فى المنام كما رواه هيرودوتس، وكان قد حكم مصر عشرين سنة والإيتيوبيا خمسين سنة وبإخلائه الوجه البحرى احتله أهل آشور ودخلوا منف بدون قتال ولكنهم لم يتجاسروا على الجولان في الجهات القبلية خشية من الإيتيوبيين وولى على مصر ثانى مرة أمراءها الأصليين فخلفه صهره (أورد أمن) وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها على طيبة وجمع قوة وشرع فى مهاجمة أهل آشور حتى ظهر عليهم أمام منف فدخلوا فيها وأغلقوا عليهم أبوابها فلما طال عليهم الحصار سلموا أنفسهم إليه ووقع (نيخاو) فى قبضته فقتله ونجا منه (بسامتيك) بن (نيخاو) حيث فرّ هارباً إلى الشام كما رواه هيرودوتس ولما طال الأمر بهذه الحالة على ملك آشور عزم على قطع دابر الإيتيوبيين من مصر وأمر رجاله بالانتقام منهم فظهروا على (أوردأمن) وهرب إلى طيبة مؤملاً أن يجيش فيها جيشاً ويأخذ منهم بثأره فخاب منه الأمل إذ كانوا فى أثره ولم يمكنوه من طيبة ولا من تجنيد الجنود فيها فانحاز فى (كبكيت) بالإيتيوبيا ونهب الآشوريون طيبة وكانت آخذة فى إصلاح ما دمر منها مدّة الملك آشور أخى الدين سنة اثنتين وسبعين وستمائة قبل الميلاد وأسروا رجالها ونساءها وسلبوا أموالها من ذهب وفضة وحجارة نفيسة وجميع ما كان ادخره (منتوحع) فى معابدها من أقمشة فاخرة ونحوها وأخذوا أيضاً مسلتين نصبوهما فى نينوى حسب ما رواه (أنين مرسلين) وأرجعوا مصر إلى الحالة الآشورية التى كانت عليها فحكمها العشرون أميراً ثالث مرة وهم الذين كانوا متولين أمرها منذ ست أو سبع سنين وترأس عليهم هذه المرة (بسامتيك) ولكنه لم يصل إلى درجة والده (بخناو).

وأما (أورد أمن) فإنه لجأ إلى بلاد الإيتيوبيا ولم يرجع وبقيت مصر تابعة لمملكة آشور مدة من الدهر كما رواه أوبرت إلى أن رأى آشور بانبال أن التملك عليها

يحتاج لكبير مشقة فتركها وتنازل عن سيادته فيها فآلت من بعده إلى (نوات ميامون) ملك الإيتيوبيا بعد أن استقلت بنفسها حينا من الدهر.

(فى الملك نوات ميامون)

(الملقب)

(بيكارع)

(قال أصحاب التاريخ) لم يتنازل ملك آشور عن سيادته على مصر إلا لاضمحلال دولته وضعف شوكته وخروج مصر عن طاعته فحكمت نفسها مدة فلما رأى ملك الإيتيوبيا خروج مصر عن طاعته واستقلالها فاجأها وأغار عليها وأدخل المصريين تحت حكمه وتحرير الخبر أنه لما مات (أورد أمن) ملك الإيتيوبيا قام بالأمر بعده ابنه (نوات ميامون) المذكور وكان حازماً قوى البطش فرأى فى منامه أنه سيملك إقليمى مصر القبلى والبحرى ففرح بهذه الرؤيا واستبشر بها وأخذ فى إعداد الجند ومعدات القتال وهاجم الوجه القبلى بجيش ضخم فلم ير من أهله مخالفة وكانت طائفة من الإيتيوبيين قد أقامت بطيبة وأسست فيها حزباً قوياً جداً وكذلك فى ضواحيها وحازت لنفسها رتبة الكهانة فى معبد (أمون) فأمدوا الملك (نوات) المذكور عندما هم بالإغارة على مصر وساعدوه ومهدوا له الموانع والعقبات فكان لذلك استيلاؤه على الوجه القبلى بغير مقاومة ولا منازعة وبعد أن رسخت قدمه فى الوجه القبلى سار لقتال الوجه البحرى فركب أمراؤه لقتاله أيضاً. فحاربهم وردهم خاسئين فانحازوا إلى القلاع والحصون ولم يبرزوا لقتاله وقد طال انتظاره فملّ وعاد إلى منف على غير هدى من أمره واجتمع الأمراء المذكورون وتشاوروا فى الأمر فأشار كبيرهم وصاحب الرأى فيهم. المدعو (بكرور) بوجوب الطاعة إلى (نوات) وأن لا يخالفوا له امراً فوافقوه وساروا إلى لقاء (نوات) بمدينة منف وقدموا له الطاعة ففرح بذلك فرحاً عظيماً وتم له الأمر.

قال صاحب العقد الثمين ونقش هذه القصة على حجر وجده مريت باشا فى أطلال مدينة (نيتا) بجبل برقل سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف ميلادية وهو محفوظ الآن بمتحف بولاق وهذا تعريبه بديباجته.

(الديباجة)

ظهر الملك العظيم (نوات ميامون) يوم ولايته كالمعبود (توم) وحكم العالم فكان

ملكاً عظيماً حائزاً للسيادة على الدنيا بأسرها ذا ذراع منصور وعزم مشهور أوّل مبارز في القتال ومحارب ذى قوّة كالمعبود(مونت) فى الصيال، وكان شجاعاً كالأسد المهول فطناً (كهيمشرت) أى هرمس المشهور ذا أبهة فى سياحته بالبحر لنوال المقصود سائداً على كل أرض وحدود، كيف لا وقد ملك مصر بدون قتال، ولا معارضة له من أمراء وأبطال ملك الوجه القبلى والبحرى (بيكارع) سلالة الشمس (نوابت ميامون) محبوب (أمون) ساكن (نبتا)

(القصة)

(فى السنة الأولى من حكمه) رأى فى المنام أثناء الليل ثعبانين أحدهما على يمينه والآخر على يساره فلما استيقظ ولم يجدهما طلب من المعبرين تأويل هذه الرؤيا فقالوا له إنك ستملك الوجه القبلى والوجه البحرى ويضىء على رأسك تاجاهما وتدخل مصر تحت يدك طولاً وعرضاً ويكون (أمون) مساعداً لك دون غيره فى هذا الأمر فارتقى هذه السنة على كرسى الملك ثم خرج من محله كالأسد إذا انطلق من أجمته وصحبه كثير من الخلق. فقال لهم أحق رؤياى فأنال المرام أم هى أضغاث أحلام رأيتها فى المنام . ثم توجه إلى (نبتا) عاصمة الإيتيوبيا وقتئذ فلم يعارضه أحد عند دخوله فيها وتمتع بمشاهدة معبودها (أمون) فوق جبله المقدس وأحضر له الأزهار وأخرجه من محله وتقرب إليه بقربان يليق به وهو ستة وثلاثون ثورا وأربعون كأساً من المشروبات وتطوع له بمائة حمار ثم سار إلى مصر فى النيل بعد أن تضرع كثيراً لهذا المعبود ذى الاسم المكنون زيادة عن غيره من المعبودات ولما قرب من جزيرة أسوان عبر النيل وتوجه إليها ودخل هيكل (خنوم رع) معبود الشلالات وأخرج تمثاله وتقرب إليه بقربان كما تقرب بالخبز والمشروبات لمعبودات منبعى النيل ثم انحدر من عطفة النيل هناك وتوجه إلى مدينة (خفت جنبسن) بقسم طيبة التابعة (لامون) وتوجه منها إلى مدينة طيبة ودخل هيكل معبودها (أمون رع) فقابله الكهنة والخدم وكللوه بأزهار هذا المعبود ذى الاسم المكنون فانشرح صدره لا سيما لدى مشاهدته المعبد ثم أخرج تمثال (أمون رع) وعمل له موسماً كبيراً فى جميع أرجاء البلد وبعد ذلك سافر فى النيل إلى الوجه البحرى فقابله سكان الشاطىء الشرقى والغربى مظهرين الفرح والسرور قائلين توجه مصحوباً بالسلامة فى ذاتك الأمن وفى جوهرك حياة الإقليمين توجه لتصلح الهياكل التى دمرت وتقيم تماثيل المعبودات كما كانت وتصرف لهم المرتبات وتبعث الرحمات إلى الأموات وترجع كل كاهن إلى محله لإحياء شعائر الدين. هذا ما كان من أمر الحزب المطيع

له وأما حزب العصاة الذين كانوا يريدون قتاله فتبدل بعضهم له خوفاً منه وخرجوا عليه بمجرد ما قرب من منف وحاربوه فأحدث فيهم مذبحة كبيرة لا يعلم فيها عدد القتلى واستولى على منف ثم زار معبد (بتاح رستيف) وتقرب إلى (بتاح سوكر) بقربان وتعبد إلى المنعبودة (سوخت) الشهيرة بالمحبة وانشرح صدره مما فعلته المعبودات من مساعدته رعاية لمعبوده (أمون) ساكن (نبتا) وأمر بتوسيع معبد (بتاح) وأنشأ فيه إيواناً جديداً ولم يكن قبل فيه إيوان فبناه بحجر غشاه بالذهب وكساه بخشب الصنط وملأه بالبخور المحضر من بلاد العرب واتخذ أبوابه من النحاس الأحمر اللامع وطرازه من الحديد وبنى خلفه محلاً لحلب حيوانات المعبد، وكانت مائة وستة عشر رأساً من الماعز وكثيراً من العجول المطلقة خلف أمهاتها، وبعد أن أتم ذلك توجه لمحاربة أمراء الوجه البحرى فالتجئوا إلى أسوارهم وتركوا له الجهات فانتظر مبارزتهم مدة من الأيام فلم يبرز أحد لقتاله فعاد إلى منف واستقر بقصره هناك، وعزم على أن يرسل فرسانه فى طلبهم إلا أنه قبل توجه فرسانه أخبره حجابه بأنهم أتوا إلى الجهة التى كان ينتظرهم فيها فسأل ماذا يطلبون هل أتونى محاربين أم طائعين رجاء نجاتهم فسألهم الحجاب. فقالوا بل أتينا طائعين لمولانا الملك. فقال الملك: وجب على شكر (أمون) معبود طيبة العظيم فى جبله الكريم على كل من آمن به الحفيظ لكل من أحبه معطى القوة لكل من اتبع سبيله وأطاع أمره المرشد لكل من سلك طريقه. وهو الذى أرانى فى الليل ما نظرته فى النهار. ثم قال - إن ما يريده الأمراء لا يمكن إنجازه الآن فقالوا له إنهم وقوف بالباب فخرج من قصره وكانوا مؤمنين بالشمس المنيرة فى أفقها فلما رأوه خروا على جباهم احتراما لهيئته. فقال: لقد تحقق ما أخبرنى به المعبود وتأكد نفاذ أمره الموعود فسأفعل ما يأمرنى به ولى عبرة فى ذلك بما حصل لى الآن حيث تحقق لى وقوع ما أمر به وتأكد عندى أن الشمس المعبودة تحبنى وأن (أمون) جعلنى مباركاً وكيف لا وإنى تربصت هذا الأمر حتى تحقق لى وقوعه فأنا كخادم يسعى فى مصالح سيده وعلى الخادم أن يعلم ما يليق بمولاه وليس لى أن أتعرض لطلب ما يعدنى به بل ينبغى أن أتربص لما سيقع لعل عنايته تسعدنى وتسعفنى. فقال الأمراء: نسأل هذا المعبود الذى نصحك أول الأمر أن يكون مرشداً لك ودليلاً وأن يجرى الخير على يدك وأن لا يكذبك فيما تقوله فأنت ملكنا وسيدنا وبعد ذلك قام (بكرور) ولى العهد وأمير مدينة (بسانبو) مخاطباً للملك بقوله:

إنك تميت وتحيى من تريد بدون أن يلومك أحد فتبعه الرؤساء جميعاً قائلين هل لنا أن نستنشق منك أيها الملك نسيم الحياة إذ لا معيشة لأحد من دونه فنحن نروم أن

نخدم (أمون) كتوابعك حسبما تمنيت يوم تسلطنك فلما سمع الملك كلامهم انشرح فؤاده وأعطاهم خبزاً ومشروبات وخيرات كثيرة وأبقاهم عنده عدة أيام وهو يغمرهم بالعطايا والإحسان مع كثرتهم ثم قالوا فيم الإقامة هنا ألم تتم مقاصد سيدنا وحاكمنا، فقال لهم الملك: لماذا تعجلون بالرحيل فقالوا يلزمنا الرجوع إلى بلادنا لنقوم بواجبات رعايانا وعبيدنا فأذن لهم بالذهاب إلى بلادهم والتمتع بمعيشتهم ثم أتاه سكان البلاد القبلية والبحرية مقدمين له الجزية والخيرات من الصعيد والبحيرة وبذا اطمأن قلب الملك (بيكارع) سلالة الشمس (نوات ميامون) سلطان الوجه القبلى والبحرى دام بصحة وعافية وحياة مرضية ودام ملكه إلى الأبد . اهـ.

ومات الملك (نوات ميامون) بعد أن حكم ثلاث سنين وبموته زالت الدولة الخامسة والعشرون وقامت بعدها الدولة السادسة والعشرون.

(الفصل التاسع)

(فى الدولة السادسة والعشرين الصاوية)

(قال أصحاب التاريخ) قد حصلت فترة بين مدة ملك الدولة الخامسة والعشرين وهذه الدولة التى هى السادسة والعشرون عبارة عن خمس عشرة سنة كانت فيها حكومة البلاد حكومة جمهورية التزامية. قالوا: وبيان ذلك أنه لما أحس أمراء البلاد المصرية بما ألم بالبلاد من الذل والعار والانحطاط والبوار بسبب بسط يد الأغراب عليها واستعظامهم البقاء تحت سلطنة الدولة السودانية مع ما بذلته هذه الدولة من مزيد العناية بأحوال الرعية وتحسين حالة البلاد بالعمائر العظيمة والمنافع الجليلة. قاموا وعقدوا معاهدة بينهم على إنقاذ البلاد من أيدى هؤلاء الطامعين واتحدوا قلباً وقالباً وقاتلوا الدولة السودانية قتالاً عنيفاً أياماً كثيرة حتى أجلوها عن البلاد ثم تقاسموا بينهم الملك فصارت بين اثنى عشر حاكماً من أمراء المدن المتعاهدين كل أمير يحكم مدينه إقليم ويحكم ذلك الإقليم بتمامه فسميت هذه الحكومة بالمقاسمة الاثنى عشرية فكانت عبارة عن جمهورية التزامية كما تقدم القول وكان من هؤلاء الأمراء أمير اسمه (بسامتيك) صاحب مدينة صا الحجر فتاقت نفسه إلى الاستقلال بالملك والاستبداد بالعظمة فقام وقاتل الأمراء وطال القتال بينهم كثيراً حتى خلص البلاد من أيديهم واستولى عليها واستبد بحكمها فصارت بعد ذلك مملكة واحدة. قالوا: وقد استعان بسماتيك هذا على نزع الحكومة من أيدى هؤلاء الأمراء بطائفة من جنود

اليونـان المتطوعة فـقد حكى هيـرودوتس المؤرخ واقعـة تملك بسامـتيك على مـصر واستبداده بحكمها على وجه غـريب فقال إن بعض الكهنة كان قد أنبأ هؤلاء الأمراء المتعاهدين أنه سـيأتي يوم يتقربون فـيه جميعـاً بالشراب إلى المعبود (بتاح) فـيشرب أحـدهم شرابه فى قـدح من حـديد فمن شـرب فى هذه الكاس تولى ملك البـلاد المصرية بأسره. قـال: وكانوا يشربون شرابهم في أقداح من ذهب فبـينما كان هؤلاء الأمراء الاثنا عشر مـجتمعين للتنادم على الشراب تقربـاً إلى المعبود (بتاح) ولم تكن أقداح الذهب الموضوعـة بينهم إلا أحد عشر قدحا لسـهو حصل من الكاهن الموكل بتقديمها فبقى أحدهم وهو الأمير (بـسامتيك) بدون قدح فنزع مغفره من رأسه وكان من حديد فشرب به الشـراب فتذكر رفقاؤه ما أنبأ به الكاهن وتنبـهوا لذلك فأكرهوه على أن يهاجر إلى بعض اجمات الوجه البحرى خـشية أن يستبد بالملك دونهم فأقام بتلك الأصقاع منفيا وبيـنما هو كذلك استقدم إليه أحد الكهان وسـأله عما سيقع له فبشره بأنه سيأتى يوم يستبد فيه وحده بحكم البلاد وأن ينصره على أعدائه رجال من حديد يقـدمون عليه من جـهات البحر الأبيض فـاتفق أنه رسا على سواحل مـصر جماعة أصـحاب صيال من ملاحى اليونان مسلحيـن بأسلحة من حديد وطلعوا إلى البر على مقـربة من منازل (بسامتيك) يريدون النهب والسلب فلما علم (بسـامتيك) بنزولهم فطن لأمرهم وتذكر بشرى الكاهن له فـبادر إليهم ورحب بهم وأكرم نزلهم ووعدهم بالأنعام فعاهدوه وحالفهم على أن ينصروه فحالفوه ودخلوا فى خدمته فقام بهم على الأمراء وشن الغـارة عليهم وانحاز إليـه أيضاًحزبه من أهل البلاد فـتلاقى جند الفريقين واقـتتلوا فظفر (بسامتـيك) بهم وخلعهم من مناصبهم واسـتبد بالملك وحده فكان هو مبدأ العـائلة الصاوية السادسة والعشرين وبه عاد إلى مـصر مجدها الأول وشوكتها القديمة وطمحت إلى الغزوات والفتوحات الجسيمة فنالت من توسيع دائرة ملكها بعد الضـعف ما شاءت وقد حقق بعض أهل الاستكشـافات الجديدة أن الدولة الاثنى عشريـة أقامت متحالفـة خمس عشرة سنة ويظهـر لبعض المؤرخين أن ملوك الدولة السادسـة والعشرين المذكـورة بل والأمراء الاثنى عشـرية أيضاً هم من نسل الأمراء الأغـراب وأنهم من مغاربة برقة وأنه قـدجعلهم كثيـر من المؤرخين من أبناء أمراء مـصر المتأصلين ولكنهم مع ذلك كـانوا من الشهرة وعلو الهـمة بمكان إذ أورثوا البلاد السعادة والرفاهية مدّة مـائة سنة وثمان وثمانين سنة بما فعلوه من إحياء العلوم والفنون والصنائع وبناء الهياكل القديمة بعد اندراسها وتجديد المعابد العظيمة، وغير ذلك من الأعـمال الجسيمـة التى أحدثوها بمدينة صاالحجـر تخت ملكهم (قال بعض كـتاب الأخبـار) ولم تزل بقـايا تلك الأعمـال إلى الآن تدل على عظم تلك

المدينة التى كان حولها ما لا يحصى من الحدائق والبساتين والطيور المغرّدة والوحوش المستأنسة والأنهار المطردة والرياض المونقة والقصور المرتفعة ما لا يدخل تحت الوصف وبظهور (بسامتيك) المذكور ظهرت الدولة السادسة والعشرون فكان مبدأ ظهورها سنة خمس وستين وستمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف قبل الهجرة ومدّة حكمها مائة سنة وثمان وثلاثون سنة وعدد ملوكها تسعة وقيل ستة وسيأتى ذكر مآثر كل منهم بعد.

(فى الملك بسامتيك الأول)

(تولى بسامتيك المذكور) الملك مستقلاً سنة خمس وستين وستمائة قبل الميلاد المسيحى أى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف قبل الهجرة المحمدية، وكان رجلاً حازماً محمود السيرة محباً للعلوم والفنون والصنائع فلما استقر به المنصب وسع ملكه بالفتوحات ففتح الأقاليم القبلية بدون قتال واتصل بالشلال الأول وتزوّج بالأميرة (شابنت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) التى كانت حاكمة على الأقاليم القبلية ليحفظ لنفسه ولذريته من بعده الملك حسب الرسوم القديمة إذ كان لا يعتبر الملك ملكاً حقيقياً إلا إذا كان متأصلاً أو متزوجاً من بيت الملك كما تقدم الكلام على ذلك فى محله، وكانت مصر فى سلطنته قد مات أكثر رجالها وتولاها الخراب بأسباب حروبها المتتابعة مع الآشوريين والإيتيوبيين فقد حاصر الآشوريون مدينة منف ونهبوها ودمروا مدينة طيبة وأحرقوها مرتين وخربوا أكثر المدن والبلاد العظيمة فاشتغل المصريون بقتال الأعداء والدفاع عن الوطن وتركوا النظر فى المنافع العمومية فطمت الترع وسدت الطرق التى عنى سباقون الملك بفتحها واندرست معالم تلك الأعمال النافعة أو كادت وزالت بهجتها فعمد (بسامتيك) الملك إلى إحياء البلاد وإعادة رونقها القديم فأصلح الترع وسهل الطرق وأعاد الأمن والراحة إلى سابق مجراهما وبث العلوم والصنائع بين الرعية وعمر بيوت العبادة وبنى واجهات معبد (بتاح) فى مدينة منف من الجهتين الشرقية والقبلية وأنشأ فيها طرّقات على عمد عديدة وبنى القاعة الكبرى التى كان يعلف فيها الثور (أبيس) وأصلح ما تهدم فى معبد الكرنك وحث الناس على اكتساب العلوم والمعارف وشدد عزائم أمرأته وكبار دولته على دلك فاتقنت فى أيامه صناعة النقش والتصوير والرسم والتمثيل وجمعت التماثيل بين التناسب والاعتدال وتساوت فيها الأعضاء من حيث التناسب، وقد كانت فى عصر ملوك منف والملك رمسيس الثانى تصنع إما عريضة وإما كبيرة غير متناسبة الأعضاء وأحسن سياسته مع بقية الممالك وشيد حصون البلاد وحصن

قلاعها وأنشأ المعاقل فى مضايق طريق الشام من الجهة الشرقية وفى ضواحى بحيرة المنزلة من الجهة الغربية وفى الشلال الأول من الجهة القبلية إذ كان للمصريين أعداء ثلاثة لا ينكفون عن شن الغارة عليهم واختلاس الفرص المناسبة للظفر بهم وهم الآشوريون من شمالها والإيتيوبيون من جنوبها ومملكة القيروان التى استحدثها اليونان على شمالها أيضاً، وقد نزلت بها طوائف من مغاربة ليبيا وحصن مدينة (دفنه) القريبة من قلعة (تسال) لمنع إغارة الآشوريين ووضع فى جزيرة (أسوان) ، (ومريا) مرابطين لمنع إغارة مغاربة برقة والسودان كما رواه هيرودوتس (قال ليبسيوس) فلما أتم هذه الحصون والمعاقل انتقل من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم فغزا النوبة واستظهر عليها ولم يعلم تفصيل هذه الواقعة غير أن جنود اليونان الذين استأجرهم لهذه الغزوة نقشوا اسمه وأسماء قواد جنوده على جدران التماثيل الموجودة فى معبد (أبى سنبل) . اهـ. ويقول المصريون إنهم دخلوا (قرقميش) التى على مقربة من الشلال الثانى وأدخلوها تحت حكم مصر وسماها اليونان بعد ذلك (دوديكاشين) أى اثنى عشر شيئاً وذلك لأن المسافة الواقعة بينها من الجهة الجنوبية وبين جزيرة أسوان هى اثنا عشر شيئاً يعنى ثلاثين مرحلة ثم سار بجنوده أيضاً يريد فتح الشام فقاتل أهل فلسطين وملكها وأخذ مدينة (اشدود) إحدى مدائن الكنعانيين ولم يتوغل فى داخلية البلاد بعد هذه الغزوات.

قال هيرودوتس المؤرخ وبعد هذه الفتوحات حلت بمصر مصيبة عظيمة وداهية جسيمة وذلك أن (بسامتيك) المذكور سلك مسالك أسلافه الفراعنة من تقريب الغرباء إليه وتوطينهم فى بلاده فرغب فى مصر الأغراب وأتوها من كل صوب وحدب ووفد إليه كثير من اليونان والكاريين فأكرم نزلهم وأقطعهم أرضاً على سواحل بحر الطينة (قال استرابون) وفى ذلك الوقت جاء إلى مصر أيضاً أقوام من الميليزيين فى ثلاثين سفينة فرسوا بها على سواحل رشيد ونزلوا هناك وأنشأوا فى ذلك الموقع العظيم معسكراً كبيراً للغاية وأقاموا لهم أحكاماً مخصوصة سموها بالمعسكرى (الميليزى) وانحاز إليهم أيضاً آخرون من الأغراب النزلاء فكثروا ونموا وقويت شوكتهم وأرسل لهم (بسامتيك) الملك بعض الغلمان من المصريين ليعلموهم اللغة اليونانية ليترجموا منها ما يحتاج إليه الحال باللغة المصرية فتخرج الكثير من هؤلاء الغلمان واتسع بسبب ذلك نطاق التجارة فنهضوا إلى تأسيس مدرسة فى الإقليم البحرى لتعليم الشبان فن الترجمة وظن بسامتيك الملك أنه باختلاط قومه بأمة برعت فى الصناعة تنبث فيهم بأسباب هذا الاختلاط روح البراعة فيصيرون مع تمادى

الوقت بارعين كرجال تلك الأمة، ولكنه لم يصب ظنه المرمى الصحيح إذ كان الغرباء يسعون منذ قرنين فى تكدير راحة البلاد وإيرادها موارد البوار وقد كره المصريون لذلك مخالطتهم ولا سيما مخالطة اليونان الذين أتوا إلى مصر فى ذلك الحين وما قبله بقليل ، قال بعض المؤرخين: وربما كان للمصريين بعض الميل إلى الأمم التى كانوا يعرفونها قديماً كالفنيقيين والإسرائيليين والآشوريين ولكنهم لا يحبون من حدث عليهم من نزلاء اليونان.

ولما استقر اليونان بمصر شاهدوا من المصريين التمدن والفلاح فأولعوا بمصر ومالوا إلى ديانتها وعلومها فأرادوا أن يذهبوا بعبادتهم مذهب عبادة مصر وأن يخلطوا عائلاتهم الشهيرة بالعائلات الملوكية المصرية فشبهوا معبودهم (أثينه) بمعبود المصريين (نيت) الذى بصاالحجر كما رواه ديودور الصقلي. قال هيرودوتس المؤرخ وأكثروا من تلك التشبيهات حتى ملئوا كتبهم منها وأدخلوا أطفالهم المدارس المصرية ليتعلموا فيها العلوم والحكمة فمن تخرج عليها من مشاهير اليونان (سولون)، (وفيساغورس)، (وأدوكس)، (وأفلاطون) ومع ذلك فقد كان المصريون ينظرون إليهم بعين المقت ويعتبرونهم أمة نجسة فكانوا يجتنبون معاشرتهم كى لا ينجسوا منهم بل كانت العامة من المصريين لا تأكل ولا تشرب مع اليونان ولا تستعمل سكاكينهم ولا طناجرهم وكان أصحاب المظاهر يعتبرونهم كطفل جاهل شب بين عائلة أصلها متوحش فكانوا يخفون هذه الكراهة ثم ظهرت بعد ذلك للعيان إذ كثر ميل الملك (بسامتيك) إليهم أى إلى اليونان وإلى الكاريين إحدى طوائفهم فكان يعطيهم الرتب العالية ويقربهم منه لمساعدتهم إياه على قهر أعدائه كما تقدّم القول واتخذ له منهم حراساً وألف منهم جناح الجيش الأيمن الذى هو علامة الشرف والنصرة وأقام منهم المرابطين بعد أن كان المحافظون على البلاد من المصريين والمشواشيين وقد اختصوا بها من قديم الزمان فلما رأوا هذا كله ولا سيما نزع المحافظة على البلاد من أيديهم وبقاء عساكر اليونان المحافظين على (مريا) ، (ودفنه) وجزيرة أسوان بدون تغيير ولا انتقال من مراكزهم مدة ثلاث سنين خلافاً للنظام المتبع فى ذلك هاجوا وماجوا وعزموا على ترك الأوطان فاجتمعوا وتشاوروا فى الأمر فاستقر رأيهم على أن الرحيل وترك الأهل والوطن خير من الخروج وشق عصا الطاعة فاجتمع منهم نحو المائتين وأربعين ألفا وكلهم شاكو السلاح وساروا قاصدين بلاد الإيتيوبيا ولم يصل خبرهم إلى (بسامتيك) الملك إلا بعد خروجهم من مصر فسار فى إثرهم فى عدة كثيرة من قومه حتى لحقهم وأخذ يلاطفهم ويستعطفهم

أن لا يتركوا معبودات بلادهم ولا يفارقوا أهلهم وولدهم فقال له أحدهم لا حاجة لنا بك الآن فإننا نرزق بنساء وأولاد فى أى أرض كنا وساروا فى طريقهم فرجع بسامتيك على عقبه ومازالوا حتى دخلوا بلاد الإيتيوبيا فتلقاهم ملكها بالترحيب وأكرم نزلهم واتخذهم له جنداً ثم أنزلهم بين النيل الأبيض والنيل الأزرق فنشأت منهم أمة عظيمة شديدة البأس اشتهرت بطائفة (الاسماخ) أى حجاب ميسرة الملك كما رواه هيرودوتس ثم سماهم السياحون من اليونان (أتوموليس وسمبرتيس) فبقى هذا الاسم مشهوراً بهم إلى القرن الأول من الميلاد.

وقد عاد بسامتيك الملك فندم على فعله حيث رأى أن المحافظة على بلاده أمست فى قبضة الأجانب من اليونان بعد أن كانت فى أيدى أهلها وشق عليه الأمر جداً ولكن هيهات أن يرد ما فات فجعل يشتغل بتنظيم جيش جديد من أبناءالبلاد وأنشأ سفنا للحرب وغير ذلك من وسائل الدفاع إلى أن مات كما رواه هيرودوتس سنة إحدى عشرة وستمائة قبل الميلاد ودفن فى مدينة صاالحجر فقام بالأمر بعده ابنه (نيخاوس) الثانى المعروف بفرعون الأعرج وكانت مدة حكم بسامتيك نحو أربع وخمسين سنة.

(فى الملك نيخاوس الثانى)
(المعروف)
(بفرعون الأعرج)

تولى الملك بعد موت أبيه (بسامتيك) وكان كأبيه له عناية واهتمام بتحسين أحوال الرعية وتوسيع دائرة التجارة وكان ميالاً إلى الغزو والفتوح واتساع المملكة ونفوذ الكلمة فاهتم بالعساكر والأجناد الذين نظمهم أبوه وأكثر من إنشاء السفن الحربية وفتح على الشام أبواب الحرب وما زالت جنوده تقاتل حتى هزمت جنود الشام وتغلبت على كثير من المدائن وتملك عليها من البر والبحر وقتل ملكها (يوشيا) فى مجدل المذكورة فى التوراة باسم مجدو فبايع أهل الشام ولده يهويا حاز فقاتله (نيخاوس) وظفر به وخلعه وذلك عند رجوعه من غزوة بابل وولى مكانه أخاه (الياقيم) وضرب الخراج على شعب يهوذا فى كل عام مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب وجاء بيهويا حاز إلى مصر أسيراً وبقى بها إلى أن مات وفى أيام (الياقيم) هذا تولى بختنصر الأول ملكاً على بابل فجهز الجيوش وأكثر من معدات الحرب وزحف على أورشليم وملكها واسترد ما كان قد أخذه (نيخاوس) فرعون

مصر من بلاده فانقطع بذلك حكم فرعون عن أورشليم وخسر ما كان اكتسبه من الممالك والمدن فى آسية وعقد مهادنة مع (بختنصر). وقد كان (بختنصر) على عزم مهاجمة مصر وأخذها عنوة وعاد فى نفر قليل إلى بابل من طريق صحراء العرب كما رواه بيروس.

قال بعض المؤرخين ولما عاد الملك (نيخاوس) إلى مصر لم يسكن غضبه على ملك بابل وقومه الآشوريين ولم يهدأ له بال فجيش جيشاً عظيماً وأعد كثيراً من سفن الحرب وعمد إلى إثارة الفتن بين الآشوريين ودس إلى (الياقيم) ملك يهوذا أن يخرج على ملك الآشوريين. وكان (الياقيم) يبغض ملك آشور وينقم عليه لتسلطه على مملكة يهوذا فأطاع لذلك (نيخاوس) وعصى (بختنصر) وخرج عن طاعته فسار إليه (بختنصر) فى جيش عظيم وحاربه حتى أستظهر عليه وضرب عليه الجزية فعاد (نيخاوس) وحرضه على الخروج ثانية فعصى ونكث عهده مع (بختنصر) فأرسل إليه (بختنصر) قائداً من قواده ومعه عساكر بنى (أمون)، (وموآب) فحاصروا أورشليم وشددوا عليها الحصار وفى أثناء ذلك مات (الياقيم) فقام بالأمر بعده ابنه وحضر (بختنصر) إلى أورشليم وأمر فشددوا عليها الحصار حتى استسلمت فخرب بيت المقدس وأخذ ما فيه من الخزائن والتحف وكذلك ما في خزائن ملك يهوذا ، قال مانيطون ، ومع ذلك فقد مات (نيخاوس) المذكور بعد هذه الغزوات بسنتين ولم يبلغ المراد بأخذ بلاد الشام وكان (نيخاوس) المذكور ذا عناية شديدة بتدبير داخلية مملكته وتحسين أحوال رعيته وتوسيع نطاق التجارة فتواتر فى أيامه الاختلاط بالأجانب واتسعت فروع المعاملات كما تقدم القول فخطر على باله أن يصل بحر القلزم بالبحر الأبيض الرومى بواسطة قطع برزخ السويس بترعة موصلة إلى النيل على امتداد أربع مراحل بحرية عرضها يسع سفينتين متحاذيتين ومبدأ هذه الترعة من مدينة بسطة وآخرها بركة التمساح التى كانت تسمى قديماً بالبحيرة المرة حيث كان بحر القلزم يومئذ فشرع فى هذا العمل الجسيم وجدّ فيه وبالغ فى الاجتهاد فمات فيه من العمال مائة وعشرون ألفاً على ما حكاه هيرودوتس المؤرخ فأوقف (نيخاوس) العمل نظراً لما أخبره به بعض الكهان من أن حظ الانتفاع بهذا المشروع الخطير لا يكون إلا لدولة أجنبية قال (ارسطاطاليس) إنما ترك (نيخاوس) وغيره من الفراعنة هذا العمل بعد أن ابتدؤا فيه لما أعلمهم المهندسون بأن سطح البحر الأحمر أعلى من أرض مصر فلذلك لم ينته العمل إلا إلى بركة التمساح. قال بعض المؤرخين: وقد شرع دارا الأكبر ملك فارس فى فتح هذا البرزخ ولكنه عاد فأوقف العمل خوفاً من غرق البلاد

بسبب ارتفاع سطح البحر الأحمر عن أرض مصر ثم أتى الملوك البطالسة من بعد فتمموه وأوصلوه إلى بحر القلزم واستعانوا على حفظ الأراضى المصرية من التلف بأبواب وأقفال ورياحات فسهلت بأحداثه أسباب النقل وراجت التجارة، ولكنه لم يلبث أن طمّ وبقى كذلك إلى دخول عمرو بن العاص مصر بجيوش المسلمين فأمر أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب بفتحه ثم سد فى زمن المنصور الدوانقى العباسى.
قلت: وقد فتحه ديلسبس الفرنساوى على عهد الخديو إسماعيل وصار خط الانتفاع به لدولة أجنبية هى دولة الإنجليز ـ كما قاله الكاهن المصرى.

ولم يقعد الكف عن فتح البرزخ المذكور للملك (نيخاوس) همة ولا أضعف له عزيمة بل تاقت نفسه إلى معرفة محيط قطعة إفريقية؛ والوقوف على مسالكها البحرية، وكان أهل صور وقرطاجة قد استكشفوا سواحلها ورأوا فى بعض بلدانها كثيراً من الذهب والعاج والأخشاب النفيسة والخيرات العظيمة ولكنهم لم يأتوا منها بشىء لما بين الأمتين من البغضاء والشحناء، وقد حرموها على أنفسهم ومنعوا غيرهم من الوصول إليها فأرسل (نيخاوس) طائفة من ملاحى (الفنيقيين) بسفنهم إلى تلك البلدان فطافوا حول إفريقية فى ثلاث سنين وكان مسيرهم من البحر الأحمر ومنه إلى المحيط الهندى ثم إلى المحيط الأطلانطيقى حتى بلغوا بوغاز جبل طارق فعبروا منه إلى البحر الأبيض وساروا حتى وصلوا إلى مصر وحرروا بالدقة ما ظهر لهم من الأماكن والمسافات فعلمت سواحل إفريقية وما حولها من البحار على وجه صحيح، ولكن لم يلبث علمها حتى غاب عن العقول وتناساه الناس وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.

(ومات نيخاوس) الملك بعد أن حكم سبع عشرة سنة كما رواه مانيطون الكاهن. وقال هيرودوتس بل ست عشرة سنة والأوّل أصح وأشهر. فقام بالأمر بعده ابنه (بسامتيك) الثانى الملقب بـ (سنفرأبرع).

(فى الملك بسامتيك الثانى)

(تولى الملك بعد أبيه) ولم يستقر به المنصب حتى قام عليه ملك الإيتيوبيا فسار لقتاله فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة قبل الميلاد وغزاه وظفر به ومات عند رجوعه من الغزو فى نحو السنة السادسة لملكه، ولم يعلم من سيرته شىء سوى أنه وجد حجر فى مقبرة العجل (أبيس) بسقارة يستفاد منه أن هذا العجل ولد فى السابع من بؤنة سنة ست عشرة من حكم الملك (نيخاوس). الثانى ودخل معبد (بتاح) فى التاسع من أبيب من السنة الأولى من حكم الملك (بسامتيك) الثانى ومات فى الثانى

عشر من برمودة سنة اثنتى عشرة من حكم هذا الملك. قال صاحب العقد الثمين: ومن هذا يتبين أن مدة حياة العجل المذكور كانت سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام ويستدل منه أيضاً بوجه التحقيق على مدة حكم نيخاوس الثانى وبوجه التقريب على مدّة حكم بسامتيك الثانى. اهـ.

ولما مات بسامتيك الثانى قام بالأمر بعده ابنه (وح أبرع) الملقب (بحعع أبرع).

(فى الملك وح أبرع)
(ويقال له أيضاً)
(فرعون حفرع)

قد ذكر هذا الملك فى التوراة باسم حفرى وان (صدقياً) ملك يهوذا استنجد به على بختنصر ملك فارس، وكان أرمياء النبىّ فى هذا الحين حياً وقد أنذر صدقياً بخراب مملكة فلسطين ووقوع إسرائيل فى الأسر إن لم يطع ملك بابل ويخضع إليه فلم يلتفت صدقياً لقول أرمياء النبىّ، وقد عميت بصيرته وخرج عن طاعة ملك فارس وجاهره بالعصيان وامتنع من أداء الجزية وتحالف مع (وح أبرع) هذا على قتال ملك فارس فسار (وح أبرع) لنجدة صدقياً بالشام فى جيش عظيم، وقامت الحرب بينهما وبين ملك فارس فلما التقى الجمعان وبرزت جنود فارس وقع الرعب فى قلوب العساكر المصرية وفشلوا فاستظهرت عليهم عساكر بابل وهزمتهم شر هزيمة ثم ركب (بختنصر) بجيوشه على إسرائيل وغزا بلادهم وقبض على صدقيا ملكهم وأولاده وأمر بهم فقتلوا بين يدى أبيهم صدقياً وفقأ عينى صدقياً فهاجر كثير من اليهود إلى أرض مصر فاستقبلهم (وح أبرع) وأقطعهم أرضاً بقرب (دفنه) فانتشروا فى (مجدل)، (ومنف) وسكن بعضهم بصعيد مصر فلما ظفر (بختنصر) باليهود وخلص من حروبه بآسية سار نحو مصر يريد الانتقام من ملكها لمحالفته صدقيا ملك إسرائيل، وقد كان يطمع فى الاستيلاء عليها حيث أخبره أرمياء النبىّ بالغلبة عليها وإدخالها تحت حكمه.

قال المؤرخ يوسفوس وقد أغار (بختنصر) على مصر وقاتل الملك (وح أبرع) وقتله وخرب مصر، وأقام عليها والياً من قبله ثم عاد إلى وطنه وأخذ معه جميع اليهود الذين استوطنوا بمصر. قلت: ولم يعول أصحاب التاريخ على ما قاله هذا المؤرخ إذ هو مخالف لما نقله هيرودوتس. فقد قال: إن المصريين يقولون بأن الهزيمة وقعت على عساكر بابل وأن سفن الملك (وح أبرع) كانت مدت بملاحين من اليونان

فضربت السفن التى كانت فى خدمة البابليين فى تلك الغزوة وأن العساكر المصرية رفعت الحصار عن مدينة صيدا والتجأ أهل الشام إلى التسليم بغير قتال فدخلت حينئذ سواحل الشام تحت سلطتهم رغم أنف (بختنصر) واحتلت الجنود المصرية جهة يقال لها (جبل) وشيدوا فيها معبداً استكشفت آثاره حديثاً كما رواه (رينان) فلما تم النصر للملك (وح أبرع) داخله الغرور وتعاظم وتكبر وادعى أنه أكبر أسلافه سطوة وأوسعهم كلمة. قال هيرودوتس ولكنه لم يلبث فى الراحة طويلاً حتى استنجده سكان سواحل ليبيا على قبائل اليونانيين القاطنين فى القيروان فخاف أن يرسل لنجدتهم جنوداً يونانية من الذين كانوا فى خدمته لأنهم من أبناء جلدتهم فأرسل لهم فريقاً من المصريين، فلما التقى الفريقان عند (إيرانه) اقتتلا فكانت الغلبة على المصريين وانهزموا شر هزيمة ومن بقى منهم كرّ راجعاً إلى مصر فقامت الفتنة عند ذلك على الملك (وح أبرع) وخرجت عليه جنوده المصرية، وقامت أيضاً طوائف الكهنة على الملك إذ ظنوا أنه إنما أرسلهم إلى ليبيا لهلاك من لا يحبه واتسع نطاق الفتنة وعمت جميع البلاد وارتفع لهيبها، وكان ممن قلده الملك (وح أبرع) قيادة بعض الجنود المصرية رجل من العامة اسمه (أحعمس) وكان فطنا لبيًا مدبرا وأصله من مدينة (سيوف) قرية بجوار صاالحجر فأرسله الملك (وح أبرع) إلى العصاة ليردهم عن عصيانهم فسار إليهم ووقف بينهم خطيباً، وأطال النصح وشدد فى القول فبينما هو كذلك إذ تقدم نحوه أحد الجند العصاة ووضع على رأسه مغفراً وصاح بأعلى صوته (قد رضيناك لنا ملكاً)، فلم يمتنع (احعمس) من قبول ذلك واجتمعوا تحت كلمته فسار بهم لقتال الملك (وح أبرع) ولم يكن مع الملك المذكور إلا الجنود الأجنبية التى كانت فى خدمته وهى زهاء ثلاثين ألفاً، فالتقى الفريقان عند مدينة صا الحجر واقتتلا فانهزمت جنود الملك (وح أبرع) ووقع هو فى قبضة احعمس فحبسه احعمس فى مقره الذى كان يسكنه قبل وقوعه فى الأسر وأحسن معاملته وأظهر له غاية الملاطفة وحفظ ناموسه (قال هيرودوتس) فتشفى جنود مصر بما حصل لهذا الملك من الضيم والذل بالعزل والحبس لما كانوا عليه من الحنق والغيظ فأكرهوا الملك (أموزيس) الذى هو احعمس خصمه على أن يسلمه إليهم فسلمه فقتلوه خنقاً فى الحال. اهـ.

وبموته خلا المنصب الملوكى (لاحعمس) المذكور فاستقر به وسمى باسم (أموزيس) ولقب نفسه بـ (خنوم أبرع) وهو الآتى ذكره بعد.

(فى الملك أموزيس)
(ويسمى أيضاً)
(احعمس الثانى)

لما جلس هذا الملك على سرير الملك لم تحفل به الرعية ولم تحترمه العساكر والأحبار لأنه لم يكن ذا حسب رفيع ولا نسب عريق. قيل ولما علم بما خطر فى بعض النفوس من احتقار صفته وخسة أصله وأحس بما وراء ذلك جمع محفلاً كبيراً، وتمثل فيه بإناء من ذهب كان يستعمل فى كثير من الأمور العادية بين أيدى السادة والعبيد ثم صار تمثالاً معبوداً موقراً مهيباً فعظم من هذا اليوم محله فى النفوس؛ وصار مرعى الحرمة والناموس. قال هيرودوتس وتزوّج (أموزيس) بحفيدة الملك (بسامتيك) الأوّل المسماة (عنخ ناس نفرت حت) وكان قد اصطفاها من العائلة الملوكية ليؤسس لنسله منها عائلة ذات حق فى تاج الملك فولدت له ولدا سماه (بسامتيك الثالث) باسم جده وقام بتدبير المملكة خير قيام فحافظ على نفوذ مصر وسلطتها على فنيقيا وأخضع لحكمه جزيرة قبرص وأحسن السياسة مع الدول المعادية لملكة مصر وأزال عنهم الوحشة فانكفوا عن الإغارة وكان يخشى كثيراً من ملك فارس فلما قامت الحرب بين الملك المذكور وبين الليديين استعمل الحيادة ولم يظهر ميلا لأحد الفريقين ولكنه مع ذلك لم يسلم من شرهما فقد أخذوا منه فنيقيا، فلم يعارض خوفاً مما وراء ذلك بل زاد فى حُسن السياسة مع (كيروش) ملك فارس والتزم جانب المسالمة ليحافظ على بلاد من غائلته فصفا له بذلك الوقت وتمتع بالراحة خمساً وعشرين سنة نظر فيها إلى أوجه الإصلاح وموارد الثروة فوسع الترع وأصلح الخلجان وأنشأ الجسور واعتنى بأمر الزراعة والتجارة فاتسع نطاقهما وأثرت البلاد، وعادت إلى مجدها القديم فبالغ المؤرخون فى أيام هذا الملك حتى هيرودوتس حيث جعلها أعظم من أيام سواه من الملوك وأن مصر لم تخصب فى أيام غيره كخصبها فى أيامه الهنية، ولم يفض النيل على مصر بالخيرات فى مثل أيامه ولا صارت قبله كما فى عهده مريعة غنية حتى قيل أن مدتها بلغت فى عهده عشرين ألف مدينة عامرة والغالب أن الكفور والقرى كانت معدودة منها، وكانت هذه زاهية زاهرة كالمدن ، وقد أخبره بذلك الكهنة الذين كانوا يحبون المغالاة والإطراء فى المدح خصوصاً فى أيام تظاهر الفرس.

وقد زاد البلاد إثراء فى أيام هذا الملك اختلاط الأجانب بأهلها للاتجار لا سيما

طوائف اليونان فإنهم كانوا فى ذلك الوقت أصحاب جدّ واجتهاد فى التجارة فضلاً عن الصناعة مما نقلوه عن المصريين بالاختلاط. فمال إليهم الملك (أموزيس) وأحبهم وزاد فى مساعدتهم وتزوّج بنت رجل يونانى اسمه (اركيز يلاوس) وأهدى إلى مدنهم الهدايا النفيسة من التحف المصرية، فأرسل إلى مدينة القيروان تمثال زوجته (لاديكة) ابنة (اركيز يلاوس) وتمثال المعبودة (نيت) مغشيين بالذهب غشاء جميلا وبعث أيضاً إلى طائفة الفنيقيين المعروفة باسم (ليندوس) تمثالين من حجر وزردية من كتان والى (يونون سامين) تمثالين من خشب رآهما هيرودوتس بنفسه، وأكثر من الإحسان إلى اليونان وبالغ فى الترحيب بهم حتى نموا وكثروا وبلغوا مائتى ألف نسمة على ما رواه (ليترون) فأنزلهم جميعاً فى مدينة (نقراطيس) التى قيل أن محلها الآن بندر فوّة. وقيل أنه كوم نكراش وقد جعل محلها محمود باشا الفلكى بالاستظهار (نقرهة) بالقرب من دمنهور البحيرة لقرائن أثرية دلته على ذلك، وقد أباح الملك لهؤلاء الأجانب أن يتمسكوا بأصول ديانتهم وأقطعهم أراضى مخصوصة ليبنوا فيها معابدهم وهياكلهم ومذابحهم على اختلاف طوائفهم وأديانهم فلما كثروا فى مدينة نقراطيس اختطوا حولها مدنا وكفورا ودوّنوا لهم قانوناً مخصوصاً، كان من أحكامه أن كل من يستوطن بينهم من التجار أو غيرهم يجب عليه الانقياد لأحكام قانونهم، فإن لم يقبل ذلك أكرهوه على الرحيل عنهم فيرخص له أموزيس الملك بالاستيطان فى أية بلد شاء من مملكته. قال هيرودوتس ولما اتسعت دائرة التجارة اتخذ تجار اليونان لهم وكلاء من أبناء جلدتهم وبعثوا بهم إلى الجهات التى تمر منها القوافل، فكان بعض الميليزيين فى العرابة المدفونة وبعض الساميين فى الواحات الكبرى، وكان وجود هؤلاء الأجانب لا يخل بشرفهم ولا يقلل من اعتبارهم إذ كانوا تجاراً وعليهم مدار حركة البلد.

وعاقد (أموزيس) مملكة أثينا وعاهدها ووطد عروة المودّة معها، وكان فى أيامه (كيروش) ملك فارس لا ينكف عن التجهيزات الحربية والاستعداد للقتال عند سنوح الفرص، فلما مات (كيروش) وخلفه ابنه (كمبيز) على كرسى المملكة وعلم بما هو عليه (أموزيس) من الضعف والانكماش صار يترقب وقوعه فى الزلل وينتحل لاضرام نار الحرب معه أسباباً ويعظم صغائر الأمور واختلفت روايات أصحاب التاريخ عن تعللات (كمبيز) المذكور وألبسوها أشكالاً وألواناً. فقال هيرودوتس أن (كمبيز) المذكور طلب أن يتزوّج بابنة (أحعمس) ظناً منه أن أباها لا يقبل ذلك فيحاربه فأحس أحعمس بهذه الحيلة وأرسل له ابنة الملك (وح أبرع) فلما دخل بها

كمبيــز ناداها بابنة (أحعمس) فقالت أنا لست بابنتــه فحقد (كمبيــز) عليه ذلك وغزا مصر. وقال هيــرودوتس أيضاً: إن سبب غزو العجم مصر طمــعهم فى ثروتها وما فيها من الخيرات، وقد كان للمــصريين فى ذلك الوقت أسوار وحصون ومعاقل فى الصحراء والأباطح، وكان بين حدود الشام وخان يونس وبحيرة (سربونيس) الضاربة فيها مقدّمات الجيوش المصرية فى ذلك الحين مــسافة شاسعة قلما يقطعها الجيش فى ثلاثة أيام ومع أن صــحراء العــرب لم تكن يومئــذ فى اتساعــها الآن المتــرتب على تخريب الآشوريين والكلدانيين لبلادها وتركها للعرب الرحالة فنهبوها حتى دمرت، وصارت بلقعا غير أن كمــبيز كان يخاف على عساكره من التيه فيــها فتحير فى أمره فقبض الله له رجلاً يونانياً اسمه (فانيس). وفد عليه من ديار مصر وكان قائد جيش فيها فأعلمــه (فانيس) المذكور بحقيقة تلك البلاد ودله على الطريق فــاشتدّت عزيمة (قمبيز) وتقــوّت أطماعه وعقد عهدا مع مشايخ قبــائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطريق الموصلة إلى مصــر ليرخصوا له بالمرور منها، ويأتوا لجــيوشه بالماء على ظهور نوقهم ثم سار بجيوشه وما زالت حتى حلت أمام الطينة فبلغهم إن (أحعمس) قد مات وأن ولده (بسامتيك) الثالث خلفه على سرير الملك. اهـ.

وكان لهذا الملك أعــمال مهمة فــقد أصلح الكرنك جميعــه وقطع الأحجار من محاجر طرا وأســوان ورمم غير الكرنك من المبانى العظيمة بطيبــة التى كانت زوجته مقيمة فــيها ، وكانت الحوادث والأحن قد خربت الأقاليم البــحرية فوجه عنايته إلى تعمــيرها فأصلح منف وبنى فــيها مــعبداً (لأزيس) اندرست آثاره الآن وقــد شاهده هيــرودوتس المؤرخ. فقــال: إنه لم ير أكبــر ولا أعظم مــنه فى ديار مصــر ونصب (أموزيس) المذكور أيضــاً أمام معبد (بتاح) بمــنف عمودا طوله خمس وسبعــون قدماً وبنى فى صا الحجر مــداخل لمعبد (نيت) يقدمها صــفوف من تماثيل أبى الهول على هيئة منــتظمة، ونصب أمام تلك المداخل مسلتــين كبيرتين وصنع لذلك المــعبد خلوة من الصوان الأحــمر المقــتطع من محاجــر أسوان فنقلهــا ألفا مــلاح من أسوان إلى صاالحجر فى ثلاث سنين وطول الخلوة المذكورة من الخارج أحد عــشر مترا وعرضها سبعة أمتار وثمــانية وثلاثون سنتيمترا وارتفاعها أربعة عشــر مترا ووزنها وهى خالية خمســمائة ألف كيلوجرام وقد وضــعها خارج المعبــد لضخامتهــا . ويقال إن سبب وضعهــا هناك هو أن المهندس المكلف بنقلها حين وضــعها خارج المعبــد أخذ يئن مما عاناه من المشاق فى نــقلها فسمعــه (أموزيس) وهو على هذا الحال فأمــر بإبقائها فى محلــها، وقال هيرودتس إن عدم وضعها فى المعبــد ناشىء عن هلاك أحد العمال تحتها،

وقد كان (لاأموزيس) المذكور مراسلات مع الملوك الأجانب، وقد روى لنا التاريخ مراسلة منه مع ملك جزيرة (صيصام) التى يقال لها (سيموس) ينصحه فيها بنصيحة خيرية اقتضاها الحال ويقول له لا تأمن صروف الزمان بل استعد لنوائب الحدثان واقمع النفس بالزهد فى الدنيا عن اتباع هواها واعصها ولا تبلغها بالتشهى مناها، قيل فبمجرد وصول هذه النصيحة إلى الملك المذكور وكان بأصبعه خاتم جوهر نفيس لا يؤثر عليه شيئاً من زينة الحياة الدنيا ألقاه فى اليم وعزم على الزهد فابتلع الخاتم حوت ثم اتفق أن هذا الحوت وقع فى يد أحد الصيادين، وكان حوتاً عظيماً فقدمه لطباخ الملك المذكور فوجد الطباخ فى جوف الحوت خاتم سيده فأعطاه إليه فعلم الملك عند ذلك أن الأشياء سعود وبخوت ، وكان له أيضاً مراسلات مع (سولون) حكيم اليونان ومع ذلك فقد كان لا يحرم نفسه من حظوظها ويوفيها ملاذها. وقال ذات يوم لبعض أخصائه أما علمتم أن القوس لا تؤثر إلا عند الحاجة وترخى متى فرغ القصد منها وهكذا الإنسان إذا اشتغل بجدّ فى أمر مّا فعليه أن يعطى نفسه الراحة ويبلغها من الحظ ما تستروح به وتستريح إليه لأنها إن استدامت على الجدّ داخلتها الحماقة والغفلة واستعدّت للوساوس والجنون، وصارت غير قابلة لإدراك الأمور. اهـ. ومات (أموزيس) بعد أن حكم خمساً وثلاثين سنة على ما رواه بعض أصحاب التاريخ. وقال مانيطون: بل أربعاً وأربعين وخلفه ابنه (پسامتيك) الثالث الملقب بـ (رع عنخ كان).

(فى الملك پسامتيك الثالث)

لم يستقر المنصب بابسامتيك هذا حتى جاءت جيوش ملك فارس إلى أرض مصر ووقفت أمام الطينة تريد القتال فسار إليهم بسامتيك فى عدّة كثيرة من الجيوش المصرية واليونانية الذين فى خدمته وعسكروا أمام العدو وكان (فانيس) اليونانى الذى فرّ من مصر وذهب إلى ملك فارس وهوّن عليه قتال المصريين قد ترك أولاده بمصر فأحضرهم المصريون إلى معسكرهم وذبحوهم بين الصفين وأبوهم ينظر إليهم ويتقطع قلبه حسرة عليهم ووضعوا دمهم فى إناء ثم مزجوه بخمر وشربوه تشفياً وانتقاماً من (فانيس) المذكور على ما فعله وهجموا بعد ذلك هجوماً شديداً على جيوش (كمبيز) فحملت عليهم الفرس أيضاً والتقى الصفان والتحم الجيشان، وكان الملك (كمبيز) قد وضع فى مقدمة جيوشه كثيراً من السنانير والبزاة وغيرها من الحيوانات التى يجلها المصريون فلم يجسروا على القتال ولم يرموا سهامهم على عدوّهم خوفاً من أن تصيب تلك الحيوانات المقدّسة عندهم فرجعوا القهقرى، ولم

يثبت منهم فى صفوف القتال سوى العساكر اليونانية والكارية واشتد القتال بينهم وحمي الوطيس فقتل من الفريقين عدد كثير ثم ظفرت الفرس باليونان والكاريين وتمت لهم الغلبة فانهزموا إلى منف فأرسل لهم (كمبيز) رجلاً من قومه يطلب منهم أن يستسلموا فركب الرسول سفينة يونانية من سفن (مدلين) وسار إلى منف فلما وصل إليها ورآه أهلها خرجوا إليه من القلاع زمراً وقبضوا عليه وكسروا السفينة قطعاً وذبحوا من كان بها مع الرسول أيضاً. فلما علم (كمبيز) بما فعله المصريون غضب جداً وجاء إلى منف وأحاط بها وحاصرها وضيق عليها حتى أخذها عنوة وقبض على ولد الملك (بسامتيك) وقتله وقتل معه عدّة من أكابر المصريين فخضعت البلاد بعد هذه الواقعة لملك فارس (قال بعض أهل التاريخ) ولما استسلمت منف أمر الملك (كمبيز) بإحضار أولاد (بسامتيك) وبنته ومرورهم أمامه بثياب الرق والعبودية ثم طلب أيضاً أولاد أكابر المصريين الذين حكم عليهم بالقتل ليمروا أمامه قبل قتلهم، وكان الملك بسامتيك واقفاً ينظر إلى الجميع مع الثبات والصبر ولم يشفق بهم (كمبيز) وفى هذه الأثناء مر بـ (بسامتيك) أحد ندمائه بلباس الرّق فلما رآه (بسامتيك) على هذا الحال تضجر تضجر الآسف الحزين وضرب بيده على جبهته فتعجب (كمبيز) من ذلك وسأله عن سبب ثباته أوّلاً مع نظره إلى بنيه ثم تضجره وضربه على جبهته عند نظره إلى نديمه. فقال إن البكاء فى جنب مصائبى قليل واعلم ياابن (كيروش) أنه إذا تجرّد الرجل عن مفاخرة وحلت به الخطوب وأحاطت به الكروب ولحقه الجوع والهرم استحق الحزن والبكاء عليه. قالوا: فلما سمع (كيريزوس) أحد قوّاد العجم هذا الكلام بكى وبكى أيضاً (كمبيز) الملك ، وكثير من العجم وحن قلب كمبيز وأخذته الشفقة عليه فعامله معاملة الملوك وكاد يرجع إليه تخت الملك ويجعله تابعاً لحكومته ولكن علم بعد ذلك أن (بسامتيك) المذكور يغرى الناس على الخروج عليه فأمر به فقتلوه فزالت بموته الدولة السادسة والعشرون وانقرضت دولة الفراعنة وزال ملكها، وكانت مدة حكمه كما رواه مانيطون المؤرخ ستة أشهر بحيث لا يكاد يعرف له فيها أمر ولا نهى، وكانت مدة حكم الدولة السادسة والعشرين المذكورة (مائة سنة وثمانياً وثلاثين سنة).

ولما تم الأمر للملك كمبيز ومهدت له الأحوال سلم إدارة البلاد بعد قتله بسامتيك إلى (ايرندس) الفارسي فصارت من هذا الحين تابعة لدولة فارس خاضعة لأحكامها وخيمت عليها شيئاً فشيئاً عناكب الذل والهوان وقام السفه والجهل بين أهلها مقام الرشد والتمدّن وذبلت نضارة علومها ومعارفها وكادت تبور صنائعها

لتوالى المظالم والمحن، وتراكم الخطوب والفتن، وتصرف الهيئة الحاكمة فى الرعية تصرف السيد فى عبيده أو التاجر فى سلعته وتم ما أوحى الله تعالى به إلى حزقيل النبىّ عند سبى بابل وخراب أورشليم حيث قال: (قال الله تعالى لا يكون بعد رئيس من أرض مصر وألقى الرعب فى أرض مصر). قلت ومن أصدق من الله قيلاً وسيأتى بيان هذا فى محله إن شاء الله ، وقد رأينا قبل الكلام على دولة الفرس، وما كان فى أيامها أن نذكر هنا شيئاً من ترتيب مملكة مصر فى القدم وفى أقسامها ومعبوداتها وفى سياستها وأخلاق أهلها وعوائدهم وفى كيفية إقامة الحدود والعقوبات عندهم وفى تمدّنهم وصنائعهم وأعيادهم ومواسمهم وأحكامهم وشرائعهم تتميماً للفائدة، وقد جعلنا ذلك فصولاً على الترتيب الآتى بعد.

(فصل)

(فى ترتيب مملكة مصر فى القدم وفى أقسامها ومعبوداتها)

كانت تنقسم ديارمصر على عهد الفراعنة إلى قسمين عظيمين اشتهرت بهما وهما الأقاليم القبلية، والأقاليم البحرية وكانت الحدود الفاصلة بين هذين القسمين مدينة دهشور. قال أصحاب التاريخ ثم إنهم قسموا الأقاليم القبلية إلى اثنين وعشرين قسما والبحرية إلى عشرين قسما، وكان القسم يعرف فى لغتهم باسم (حتب) وكان لكل قسم من هذه الأقسام حاكم وإدارة مخصوصة وحدود فاصلة من الحجارة المطرّزة بالكتابة وتخت للحكم وهو مقر الجند والكهنة والديانة المتبعة فى ذلك القسم.

قال صاحب العقد الثمين وأقسام الوجه القبلى المعروف باسم (بتورميس) هى أوّلا ـ (تاخونت الفنتبين) وقاعدته مدينة (أب) وتعرف الآن بجزيرة أسوان وأشهر مدنه جزيرة أنس الوجود ومعنى (أب) الفيل وسميت بذلك لأنه كان يباع فيها سن الفيل وكان فيها معسكر وسور ومقياس للنيل وهو الموجود الآن بها. ولهذا القسم معبودان ـ أحدهما (خنوم) ويرسم بصورة كبش ومعناه مصوّر الكائنات ـ والآخر (سبت) أى النجمة المعروفة بالشعرى اليمانية، وكان فى جزيرة أسوان عدة معابد وهياكل فاخرة انطمست آثارها ولم يبق منها سوى بعض حجارة مكتوب عليها ما فيه تذكرة بهذه المعابد والبيوت المقدسة وبجوار مدينة أسوان جبل الصوّان الأحمر المسمى قديماً (دودوشر).

والثانى ـ (ادبوا پولينو پوليتس مغنا) وقاعـدته مدينة (دب) وتعرف الآن بادفو وكان فيها معبد عظيم لمعبـود هذا القسم المسمى (حور) أى العظيم ورسمه على هيئة الباشق وهو الذى تسميه اليونان (ابولون) ويوجـد تجاه مدينة ادفو فى الجانب الغربى من النيل بئر ماء حـفرها الملك (سيتى الأوّل) وتسمى عندهم (تاخنوم) ومـعناه البئر ولم تزل باقية إلى الآن بقرية تدعى (ردسيـا) وهى أوّل محطة للقوافل التجارية التى كانت تمر على الصحـراء إلى البحر الأحمر وأشهر مـدن هذا القسم (خنو) أى جبل السلسلة، وكان مركزا للعلوم والمعارف فى تلك الأزمان.

والثالث ـ (تن لاتو پوليتس) وقاعدته مـدينة (نخب) أعنى القرية المعروفة الآن (بالكاب) الموضـوعة على الجـانب الغربى من النيل وهــى أحد الحصـون القديـمة، وكانت الأرض المجاورة لها شهيرة بمعادن الملح، وموضع هذا القسم الشاطىء الغربى من النيل، وكان كل من حكم هذا القسم يلقب بابن الملك (نخب) ولا يكون إلا من عائلة ملوكية وأشهرمدنه (حابك) أعنـى الكوم الأحمر، وكانت سكانه تحترم المعبودة (نحب) ورسمـها على شكل عقـاب له وجه آدمى وعلى رأسه تاج يسـمونه (اتف) وهى معبودة خصوصية لهذا القسم وعمومية للأقاليم الجنوبية، وكان أكل السمك فى هذا القسم منهيًا عنه وفيه مدن شهيرة منـها (سينى) أى اسنا، وكان فيها معبد عظيم لم تزل تشاهد آثاره إلى الآن.

الرابع ـ (أس ديو سبوليتس) وقاعدته مـدينة(نو) أو (نوامون) أى مدينة طيبة. ويقال لها ثيبة وطيوة وكانت أكبر مدائن الديار المصرية وأشهرها ولم يزل يشاهد فيها إلى الآن من المعابد، والآثار ما يوجب تعجب الناظرين واستغراب المتفرجين ويستدل على حدودها القديمة بالكرنك، ولوقصر والقرنة ومدينة (ابو) الشهيرة قديماً بالمبانى الفاخرة، وكانت دار إقامة لعدّة ملوك متناوبة بـعد مدينة منف واستمرت تختا للديار المصرية نحو ألفى سنة، ولهذا القسم مـعبودان الأوّل (أمون رع) وسمى بهذا الاسم فى عصر العـائلة الحادية عشرة، وهو معبـود خصوصى لهذا القسم وعـمومى لكافة مصر ومـعنى (أمون رع) الشمس الخفية التـى لا تدركها الأبصار عند مغيـبها، وهو رمز للمـعبـود المنظم للكون ومرتبـته فى المعبـودات بعد (بتـاح) منشىء الكائنات، والثانى (مـونت). ويقال له (مونتـو)، أو (منت) وهو معبـود عمومى لهـذا القسم وخصوصى لأشهر مدنه المسماة الآن أرمنت وصورته على شكل إنسان له رأس باشق عليهـا قرص الشمس وريشـتان مسـتقيـمتان قابض بـيده اليمنى على المدية المسـماة (خوبش) إشارة إلى كونه إله الحرب ورب الشجاعـة ويوجد غربىّ مدينة القرنة مقابر

للفراعنة المعروفة الآن ببيبان الملوك وهذا المكان مشهور بأعظم القبور الأثرية التى يهرع لمشاهدتها السياحون فى كل سنة.

الخامس - (قوبطى قوبطيتس) وقاعدته مدينة (قبطى) أى قفط وموضعها على جانب النيل الشرقى ومعبودها (خم) ورسمه على هيئة رجل واقف رافع ذراعه الأيمن إشارة إلى كونه يبذر التقاوى ويده اليسرى مستترة مع جسمه بأقمشة ملتف بها وعلى رأسه ريشتان طويلتان وقضيبه منتصب دلالة على القوّة الموجودة للتناسل والزروع، وكان يعمل له عند وفور المحصولات الزراعية وجودتها موسم عظيم بالكيفية المرسومة على آثار مدينة (ابو)، وكانت تمتد من تلك المدينة طريق للقوافل التجارية فتمر بالصحراء من جهة القصير إلى أن تتصل بالبحر الأحمر، وكان فى جنوب قفط مدينتان تعرفان الآن بشنهور وقوص الشهيرة قديماً باسم (كوسى).

السادس - (تام تنتريتس) وقاعدته مدينة (تنترر) وتعرف الآن بدندره وموضعها على شاطىء النيل الغربى، وكان أهل هذا القسم يحترمون الكوكب المسمى (حاتحوم) أى الشعرى اليمانية ويحرّمون على أنفسهم أكل العسل والسمك كما كان أهل القسم الثالث يحرمون على أنفسهم أكل السمك.

السابع - (سوسخم ديوسبوليتس) وقاعدته (حا) وهى مدينة (هوّ) الآن ومعبودها (نبتا ونفرحتب) وموضعها على جانب النيل الغربى، وقد اشتهرت قديماً هى والقسم التابع لها بخصوبة الأرض ونضارة البساتين.

الثامن - (ابزوثينيتس) وكانت قاعدته فى الأوّل مدينة (تينى) أعنى طينة وهى مسقط رأس الملك (منا) ثم صارت قاعدته بعد دمارها مدينة (أبدو) أى العرابة المدفونة، وكان أهل تلك الجهة يحترمون المعبود (انحور) ومعناه الذى بيده مقاليد السماء والأرض ورسمه على هيئة صبى متوّج بتاج فوقه أربع ريشات وبيده حبل، وكانت مدينة العرابة المدفونة ذات شهرة عظيمة بسبب المقبرة التى كانوا يعتقدون أن معبودهم (أزوريس) مدفون فيها، ولذا كانوا يأتون إليها فى كل عام زائرين ويتمنون الدفن فى تلك البقعة المقدسة عندهم، ولم يزل يشاهد فيها إلى يومنا هذا بأطراف الصحراء عدة مقابر فاخرة.

التاسع - (خم بانوبوليتس)وقاعدته مدينة (بنجم) أى أخميم وهى موضوعة على جانب النيل الشرقى ومعبودها (خم) السابق ذكره الذى من صفاته أيضاً أنه منزه عما توصف به سائر الذوات وكان لأهل أخميم شهرة عظيمة بالمهارة فى فن صناعة الأقمشة ونحت الحجارة.

العاشر ـ (وص افروديتو پوليتس) وقاعدته الأولى (دبو) أعنى مدينة النعال، وهى المعروفة الآن بقرية (ادفه) على الجانب الغربى من النيل بحرى سوهاج، وكان أهلها يعبدون (حور) أى العلى. وقاعدته الثانية (دوكا) أى (قاو) ومعبودها (ست) أى الشيطان، وكان لهذا القسم شهرة عظيمة بمعادن الحجارة النفيسة التى كانت تستخرج من الجبال المجاورة له بالجانب الشرقى من نهر النيل.

الحادي عشر ـ (سماهبسليتس) وقاعدته مدينة (شس حتب) ويستدل عليها بالقرية المعروفة الآن باسم (شطف) وكانت مستودع الأسرار الدينية ومعبودها (خنوم) أى منشىء الكائنات وبارئها.

الثانى عشر ـ (دوف أنتيوپوليتس الشمالى) وقاعدته مدينة (نونت بك) ويستدل على محلها بقاو الكبيرة ومعبوداتها (حور ومتى أى أزيس).

الثالث عشر ـ (أتف خونت ليكوپوليتس) وقاعدته مدينة (سيوط) أى أسيوط ومعبودها (أبماتن) أى الحافظ على جميع ما فى الجهة الجنوبية من الأموات والسبل، وهو على شكل ابن آوى وجثته مدفونة فى الجهة الغربية من أسيوط، وكان أهل هذا القسم يحترمون أيضاً المعبود (حاتحور) يعنى الشعرى اليمانية.

الرابع عشر ـ (انف بحو الفروديتوپوليتس) وقاعدته مدينة قوص ومعناها مدينة الرخام الأبيض، ويستدل عليها الآن بقرية قوصنيه، وكان للرخام الذى يستخرج من مقاطع تلك المدينة شهرة عظيمة عند الأقدمين، وكان أهل تلك الجهة يحترمون المعبودة (معا) ويرسمونها جالسة ملتفة بأقمشة، وعلى رأسها علامة بالهيروغليفية تدل على العدالة ونطق هذه العلامة (معا) ويعتقدون أن هذه المعبودة تقدم الأموات إلى محضر الحكم يوم القيامة.

الخامس عشر ـ (آن هرموپوليتس) وقاعدته (سنو) يعنى الأشمونين ومعبوده (تحوت) يعنى (هرمس) ومعناه رب الحكمة.

السادس عشر ـ (مح هبونن) وقاعدته مدينة (هبون) ويستدل عليها الآن بقرية انصنا ومعبودها (حور) يعنى العظيم، وكانت بلدة شهيرة ويشهد لذلك آثار المعابد والخلوات التى كانت معدة للجنائز فى الجبال القريبة منها وأشهر مدنها (سات) يعنى بنى حسان (وثانويل) يعنى الكوم الأحمر.

السابع عشر ـ (انومنسينوپوليتس) وقاعدته مدينة (كاسا) وتعرف الآن باسم قلوصنه ومعبودها (أنوب) وهو ابن آوى وأشهر مدنها سملوط.

الثامن عشر ـ (سبوت اكسير تحيتوس الشمالى) وقاعدته مدينة (حاسوتن) ومعبوده (أنوب).

التاسع عشر ـ (وسب اكسير تحيتوس الجنوبى) وقاعدته (بماص) يعنى البهنسة ومعبوده (ست) يعنى الشيطان.

العشرون ـ (أم ادخونت هيراقليوپوليس) وقاعدته (خينتو) يعنى اهناس المدينة، وله معبودان هما (خانوم) و(حورشف) أى القادر وأشهر مدنه مدينة بوص.

الحادى والعشرون ـ (أبحوا رسينونيتش) وقاعدته مدينة (صخور) ومعبودها (خنوم) يعنى مصور الكائنات وأشهر مدنه (بى سبك) يعنى الفيوم، وكانت تعرف أيضاً باسم (بسيومع) يعنى مدينة اليم.

الثانى والعشرون ـ (تباحوا مزوديتوپوليتس) وقاعدته (تياح) يعنى أطفيح ومعبوده (حاتحور) أى الشعرى اليمانية، وآخر حدوده من الجهة البحرية مدينة دهشور وهى الفاصلة بين الوجه القبلى والبحرى كما تقدم.

(فى الكلام على أقسام الوجه البحرى)
(المسمى قديماً)
(يتومحيت)

أول هذه الأقسام (انبوحز منفيتس) وقاعدته مدينة (منفر) يعنى المكان العظيم أو المينا العظيمة، وتعرف عند مؤرخى العرب باسم منف وهى منحصرة فيما بين البدرشين وميت رهينة ومديرية الجيزة ولها معبودان **الأول** (بتاح) يعنى الفتاح ويلقبه القدماء بالمبرىء منظم الكون ويرسمونه على الآثار تارة متوجاً بتاج الجعران واطئا بأرجله تمساحاً إشارة إلى الانقلاب والتغيير وتارة على شكل موميا مطلقة اليدين يشيرون بذلك إلى استحالة الروح بعد خروجها من الجسد إلى نور يصعد إلى السماء ينضم إلى نور الشمس **والثانى** المعبودة (سخت) يعنى حرارة الشمس المهلكة. ويقال إنها منوطة بعقاب الخاطئين فى النار ورسمها على شكل آدمى له وجه سبع وعلى رأسه الشمس، وكان يوجد أمام الكرنك يعنى أمام المعبد جملة من تماثيل هذه المعبودات موضوعة صفين بانتظام ونقل بعضها الآن إلى متحف فرنسا ويوجد وراء منف أهرام لعدة ملوك من الطبقة الأولى، وكانت منف قاعدة للملك مدة سبعين قرناً وحدها القبلى شنباب، والغربى بحر يوسف والشرقى النيل والبحرى الجيزة، وكان فيها قصور ومبان فاخرة بقيت عامرة إلى عصر اليونان ويوجد بقربها على

الشاطىء الشرقى من النيل محاجر طرا وتعرف قديماً باسم (طرويا) وكان يستخرج منها الحجارة لبناء الهياكل وغيرها.

الثاني - (اعاليتو پوليتس) وقاعدته مدينة (سخم) المسماة الآن وسيم وهى على الجانب الأيسر من فرع رشيد ومعنى (سخم) المكان المنزه عن شوائب التدنيس ومعبود هذا القسم (حور) أى الأعلى الفخيم.

الثالث - (امنت) ويقال لها (ليبيا) أو (ماريدس) أو (مومنفيتس) وقاعدته مدينة (نى نوننت حى) يعنى مدينة الثور (ابيس)وموضعه جهة مريوط ومعبوده (ستى).

الرابع - (سبيريس منيتانتس) وقاعدته مدينة (صقع) يعنى (كاتوب) وموضعها بجوار أبى قير على الجانب الأيمن من فرع رشيد، وكان أهل هذا القسم يحترمون المعبود (آمون رع) والمعبودة (نيت).

الخامس - (سابى محت سايتس) وقاعدته مدينة (صا) يعنى صا الحجر، وكانت مدينة شهيرة فيها هيكل فاخر مؤسس لعبادة المعبود (تحوت) يعنى رب الحكمة ولهذا القسم معبودة تسمى (بست).

السادس - (كاسيت اكسوتيس) وله قاعدتان الأولى (سخاوة) ومعناها سخاوهى الموجودة بمديرية الغربية، وكانت مدينة عظيمة اجتهدت فى عمارتها العائلة الرابعة عشرة واتخذتها تختا لها مدة من الزمن ومعبودها (أمون). والثانية (عنت عرى حوس) يعنى مدينة السبع الكاسر كناية عن (أمون).

السابع - (امنت متليتس) وموضعه بين مديريتى الغربية والبحيرة، وله قاعدتان الأولى مدينة (سنتسينفر) يعنى مدينة مسيل. والثانية مدينة العطف المسماة قديماً (دبيت). وكان أهل هذا القسم يحترمون المعبود (حور) والمعبودة (إزيس) ويرسمونها على شكل امرأة جالسة فوق رأسها كرسى.

الثامن - (ابوت سنروتيس) وموضعه فى مديرية الدقهلية بجوار بركة المنزلة وقاعدته مدينة (سوكوت) المذكورة فى التوراة بهذا الاسم ومعبودها (توم) ومعناه الشمس وقت غروبها ورسمه على شكل آدمى متوج بتاج يسمى (بشنت) وكان فيها قصر للملك (منفتاح) وقلعة حصينة بالقرب من مدينة (رمسيس) المعروفة قديماً باسم (بيتوم) وكانت هذه القلعة مفتاح الديار المصرية فى العصر القديم.

التاسع - (آتى بوصيريتس) يعنى قسم أبى صير وقاعدته مدينة (بى اسرتب دو) يعنى مدينة أبى صير ومعبوده (ازوريس) وهو المقدس الذى يحكم فى أحوال

الأرواح ويصحب الإنسان بعد موته فيهديه إلى أقدام الرب الأعلى ويوصف بفاعل الخير.

العاشر ـ (كاكم اتربيتس) يعنى اتريب فى مديرية القليوبية على الشاطىء الشرقى من فرع دمياط ويستدل عليه بتل اتريب وقاعدته مدينة (حاتحوراب) يعنى مدينة الأرض الوسطى ومعبودها (حور) يعنى العلى ولقبه (خنتى حتى) وكان له معبد عظيم فى مدينة (حتى) القديمة.

الحادي عشر ـ (كاحبس كباسيتس) وقاعدته مدينة (كاحبس) يعنى شباس، وكان سكان هذا القسم يعبدون الشيطان (ست).

الثانى عشر ـ (كاتب تيتوس) وقاعدته (سب نوتر) يعنى مدينة سمنود ومعبوده (انحور) المسمى عند اليونان (مارس).

الثالث عشر ـ (حق آن هيلوپوليس) وقاعدته مدينة (آن) يعنى المطرية، وكانت دار علوم ومعارف وفيها معبد للشمس ومسلتان إحداهما مسلة الملك (أوسرتسن الأوّل) القائمة الآن هناك على ساقها، وهى تدل على باب المعبد المذكور، ولم يزل يشاهد فى تلك المدينة ما فيه تذكرة بمبانيها الفاخرة، ولهذا القسم معبودان الأوّل (حورمخو) يعنى الشمس وقت الشروق والغروب. والثانى المعبودة (يوزاس).

الرابع عشر ـ (خونت ابدت تانيس) وقاعدته مدينة (صعن) يعنى صان وكانت مدينة شهيرة لا سيما فى عصر (رمسيس الثانى) الذى شيدها وسماها باسمه وفيها أظهر موسى عليه السلام المعجزات لفرعون (منفتاح) الأول لإطلاق بنى إسرائيل من مصر فأذن لهم بالرحيل، فخرجوا من تلك المدية بعد اجتماعهم فيها وساروا إلى (سوكوت) حيث أمرهم الله، وكان لهذا القسم معبودان الأوّل (حور) يعنى العظيم الفخيم والثانى المعبودة (حونت أبوت).

الخامس عشر ـ (بحع هرموپوليتس) وقاعدته (بى تحوت) وتسميها اليونان (هرموپوليس) يعنى أشمون الرمان، ومعبوده (تحوت) يعنى كوكب المريخ.

السادس عشر ـ (خامندسيوس) وقاعدته (بى بى نب دد) ومعناه (مندس) يعنى قرية تمى الأمديد وله معبودان الأوّل (بى نب دد) وتسميه اليونان (مندس) والثانية المعبودة (حامحيت).

السابع عشر ـ (سمهود پوسپوليتس) وقاعدته مدينة (باخن أمون) المعروفة عند اليونان باسم (باخنامونيس) ومعبوده (أمون رع) والآلهة موت.

الثامن عشر ـ (أم خونت بوبوتيتس) وقاعدته مدينة (بى بست) أعنى مدينة بسطة ويستدل على محلها الآن بتل بسطة ومعبودها الآلهة (بست) المعروفة عند اليونان باسم (ديانا) ولعلها دميانا التى تزورها الأقباط فى كل عام.

التاسع عشر ـ (امحت بوتيكوس بثنوتس) وقاعدته مدينة (بيوتو) أى كوم الرمان ويعرف عند اليونان باسم (بوتو)، وهو اسم لمعبود هذا القسم أيضاً.

العشرون ـ (سبت عربيا) وقاعدته مدينة (باقوسيم) المعروفة عند اليونان باسم (فقوسة) ويستدل على موضعها بالقرية المسماة الآن فقوس ومعبوده (ست) أى الشعرى اليمانية . قال: وهذه الأقسام متفق عليها فى عصر الفراعنة والبطالسة.

(فصل)

(فيما كانت عليه سياسة البلاد وفى إقامة القضاة وفى الدعاوى والأحكام)

ولما عرفت الأمة المصرية أن لابد من رابطة وثقى لا انفصام لها بين الراعى والرعية والرئيس والمرؤوس، وتحققت أن الحكومة الملكية التى تكون على مثال ما كانت هى عليه إلى ذلك الحين لا تقوى أركانها ولا ينجح لها عمل إلا بالشورى، قامت بتعضيد ملكها وأمدته بالمال والرجال وضمت إلى ديوانه جماعة العلماء والحكماء وأصحاب الرأى فكان أمناء الدين فى ذلك الحين فى صدر الهيئة الحاكمة يرتبون ديوان الملك داخلاً وخارجاً ويشاركونه فى جميع أموره وعليهم معتمده وإليهم المرجع فى فض المشكلات، فإذا مات حكموا عليه بأنه كان فى أيامه من أهل السعادة أو الشقاء وأنفذوا عليه الحكم، وتحرير الخبر أنه إذا مات الملك وانتشر خبر نعيه مزق الناس ثيابهم وأغلق الكهنة أبواب المعابد والهياكل ومنعوا من تقريب القربان وامتنعوا من عمل المواسم والأعياد واستمروا على هذا الحال من الحزن اثنين وسبعين يوماً إجلالاً لمنصبه، وكانت فى خلال هذه المدة تنتشر جموع الناس من الذكور والإناث مرتين فى كل يوم فى الشوارع والحارات للندب وإنشاء المراثى فكانت هذه المدة عندهم مأتماً حافلاً يحزن فيه الخاص والعام فإذا انقضت هذه الأيام وضعت جثة الملك محنطة مصبرة فى دهليز المقبرة ثم بحثوا عن جميع ما فعله من خير أو شر بحضرة الألوف المؤلفة من الناس على اختلاف درجاتهم وأخذ كل يعدد محاسن الملك ومساويه ويذكر ما حسن من سيرته وما قبح ثم يطلب حكم الجمهور

فإن حكم بدفنه دفن بهذا الاحترام على مقتضى مقامه الملوكى وإلا حرم وجرد عما يجب له من واجب التعظيم.

ولم يكن للأهالى ولا لعامة الناس قط تداخل مع الملك فى حكم البلاد إلا فى هذا الأمر ومع أن هذه المداخلة ليست إلا بالأمر الهين لا سيما بعد الموت، قد كانت نتيجتها من أهم النتائج وأكبرها وأشدها تأثيراً على بيت الملك، وقد حرم من الدفن كثير من الفراعنة لقبح سيرتهم فخاف خلفاؤهم العاقبة وأجهدوا النفس فى إصلاح العمل وسلوك مسالك العدل فراراً من هول هذا العقاب، وكان المصريون فيما عدا هذه الحالة يخدمون ملوكهم ويقدمون لهم واجب الطاعة بقدر الاستطاعة حتى كانوا يعبدونهم كعبادتهم الآلهة إذ كانوا يعتقدون أن من قدر له فى عالم الغيب منصب الملوكية، ووفق للعدل بين صنوف الرعية فهو بشرفى مظهر الألوهية.

وكانت ملوك المصريين تختار من بين أمناء الدين والكهنة فى محفل من المبعوثين من كل إقليم نوابا وعليهم فى المداولات الاعتماد فكانوا يجتمعون فى البرية التى بين ميت رهينة والفيوم فتشكل منهم جمعية عمومية تنعقد فى الحوادث المهمة كالصلح والحرب وتجديد التراتيب وتغيير الدولة عند خلو المنصب الملوكى وغير ذلك من الأمور الخطيرة، ولم يكن من شأن الملوك يومئذ مباشرة دعاوى الخلق ولا الحكم بأنفسهم فى الوقائع بل كانت المحاكم محلاً للأقضية والأحكام فكان القضاة والحكام يخرجون من مدينة منف وعين شمس بالأقاليم البحرية، ومدينة أبو بالأقاليم القبلية، وكانت كل مدينة من هذه المدن ترسل عشرة من القضاة لإجراء الأحكام فيجتمع من المدن الثلاث ثلاثون قاضياً لمجلس القضاء، وكان للقضاة الثلاثين المذكورين الحق فى نصب قاض منهم رئيساً عليهم وبعد نصبه يكملون عدة الثلاثين من مدينة القضاة العشرة الذين اختير منهم ذلك الواحد، وكانت نفقاتهم من خزينة الحكومة ومرتبات رئيسهم من بيت المال، وكانت لا تقام الدعاوى فى مجلس القضاء إلا بالكتابة ولا يسمع التداعى أو التخاصم بالمشافهة والمخاطبة مخافة أن تنجذب قلوب القضاة من سماع كلام أحد الخصمين وتستميل قلوبهم فصاحته أو عذوبة ألفاظه إذ ربما ترتب على ذلك الانحراف فى الأحكام فلذلك كان يكتب المدعى شكواه أولاً ويبين مقدار ما يلتمس الاعتياض به فى نظير ما خسره أو ما حصل له من الإساءة فيعطى للمدعى عليه صورة ما كتبه خصمه ليعلم ما قاله فيرى كلام خصمه ويناقضه بما شاء ثم يجوز أن يعطى جواب المدعى عليه للمدعى عساه أن يجيب عنه وكذلك يجوز أن يعطى للمدعى عليه بعد ذلك فإذا فرغت المناقشات

وجب على مجلس القضاة بعد البحث فى القضية أن يحكم فيها بما يظهر له فيكتب الحكم أيضاً ويختمه رئيس القضاة على وجه عجيب وذلك أن الرئيس له سلسلة من ذهب معلق فى عنقه فيه صورة من الجوهر عليها تمثال الحق فعند افتتاح المذاكرة لابد من تعليق الصورة فى عنقه فإذا صدر الحكم من المجلس صدق عليه الرئيس بختمه بصورة الحق ووجهها صوب أحد الخصمين الحاضرين بالمجلس حين الختم علامة على أنه ظهر له الحق فعمل به وأنفذه وبقيت الحال على ذلك إلى زمن البطالسة أيضاً، وقد عثر أهل العلوم الأثرية على شقة من البردى وهى موجودة بمتحف مدينة تورينو من أعمال إيطاليا مكتوب عليها باللغة اليونانية ملخص دعوى نظرت بالمحكمة الكبرى بمدينة طيبة، وكانت بين أحد المصريين وأحد اليونانيين وتعريب ما فيها ، تقدمت هذه الدعوى إلى محكمة طيبة عاصمة المملكة المشمولة برئاسة (هيركليد) حكمدار الخفر السلطاني وحاكم قسم الضواحى ورئيس جباة الأموال بالقسم ومعه كل من (بوليمون هركليد) الجمباز و(ابونيوس هرموجين) صديق الملك بمعيته و(بانكرات) ضابط من الدرجة الثانية و (بانسكوس) من أهالى مصر إلخ قضاة بالمحكمة المذكورة.

(الموضوع)

إنه فى الثانى والعشرين من شهر أتير يعنى (هاتور) سنة أربع وعشرين من حكم بطليموس أو يرجيطه أى (الرحيم) طلب (هرماس) بن بطليموس حمكدار نقطة امبو الحربية خصمه المدعو (هوروس) بن (أرسيازى) المصرى ومعه فلان ، وفلان ، إلخ الجميع صناعتهم مباشرة تحنيط الأموات للحضور أمام هذه المحكمة لأن المذكور اغتصب منزله الكائن بمدينة طيبة المحدود من بحرى، إلخ، وبعد ما سكنه فى غيبته وأخذ يباشر صنعته به وأبى الخروج منه وأن (هرماس) المدعى طلب المدعى عليه وهو (هوروس) جملة مرات للحضور أمام المحاكم الأخرى لأجل حصوله على حقه لم يفد ذلك شيئاً وأن المدعى عليه كان يستعمل المراوغة والحيل كما أن المدعى كان مجبوراً على عدم مباشرة الدعوى لإقامتها بمحل وظيفته إلى أن نظرت أخيراً بهذه المحكمة للحكم فيها نهائياً.

قال الراوى لهذه الحكاية أما وجه التمليك للمنزل فمذكور فى عمودين ونصف من الورقة المشار إليها ، وذكر بعد ذلك أقوال المحامين عن الخصمين وهما (فيلوكليس) النائب عن المدّعى و(دنسيون) النائب عن المدّعى عليه ، قال وملخص

ذلـك، أن كل واحد منهما كان يبرهن بالأوراق والحـجج والعقود والتواريخ المثبتة لصحة تمليكه المنزل متمسكاً بنصوص بنود القانون العامى والمدنى وأخذ (فيلوكليس) يزدرى بجمعـية المحنطين للأموات مسـتظهراً بالقوانين والأوامر السلطانيـة الصريحة المانعـة لمباشـرة هذه الصنعة بقـرب المسـاجد أمـا (دينون) فكان يدافع عن جمـعيـة المحنطين ويذكر حـالتها الطبيعـية وشدة الحاجـة إليها وأنها بمكان عظيم فى الهـيئة الاجتماعية وشرح نصوصها القانونية وبالغ فى الشرح والتعبير وفند مدعيات خصمه وشد النكيـر على (فيلوكيس) اليونانى لانتـهاكه حرمـة القواعد المقدسة المـرعية عند جميع المحاكم على اخـتلاف درجاتها ، وكان فى خلال هذا الدفـاع يقول إن موكله يمتلك تـلك الدار من أعوام كثـيرة وجعل يـعددها ثم عطف فى أثناء المرافـعة على بعض مواضـيع أثنى فيها على حُـسن الإدارة وعلى الكثير من القضـاة وما لهم من شرف الوظيفة، وعلى الترتيبات النظامية الجارية بالقطرالمصرى وذكر أحوالاً أخرى لا تخلو عن الفـائدة التاريخـية ، قال الراوى ثم صـدر الحكم فى العمـود التاسع من الورقة المذكورة برفض دعوى المدّعى اليونـانى واحقية (هوروس) المصرى بتلك الدار لثبوت وضع يده. اهـ. **قلت** وطريقة هذه المرافعة لا تختلف فى شىء عما هو جار بالمحاكم الآن فرحم الله تلك الأيام ما أعدلها.

(فصل)

(فى كيفية الحدود والعقوبات عندهم)

كانت للمصريـين أحكام غريبة دونت فى كتب شرائعهم وذلك كـعقاب الحانث فى يمينـه بقتله، قالوا: وسر ذلك أن الحانث يرتكب كبـيرتين أولاهما كونه حلف كاذباً وخان معبوده بسبب حلفه به كذبا. وثانـيتهما لأنه غش الناس وخدعهم بيمينه الفاجرة ليـصدقوه فأوقعـهم فى تصديق الكذب ، ومن أحكامـهم أن من رأى فى طريقه من يقتل إنسـاناً أو يصول عليه ولم يغثه من القتل أو الصـيال مع قدرته على ذلك فجزاؤه القتل. فإذا كان لا يقدرعلى إغاثته بنفسه وإنما يتمكن من طلب الإغاثة بغيره وجب عليـه أن يطلب إغاثته من القادر عليـها فإذا قصـر فى ذلك قتل أيضاً. وكذلك إذا علم أحد بقتل آخر وجب عليه التـبليغ لأولى الأمر فإن لم يفعل فجزاؤه القتل، قالوا لأن وجوده كعدمه، ومنها أن الخائن الذى يبلغ الأعداء أسرار الحكومة ويطلعهم على عوراتها جزاؤه قطع لسانه وكذلك من يصطنع النقود الزيف أو يطفف المكاييل والموازين أو يزور فى الأختام والمكاتيب والحجج فجزاؤه قطع يده.

قلت: ولعل قول الراوى (وكذلك من يصطنع النقود الزيف إلخ) فيه زيادة عن الأصل حيث اجتمعت كلمة أهل التاريخ على أن النقود لم تستعمل بديار مصر إلا فى أيام الدولة السابعة والعشرين الفارسية ويدل على صحة ذلك ما قاله هرودوتس المؤرخ من أن دار ابن (هستاسب) هو أول من ضرب نقود الذهب وبالغ فى تصفيتها وأن دارا المذكور حكم بالقتل (على اريانديس) عامله بمصر حين علم بأنه ضرب نقوداً من الفضة . اهـ.

قال أهل التاريخ وقد كانت النقود المتداولة قبل دارا المذكور اصطلاحية على أشكال مختلفة كالضفادع والحلقات والثيران والعجول الصغيرة المصنوعة من الذهب والفضة والمعادن الأخرى مرقوماً عليها قيمتها ووزنها وعيارها فكانوا يقومون بها السلع والبضائع ويقال هذا يعادل حلقتين من الذهب أو من الفضة وهذا بثلاث ضفادع أو أربعة ثيران مثلاً. وكانت جزية الأمم الخاضعة لمصر كلها من حلقات الذهب أو الفضة تقبضها منهم بالوزن.

وكات الأحكام على النساء أيضاً غاية فى الشدّة وبالنسبة لهن كذلك فإن من ثبت عليه أنه اغتصب امرأة حرّة غير رقيقة بالزنا فجزاؤه قطع آلته. قالوا لأن فى هذا الذنب ثلاث كبائر الأولى: التعدى على امرأة بهتك عرضها، الثانية: السعى خلف إفساد الأخلاق السليمة والعوائد فى الهيئة الاجتماعية، الثالثة: ما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب فإذا زنى بها برضاها فجزاؤه جلده ألف جلدة وجزاء المرأة قطع أنفها لتشويه خلقتها حتى يسقطع ميل الرجال إليها، ولا ينفذ الحكم على الحبالى منهن إلا بعد الوضع ومن أحكامهم أن الدين المدّعى به لا يثبت على المدين إذا حلف على رؤوس الأشهاد أن ذمته بريئة من ذلك الدين وأن الدائن لا يستحق فى ذمته شيئاً ووجه ذلك أن اليمين أقوى ما لم يثبت الدائن عليه دينه بسندات ومن أحكامهم أيضاً أن الربح عندهم فى أى شىء كان فى البيع والشراء لا يتجاوز رأس المال وإلا عدّ من الغبن الفاحش، وأن من كان عليه دين فأملاكه كافلة لذلك الدين وضامنة له وأما ذات المدين يعنى شخصه فليس لمدينه عليه ولاية قالوا وسر ذلك أن ذات المدين مملوكة للهيئة الحاكمة بحيث تطلبها فى كل وقت وفى كل حال سواء كان ذلك فى زمن الصلح أو زمن الحرب. فلذلك كان لا يجوز القبض على أحد من الأهالى ولا حبسه فى الأمورالخصوصية كالدين ونحوه ويحكم بقطع يمين مطفف الكيل والميزان ومقلد ختم السلطان أو ختم أحد الناس ومزور الخطوط ومغير مواضيع الدعاوى الرسمية، ويحكم بالعذاب ثم بالحرق، ومن قتل أحد أبويه عمداً

أحرق حيا ومن قتل ابنه أو ابنته يحكم عليه بأن يعانق جثة المقتول أيام بلياليها . قال هيرودتس: وبقى الحكم بالقتل معمولا به إلى عهد الملك سباقون أحد ملوك العائلة الخامسة والعشرين فأبطله واستبداله بالأشغال الشاقة فى حفر الجسور ونحو ذلك من المنافع العمومية. قال: ومن مآثر الملك (مايس) أحد ملوك العائلة السادسة والعشرين أنه فرض على كل مصرى أن يثبت اسمه بالكتابة فى آخر الجهة الداخل فى دائرة اختصاصها ويبين مهنته ووسائل معيشته وتكسبه فإن أكل أو ظهر أنه يأكل من طريق الحرام والسحت حكم عليه بالقتل.

(فصل)

(فى تمدن المصريين فى صنائعهم وعقائدهم وبعض عوائدهم)

اعلم أن دلائل الآثار وما جاء به التاريخ المصرى القديم والحديث أثبت ما كان عليه أجدادنا المصريون من المعارف وما وصلوا إليه من درجات المدنية وما حازوه من الفنون العقلية والفلسفية والطبية والكيماوية، وكيف تقدّموا وبرعوا ونالوا الأسبقية فى علم الهيئة والنجوم والهندسة لا سيما فن الطب الذى اتقنوه إتقاناً غريبًا جداً إذ كان الطبيب عندهم لا يتفرغ إلا لمعالجة مرض واحد من الأمراض فيتقنه غاية الإتقان. قال بعض الكتاب: وقد وجد كتاب محرر فى فن الطب من عهد الملك (خوفو) وكتابان آخران أحدهما من عصر الملك (منكورع) كله تذاكر طبية، وثانيهما كان قد وجد فى عصر الملك (سيتى) فتممه الملك (سندا) ثم نقلت هذه النسخ فى مدة العائلة الثانية عشرة والتاسعة عشرة ولنفاستها تداولتها مدارسهم وحفظت فى مكتبة (امبحت) التى بقيت إلى عهد اليونان، وكان حكماء اليونان يستنبطون منها العلاج، قال هيرودوتس المؤرخ: وكان قدماء المصريين يعتنون بصحة أجسامهم زيادة عن غيرهم من الناس فكانوا كل شهر وثلاثة أيام يتعاطون مقيئات وشربا لتنظيف أجوافهم لأنهم كانوا يعتقدون أن أمراض الإنسان تنشأ عن المأكولات، قال: وإن الطب كان مقسماً عندهم إلى أقسام متباينة بمعنى أن كل طبيب كان يشتغل بنوع مخصوص من الأمراض ولهذا كان حكماؤهم كثيرين . اهـ.

وقد برعوا فى عمليات التصبر ووصلوا فيه إلى درجة لم يتأت لأحد من بعدهم الوصول إليها ومع ذلك. فقد كانوا لا يميلون إلى البحث فى علم التشريح ولا

التفنن فيــه لاعتقادهم أن الجسم إذا شــرح يكون مشوه الخلقة عند بعـثه. ولذا كانوا يبغـضون كل من كان سبـباً فى تشريح جثـة موتاهم حتى إن المصبـر الذى كان من وظيفته عمل الفتحات اللازمـة لعملية التحنيط كان عرضة للعن والكراهة، وكان إذا عمل الـفتحـات المذكورة فى الجـثة خـرج مسرعـاً فيلحـقه الحـاضرون ويرجـمونه بالحجارة، وكان الأطباء لهذا السبب يعالجون المرضى حسبما كانت تقضى به الشريعة عندهم فإن خالفوا ذلك أخطئوا وخاطروا بأنفسهم ، وإذا مات المريض حال معالجته حكم على طبيبه بحكم القتل، وقد ورد فى الرسالة القديمة المحفوظة بخزانة التحف ببرلين عدّة مســائل مهمة تتعلق بحياة الجسم الإنـسانى عندهم وتعريب بعض ما فى تلك الرسالة.

أن للرأس اثنين وثلاثين وعاء توصل النفس إلى داخله ثم يسرى منه هذا النفس إلى جمـيع أعضــاء الجسم، ويوجـد أيضاً فى الصــدر وعاءان يوصـلان الحرارة إلى الشــرج ووعاءان فى القــمحـدوة واثنان فى قمـة الرأس واثنان فى القفـا واثنان فى الأجفـان واثنان فى الأذن اليمنـى ومثلهمـا فى اليســرى لحصـول التنفس واثنان فى الخيـاشيم. اهـ. والنفس هو مـا يستنشقـه الإنسان من الأهوية فـيدخل فى الأوردة والشرايـين ويمتـزج بجميـع الدم الذى به حركـة الإنسان وعند مـوته ينقطع النفس بخروج الروح وتبطل حركة الدم فـيموت الإنسان. وذكر أيضاً فى الرسـائل الطبية القديمة أسماء بعض الأمراض كـالرمد والدوالى والقرح والحمرة والديدان والصرع. ونحو ذلك وفيها أيضاً باب مخصــوص لبعض معالجات نافعة للحمل والولادة وورد فى رسالة قديمة مـحفوظة بانتكخانة برلين بعض علامات لتـشخيص الأمراض التى هى أهم كل شىء للحكيم من ذلك تشخيص نوع من الالتهاب تعريبه:

أن يحس الإنسان بألم فى البطن وبضعف فى الأبهر وبالتهاب فى القلب ويشتد ضرب النبض وتثـقل الملابس عليه بحيث لا يدفئـه كثيرها وتلتهب بطـنه عند قضاء الحاجة، ويشتد ظـمؤه فى الليل، ويتغير معه طعم المأكل فيكون كـرجل أكل جميزاً ويخدل جسمه كما يخدل جسم الإنسان المريض . اهـ.

وعلاج ذلك منصوص فيهـا على أربعة أنواع إما أن يعالج بالمراهم أو باللبخ أو بالجرع أو بالحقن حسب الطباع فمن هذه الأربعة ما يتركب من خمسين نوعاً منها ما هو من النبـاتات والأشجـار كالعوسج والذرة ومـنها ما هو مـن المواد المعدنيـة مثل كبريتات النحاس والملح وملح البارود. اهـ.

وكـان بعض علماء الطب يدخـلون فى تركيب المراهم المزيـلة للالتهـاب اللحم

والقلب والكبد والمرارة والدم السائل والجاف لبعض الحيـوانات لا سيما الشعر وقرن الإيل فكانوا كثيراً ما يستعملونهما فى تركيب بعض المراهم النافعـة لمعالجة الالتهاب وكانت أجزاء كل دواء تسحق على حدتها ثم تغلى وتصفى بخرقة وتمزج بعد ذلك بالماء القراح النقى أو بسوائل كمغلى الشعير ولبن البقر والمعز وزيت الزيتون النقى. وغيـر ذلك كبـول الإنسان والحيـوان ثم تحلى بالعسـل ويتعاطى منهـا المريض وهى ساخنة فى الصباح والمساء ، أما الصرع المعروف عند العوام بالعفريت فكانت معالجته على نوعـين إما بالرقـية أو بالطـب والأولى عبـارة عن عزائم كـانوا يقرؤنهـا على المريض فيخرج منه الصرع وسنذكر هنا نص العزيمة المكتوبة فى الـرسالة المحفوظة بالانتكخانة الإنكليزية بمدينة الليد وتعريبها:

(أيها الجنى السـاكن فى فلان بن فلان المسمى أبوك بضـراب الرؤوس قد محى ولعن اسمك إلى الأبد لأنه جالب للموت . اهـ.

وتكرر هذه المقالة أربع مرات فإن كانت هذه العزيمة لا تزيل الصرع أتى الطبيب بعزيمة أخرى لإزالته. فإذا زال من المريض اجتهد الطبيب فى معالجة الجسم بالأدوية لدفع ما حصل للمريض من الهزال بذلك الصرع وبهذا تعلم أن الرقية اشتهرت عند قدماء المصـريين بإزالة المرض الخفى كما أن الطب اشتـهر عندهم أيضاً بإزالة المرض الظاهرى.

وكانت درجـة العلوم عندهم عظيمة جـداً وذات أهمية كـبرى. قال لبسـيوس وجدت نقوشاً قديمة على جدار مقبـرة من مقابر قدماء المصريين بجوار أهرام الجيزة مضمونها أن صـاحب هذه المقبرة كان ناظرا على الكتبخانة الملوكـية فى مبدأ العائلة الثانية . اهـ.

وما ذلك إلا لعنايتهم الكثيرة بكتب العلوم حـتى جعلوا لها خزانة وناظرا. قال بعضـهم ومن هذه الكتب ما كان محـررا فى مدّة العائلات الثلاث الأوّلى ومنـها ما كان مـؤلفا فى عهد الملك (منـا) ومنها ما كان قـبله مما يتعلق بالديانات خاصـة وما يتعلق بالهندسـة والطب وعلم الفلك وعلم التاريخ المشتمل علـى قصص الملوك وما حصل فى مدتهم من الوقـائع والحوادث المهمة وعلى مـدة كل ملك وتاريخ حياته، وكان فى الخزانة المذكـورة كتب فلسفية وأدب وبعض كتب خـرافات وغير ذلك ولم يتيسر للناس من ذلك إلا شىء قليل من علم الفلسفة والتاريخ.

وكان ما استكشفوه من علم الفلك كما رواه العلامة لبسـيوس عبارة عن بعض النجـوم السـيـارة التى هى المشـترى والمـريخ وزحل والزهرة وعطارد وبعض نجـوم

ثوابت. قال ده روچية وكانوا يشبهون الأرض بالكواكب ويقولون انها تنتقل كالمريخ والمشترى وذهب شاباس إلى أن الشمس مركز الجميع وأنها تسير سيراً عمومياً وتسبح فى السماء مع النجوم السيارة وأن السماء لجة ماء تحيط بالأرض من جميع جهاتها وتركز على الجو فهو لها كالأساس المتين كما جاء ذلك أيضاً فى ورقة برلين الأثرية ويدل على ذلك أيضاً ما يشاهد على الآثار من رسم السماء على هيئة الماء وفيها تسبح الكواكب والنجوم على أشكال بشرية وحيوانية كل منها فى سفينة خلف الشمس وتشاهد فيها أيضاً النجوم الثوابت على هيئة مصابيح منتشرة فى القبة السماوية، وكانّ القدرة الإلهية توقدها كل مساء لتضىء الأرض أثناء الليل وجعلوا فى مبدأ هذه الهيئة النجوم التى كانوا يعبدونها وغيرها مما لا يمكن مقارنة أسمائها القديمة بالأسماء الحالية، كما تشاهد مرسومة فى الرصدخانات القديمة الموجودة بدندرة وصان ومنف والمطرية.

وكانوا يهتمون كل سنة بعمل تقاويم سنوية يبينون فيها ظهور وغروب الكواكب ولم تزل آثارها باقية وأشهر هذه الكواكب الشعرى اليمانية حيث كان ظهورها علامة على مبدأ فيضان النيل وعلى رأس السنة المصرية ولذا اتخذوها أساساً للتقويم. قالوا: وكيفية تقويمهم أنهم قسموا السنة إلى اثنى عشر شهراً كالجارى عند القبط إلى الآن وقسموا الشهر إلى ثلاثين يوماً فتكون السنة ثلثمائة وستين يوماً. ثم قسموا هذه الشهور إلى ثلاثة فصول كل فصل منها أربعة شهور. فالأول فصل فيضان النيل. والثانى فصل التخضير. والثالث فصل الحصيد. ثم قسموا أيضاً كل شهر إلى ثلاثة أقسام وجعلوا كل قسم عشرة أيام وقسموا الليل والنهار إلى اثنتى عشرة ساعة وعلى هذا الحساب زادت سنتهم خمسة أيام وربعا فنشأ عن ذلك عدم موافقة الفصول لمنازل القمر فاضطروا إلى رصد الشمس ثانياً واستقر رأيهم على إضافة خمسة أيام لكل سنة سموها بأيام النسىء. ومع ذلك لا يزال يرى فرق بين السنة البسيطة والكبيسة. لأن عدد السنة البسيطة ثلثمائة وخمسة وستون يوماً. وعدد الكبيسة ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم فصارت السنة الكبيسة تزيد كل أربع سنين يوماً واحداً سماه الكهنة بيوم الشعرى اليمانية. وكانوا يجعلون لها مواسم وأعيادا فى معبد (شيسوحور) بمدينة منف. وأما علم الرياضة فلم يهتد إلى شىء من كتبه وإنما دل بناء الأهرام الشامخة وتشييد العمارات المتسعة والمقابر المتقنة على أن فن الهندسة كان متقدماًجداً وأن المصريين كانوا يعرفون مقاييس الأجسام وجر الأثقال حتى أمكن المهندسين منهم أن يبتنوا تلك الأهرام الجسيمة والبرابى العظيمة الموجودة بسقارة وغيرها على شكل غريب وصنع عجيب وقد وجدت بعد بناء الأهرام بألفى

سنة رسالة فى الهندسة أظهرت حقيقة ما كان عليه هذا الفن فى عصر العائلة التاسعة عشرة.

وكانت لهم اليد الطولى فى صناعة الذهب والفضة وأعمال أشكال الحلى النفيسة وهم الذين اخترعوا آلات الحرث وصنعوا الزجاج بألوان مختلفة، وكان لهم اتصال مع بلاد الهند والصين بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون إلى تلك الجهات ما راج عندهم من الحبوب والمواشى والفخار والزجاج ويستبدلونها بالعطر والبهار والياقوت. وغير ذلك من النفائس والأصناف العزيزة عندهم.

ومن عوائدهم أنه إذا أراد إنسان اقتراض مبلغ من المال يجوز له أن يقترض ويرهن فى نظير ذلك - أى فى نظير دينه - جثة أبيه المدفونة فيكون قبر أبى المدين تحت يد الدائن إلى وقت استحقاق الدين فإذا لم يوفى المدين دينه ومات حرم من دفنه فى مقابر والديه وتحرم أولاده أيضاً ما لم يوفوا دين والدهم.

ومن عوائدهم أن الولائم التى يتخذها الأغنياء يحضرون فيها بعد الطعام فى غيرالمكان المعدّ له نعشاً مرسوماً عليه صورة من الخشب جيدة الصنعة على هيئة جثة الميت ينظر إليها جميع الندماء عند الشراب والطعام ويفرج بعضهم بعضاً عليها بالمناوبة فيقول بعضهم للبعض انظر إلى هذه الجثة التى سنكون مثلها بعد الموت فاشربوا ياهؤلاء هنيئًا وتمتعوا بدنياكم قليلاً.

ومن عوائدهم احترام الفتيان للشيوخ فإذا قابل الفتى شيخاً فى طريقه تأخر عنه فى السير وإذا قدم شيخ على مجلس فيه فتيان قاموا إجلالاً لشيخوخته وإذا تقابل المصرى مع إخوانه فى موضع ولزم التسليم على من لقيه انحنى للآخر وجثا على ركبتيه وقبل كل منهما يد صاحبه.

ومن عوائدهم أنهم كانوا لا يجالسون الأجانب ولا يأكلون معهم شيئاً ويبغضونهم بغضاً شديداً وكانوا إذا مات أحد أشرافهم مرغ نساء بيته وأولات قرباه الوجوه بالوحل وقرعن صدورهن وطفن بالمدينة صارخات باكيات. **قلت**: وهذه العادة باقية كما هى إلى يومنا هذا، وهكذا يفعل الرجال أيضاً ثم يأتون بالجثة إلى المحنطين وبعد التحنيط ينعقد مجلس القضاء على الميت فيأتون بالجثة أمام عرش القضاة فإن كان الميت من أهل الصلاح والتقوى ووجد من شهد بذلك صدرالحكم بدفنه مكرماً وإن كان ذميماً دفن على خلاف اللائق ولو كان من أعظم الأشراف أو ملكاً من الملوك وقد تقدّم الكلام على ذلك فى محله.

وكانوا إذا حنطوا الجثة أخرجوا دماغ القحف من المنخرين وأخرجوا الأمعاء إلا

القلب والكليتين من ثقب فى الخاصرة ثم يغسلونها بخمر الخل ويردونها إلى أجوافها ويملئـون الرأس وأجـواف الأمعـاء بالمر والقـرفـة وكل نوع من الأطيـاب والعطور ويدهنون الجسـد بالزيوت العطرية مدة ثـلاثين يوماً ثم يوضع فى مـاء النطرون مدة أربعين يوماً ثم يلف بلفائف مغموسة بالمر مدهونة من الخارج بماء الصمغ للوقاية من الهواء ثم يـوضع فى تابوت من الخشب أو الحـجر ويسلم لأهله فـإما إن يبـقوه فى بيوتهم وإمـا أن يدفنوه وكان أجـدادنا يلبثون الثـياب من الكتـان ولها طراز وفوقـها برانس من الصـوف الأبيض ولكـنهم كـانوا لا يلبسـون تلك البـرانس فى المعـابد والهياكل ولا يكننون بها موتاهم بل يقتصرون على الملابس الكتان لأن ديانتهم كانت تحرم عليهم ذلك.

ومع أنهم كـانوا كثيـرى الآلهة والمعـبودات فقـد كانوا أمـة موحـدة تعرف الله سبحـانه وتعالى وتعبده حق عبادتـه كما يؤخذ من كلام (بورفيـر) المؤرخ وغيره من المتأخرين . وقال هيرودوتس أن أهل طيبة كانوا لا يعبدون إلا الله وكانوا يقولون أنه هو الأول والآخر الحى الأبدى الذى لا يزول ولا يحول وروى (جـامبليك) أنه سمع باذنيـه من كهنة المصـريين أنفسـهم أنهم يعبـدون إلها واحـداً وهو خالق السـموات والأرض رب كل شىء المالك لكل شىء والخالق لكل شىء الأزلى الذى لا موجد له المنزه عن المباضـعة الذى لا تراه العيون يعلم مـا تكن السرائر وتخفيـه الصدور وهو الفعال لما يريد الموجد لكل شىء والموجود فى كل شىء. قـال: أما ما نراه من كثرة المعبـودات وتعدد الآلهـة فكلها رمـز يرجع إلى وحدانيـته وذاته العليـة. قال المؤرخ (شمبليون): وقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار صحة ما رواه المؤرخ (چامبليك) وما ذكره غيـره من المتأخرين من أن الأمة المصرية كانت أمة موحـدة فى عبادتها لله سبحانه وتعالى غير أنهم كانوا يظهرون صفاته العلية مشخصة فى بعض المحسوسات وأنهم لما تغلغلـوا فى سبل التـوحـيـد وقطعوا آخـر مـرحلة علمـوا أن الروح أبدية واعتـقدوا بصحة الحـساب والعقـاب. قال: وعندى أنه لا يعتـد بما قاله بعض أهل التاريخ من الأغراب الذين تطفلـوا على محافل المصريين فنقلوا من أخبـار عباداتهم ومعـبوداتهم كلامـاً اكتفوا فى نـقله بالظاهر دون الحقيـقة لجهلهم بعـادات المصريين ولغتهم ومبلغ علمهم بالديانة الصحيحة.

ومن المقرر على مـا رواه بعض المحققـين أن موسى عليه السـلام لما أخذته ابنة فرعون أبقتـه فى دار أبيها حتى ترعرع ثم أدخلته إحـدى مدارس الكهنة ويغلب أنها مدرسة عين شمس فتعلم الحكمـة وتخرج على كبار كهنة المصريين وتعلم منهم اسم

الله المكنون الذى كانوا يصونونه عن غيرهم من العامة. ولذلك قال بعض الكتاب أن لفظة (أدوناى) العبرانية التى قالها موسى عليه السلام ومعناها (الله) هى مشتقة من لفظة (ادن) أو (آتن) المصرية ومعناها عند عامة المصريين الشمس. وأما عند الكهنة والخواص فمعناها (الله القادر). قالوا وقد وجد على بعض الأوراق ما يدل على أنهم موحدون من ذلك أن الله واحد لا شريك له وهو خالق كل شىء ، ومنها الله فرد أزلى كان قبل كل شىء ويبقى بعد كل شىء لا بداية له ولا نهاية وقس على هذه العبارة ما يماثلها.

وقال العلامة سبرو نقلاً عن بعض المحققين من أهل التاريخ إن من يتأمل فيما بقى من الآثار القديمة بديار مصر وينظر إلى ما هو منقوش على اللوحات الدينية الموجودة بالهياكل وما هو مسطور أيضاً على البردى هالته كثرة تلك الآلهة المصوّرة عليها وأدهشه أمرها جدا لأن الإنسان لا يقع نظره إلا على صور تماثيل مختلفة الهياكل والأشكال قد طأطأت لها رؤوس كبار ملوكهم وأحبار كهنتهم فيخيل له أن ديار مصر إنما كانت مأهولة بهذه الآلهة وأن المصريين إنما خلقوا لعبادتها، وقد كان السبب فى ذلك أن المصريين أمة مخلصة فى العبادة إما بالفطرة وإما بالاكتساب فكانوا يرون أن الله تعالى فى كل مكان فهامت لذلك قلوبهم فى محبته واشتغلت أفكارهم به ولهجت ألسنتهم بذكره وملئوا كتبهم بمحاسن أفعاله وكانوا يقولون أنه واحد لا شريك له كامل فى ذاته وأفعاله موصوف بالعلم والفهم لا تحيط به الظنون ولا يدخل تحت الكيف والكم قائم بالوحدانية في ذاته لا تغيره الأزمان فهو الذى ملأت قدرته جميع العوالم وهو الأصل والفرع لكل شىء وكلاهما واحد ثم عددوا صفاته العلية وميزوها بالأسماء واشتقوا منها نعوتا شخصوها فى المحسوسات وفى كل شىء نافع وجميعها يرجع إليه ولأجل التمييز بينها جعلوا لكل اسم تمثالا فانتشرت هى وما اشتق منها حتى ملأت المدن والبلاد فجعلوا لكل ناحية معبودات وميزوها بها لعدم الالتباس فنشأ من ذلك جملة معبودات متباينة فى الشكل مختلفة فى الهيئة منها الحيوان والطير والأسماك والحشرات وجعلوا لكل واحدة وظيفة خاصة ترجع إلى صفاته. قال: من ذلك معبودهم (أمون) وهذا عندهم هو الله الذى ينبعث منه كل شىء ويعطى للعقل نور القوّة لإدراك الخفايا، ومنها (بتاح) وهو فى معتقدهم الذى أتقن كل شىء ومنها (أوزيريس) وهو الله الرحيم فاعل الخير، وعلى ذلك يكون (أمون)، و(بتاح)، (وأوزيريس) أسماء لصفات مترادفة ترجع إليه تعالى. اهـ.

قال بركش باشا: وقد حصروا صفات الله تعالى العلية فى سائر الأشياء النافعة

كالثور والشمس مثلاً وغيرهما وعبدوه أى عبدوا هذه المنفعة لأنه مصدرها وأصلها وكانت الكهنة تعرف حقيقة ذلك جيداً ولا تقصد فى عباداتها إلا وجه الله تعالى.

أما العامة فقد كانوا على خلاف ذلك فإنهم مع توالى الأعصار صاروا يعبدون تلك الأشياء لذاتها ولجهلهم بالحقيقة كانوا يتقربون إليها زلفى وفشت فيهم هذه الزندقة. قال: وقد دل على ذلك ما رواه بعض أهل التاريخ عن بعض الأسفار المصرية القديمة المنسوبة إلى هرمس الهرامسة يعنى هرمس المثلث ما صورته، يا مصر يا مصر يأتى عليك يوم يتغير فيه دينك القديم ويتبدل منهاجك القويم فتعم ربوعك الضلالات وتنبث فى أرجائك الخرافات وتحل عبادة الأوثان محل عبادة الواحد الديان وتطفىء نار الشرك والإلحاد نور الهدى والرشاد وتنحصر أخبارك فى بعض أحجارك. اهـ. وقال مريت باشا: اتفقت كلمة الجم الغفير من متقدمى أهل التاريخ على أن المصريين كانوا يعبدون الله وحده ولكننا مع الأسف لم نجد لذلك شاهداً على الآثار حتى كنا ننزل قولهم منزلة اليقين إذ الشك فى قولهم هذا آخذ كل يوم فى الازدياد. اهـ.

وكان لملوكهم عناية كبرى ببناءالمساجد والهياكل وبذل النفيس فى تزيينها بالنقوش الفاخرة والرسوم الظاهرة والألوان المختلفة وكانوا يقطعونها الإقطاعات الواسعة ويرصدون عليها الإرصادات الكثيرة تقرباً للآلهة وتخليداً لذكرهم وذكر أيام ملكهم وكانوا جميعاً على اختلاف طبقاتهم شديدى العناية بتربية سائر أنواع الماشية والطيور إذ كان عليها مدار ثروتهم وخصوصاً أرباب الزراعة منهم فكانوا يهتمون بشأنها ويحسنون تربيتها ويستخدمون لعلاجها الأطباء والبياطرة والخدم وكانوا يقيمون لكل نوع منها كالمعز والأوز والضأن رعاة مخصوصين ولكل طائفة من أولئك الرعاة رئيس مسؤل عنها وكانوا يبالغون فى حسن تربيتها لا سيما الثيران فإن عنايتهم بها كانت أشد بكثير نظرًا لتفاخرهم بنطاحها وتحسين نوعها، وكان رئيس الرعاة هو المكلف بتمرينها على النطاح، وكان من عادة أولئك الرعاة وكبارهم أنهم إذا جاؤا إلى ساداتهم ليخاطبوهم فى أمر مّا وقفوا أمامهم بخضوع وخشوع وهم واضعون يدهم اليمنى على كتفهم الأيسر علامة على الطاعة وكمال الامتثال أما يدهم اليسرى فمرسلة تشير باحترام وكانت تربية هذه السوائم المختلفة فى الأقاليم البحرية أكثر منها فى الأقاليم القبلية لاتساع أرضهم وكثرة الكلأ عندهم، قال صاحب الأثر الجليل: وقد وجدت لوحة فى إحدى المقابر بجوار الأهرام عليها رسم صورة صاحب القبر كأنه على قيد الحياة واقفاً يتفقد أحوال ماشيته وهو متمنطق ومتقلد بشريط عريض ينزل من كتفه الأيسر إلى خاصرته اليمنى وبيده عكاز طويل

وفوق رأسه راية من القماش المزدوج يحملها خادم ليقيه حر الشمس وبجواره بعض صغار أبناء آوى. وفى عنقه قلادة أو عقد وأمامه خدم أو رعاة تسوق أنواع الحيوانات وفوق كل فريق منها رقم واضح به كميته وفى مقدمة الجميع قطيع من الحمير يتقدمها جحش وعددها ثمانمائة وستون وعلى كتف الراعى عكاز عليه جلد حمار مات فى الغيط ليطلع سيده على صحة موته ثم يتلو ذلك قطيع من الغنم بقدر تسعمائة وأربعة وسبعين رأساً وخلفه راع يحمل فى يده سلة بها رأس حيوان بلا قرون يظهر من حالها أنها رأس ذئب ثم يتلوه سرب من البقر وعدده ثمانمائة وأربعة وثلاثون ثوراً ثم مائتان وعشرون ما بين عجل وبقرة ثم يتبعه قطيع من المعز وعدده ألفان ومائتان وأربعة وثلاثون. قال ووجد على حجر فى مقبرة أخرى لأحد أغنياء مصر الوسطى أن عدد حميره كان يبلغ ألفا وثلثمائة وأربعة وبقره ثمانمائة وثلاثين، والغالب أن بقر الملك كان من أجود الأنواع واكتشف بعضهم فى مقبرة لأحد وجوه مدينة منف صورة خدم وحشم يقدمون قرباناً إلى الميت (وهو سيدهم) من محصول أرضه ونتاج ماشيته مثل التمر والتين والعجول والأوز والغزال والفاكهة والأزهار ومنهم من يقود ثيراناً عظيمة الجرم منها الأبيض والأحمر والأسود وفى أعناقها قلائد بها زينة على شكل نبات البشنين ومنها اثنان من لونين مختلفين موسومان على فخذهما الأيسر بسمتين مربعتين سوداوين مكتوب فى إحداهما (المنزل الملوكى نمرة ٤٣) وفى الآخر (المنزل الملوكى نمرة ٨٦) قال الراوى وربما كان هذا الرقم يدل على عدد الثيران التى كانت من نوع كل ثور عليه هذه الوسمة. اهـ.

وكان من عاداتهم أنهم يرسمون رب العائلة واقفاً متكئاً على عصا طويلة علامة على الحكم والتصرف فى منزله وعائلته ، وكانوا يحبون اللعب بالشطرنج والكرة والضامة والمصارعة وكانت المصارعة عندهم مفروضة على سائر الجنود من المشاة وأصحاب العربات وهى عندهم عبارة عن تمرينات ومنازلة مختلفة النوع والشكل فترى المصارعين منهم تارة فى هيئة الهجوم أو الدفاع وتارة فى هيئة الكر والفر يتناوبان ذلك بالدور والترتيب فينهزم المغلوب ثم يعود غالباً ويستعمل كل منهما ضروب المخاتلة والمراوغة وهما عاريان ليس على بدنهما إلا منطقة عريضة تستر سوأتهما.

وكانت تربية العساكر عندهم تستلزم الأيام الطوال، وكان يدخل فى تمريناتهم أيضاً سائر القواد وكبار الجند فكانوا يتعلمون قواعد الحرب وأركانه وأسباب الهجوم والدفاع ومقارعة العدو وكان سائر أولاد العسكر يتعلمون كآبائهم ويتمرنون فى حداثة سنهم على الحركات العسكرية والسبب فى ذلك أنهم هم الوارثون لآبائهم

القائمون بحماية الوطن من بعدهم وكان لا يجوز لأى إنسان منهم أن يشتغل بحرفة أخرى ما دامت فيه قوة على حمل السلاح.

وكانت الأسلحة المستعملة عندهم القسى والرماح والمزاريق والنشاب والحراب والحسام والخنجر والسيف والنصل والدبوس والشاطور والبالطة والسكين والدرق والزرد والدروع والمغفر، وكان نظام معسكرهم لا يختلف كثيراً عن النظام المتبع فى دول هذا الزمان فكان متقنا منظماً مرتباً ترتيباً عسكرياً ، وفيه مضارب الجند ومواقف العربات وبيوت المرضى والممرضين والأطباء ومحضرى العقاقير وأمرائهم والنقالات والأسرة وأصحاب الحملة ودواب النقل من الخيل والحمير والمكلفين بحمل جرار الماء، وكانت جندهم تنقسم إلى فيالق مسماة بأسماء معبوداتهم فكان منها فيلق (بتاح) وفيلق (آمون) وفيلق (أزوريس) ونحو ذلك فإذا باشروا الحرب براً كأن يكون العدو قد جاءهم من طريق البر قاتل الملك فى وسط الجيش وهو على ظهر عربته كآحاد القواد وإن باشروا الحرب بحراً اصطفت سفن المصريين أمام سفن العدو بقرب الساحل فتجرى وتتحرك بواسطة الشراع والمجاذيف وتصطف عساكر الرماة على الساحل مدداً للسفن ويرمى الجميع بالنبل والنشاب على سفن وشوانى العدو والملك واقف على قدميه فى وسط العساكر البرية يدبر حركة القتال ويقوى عزائم الجنود حتى يتم لهم الظفر بالعدو وربما اقتفوا أثره وحرقوا حصونه وقلاعه وهدموا أسوار مدنه أو عاقدوه على الهدنة أو الصلح وغير ذلك مما هو جار الآن على السواء ثم يعودون بعد النصر إلى الوطن فيسيرون فرقا فرقا والملك فوق عربته يقود خيلها بنفسه وهى مطقمة بأجمل زينة لها مجللة بأحسن ما يكون والأسرى أمامه وهم مكبلون بالحديد والضباط تحمل المظلات على رأسه فإذا دخل المدينة واقترب من المسجد ترجل ودخل وأثنى على معبوداته ثم يتوجه إلى مقره ويعين يوماً للتبريك فتأتى إليه الوفود من أرجاء المملكة فيجتمعون فى قصره ثم يخرج بهم إلى المعبد وأمامهم أصحاب البوق والنفير والشبابة والطبول والمغنون والمرتلون ويتلوهم أهل الملك وأقاربه ثم الكهنة وكبار الدولة وعظماؤها ثم ولى عهد الملك ويمشى أمام الملك وهو حامل للبخور ثم الملك فى هودجه المحلى بأنواع الزينة يحمله اثنا عشر ضابطا من كبار القواد وعلى رأس كل واحد ريشة من ريش النعام وتمشى أولاد الكهنة حول الهودج وهم حاملون قضيب الملك وقوسه وجميع سلاحه والشارات والرنك الملوكى ثم يتلوهم باقى الأمراء والكهنة وكبار الجند وحول الجميع فرقة من المشاة تمشى على شكل حلقة لتمنع الناس من العبث بنظام المشهد فإذا دنا من المسجد ترجل فتقابله الكهنة على شكل مخصوص من التجلة والتكريم فيدخل ويتعبد ما

شاء ثم يعود إلى مقره فى موكبه كما حضر وكان لكل عائلة فى مثل هذه المحافل العمومية نظام وترتيب على ما يناسب الزمان والمكان.

وقد اجتمعت كلمة بعض أصحاب التاريخ على أن الجيش المصرى لم يكن به عساكر من الفرسان وبنوا قولهم هذا على أنهم لم يعثروا على شيء من ذلك البتة لا فى الآثار ولا فى اللوحات الحربية ومع أنهم كانوا من الفروسية ومعرفة ركوب الخيل بمكان عظيم لكنهم لم يدخلوا ذلك فى جيوشهم،قال صاحب الأثر الجليل: والدليل على ذلك يعنى على معرفة المصريين للفروسية أنه وجد فى كثير من النصوص الأثرية صورة فارس يركض جواده ونجاب يعدو مسرعاً بفرسه وهو قابض على قراطيس من ورق أو مكاتيب ليسلمها فى محل لزومها ووجد أيضاً صورة أجنبى يعدو بفرسه وهو بلا سرج فراراً من الموت . اهـ.

وأيد هذا المذهب العلامة شيمليون فيجاك حيث قال: ما علمنا أنه كان لمصر فرسان وأن الغرض من الفرسان المذكورة فى التوراة هم راكبو العربات لا راكبو الخيل وأن التوراة ذكرت فى موضع آخر أن فرعون غرق فى البحر بخيله وعرباته وفرسانه أى المقاتلة الذين كانوا عليها. قال: ويؤيد صحة ما قلناه من خلو الجيش المصرى من الجند الفرسان كيفية تربية العساكر وتمرينها المنقوش على الآثار وجميعها مشاة ولم نر للفرسان فيها أثرا . اهـ.

وكانت الجندية عندهم معدودة فى الطبقة الثانية بعد الكهنة وكان الملك هو قائد قواد الجند وعليه تعيين الرؤساء لسائر الفرق من أولاده وأقاربه أو من أولاد ذوى البيوتات وأعاظم العائلات بشرط مراعاة الكفاءة والأهلية وكان الغزاة من ملوكهم الميالون إلى الفتح يقودون الجيوش بأنفسهم إلى حيث يطوحهم القتال وعليهم تدبيرها فى الحال والترحال وكان الملك منهم يقف فى ساحة الحرب على ظهر عربته كآحاد الجند وهو شاك سلاحه وحوله جند الحرس الخاص وكبار الضباط وهم يقذفون سهامهم على العدوّ ويضربون بأسلحتهم ما استطاعوا وقد شوهد على الآثار أن كثيراً من هؤلاء الملوك كان يقتنص الأسود وهى صغيرة ويربيها حتى تصير داجنة فكانوا يسيرونها أمام عربة الملك عند الخروج للحرب فكانت تقاتل وتبلى فى العدو بلاء حسناً.

(فصل)

(فى أعيادهم ومواسمهم)

وكان المصريون من ذوى البراعة فى علم التقويم ولهم أعياد ومواسم معدودة يقدمون فيها للآلهة من الذبائح والقرابين شيئاً كثيراً،قال صاحب العقد الثمين:

وكانت مـواسمهم منقسـمة إلى أربعة أقسـام، القسم الأول ـ فى أعياد السنـة وفيه ثلاثة أعياد العيد الأوّل عيد رأس السنة والثانى عيد السنة الكبيرة أى الكبيسة والثالث عيد السنة الصغيرة أى البسيطة، والقسم الثانى فى أعياد الشـهور، وفيه عيدان الأوّل عيد الحر الكبيـر، وكان يعمل فى غرة أمشير. الثانى عيد الحـر الأصغر وكان يعمل فى غرة برمـهات، والقسم الثالث فى أعياد الأيام وفيه عشـرة أعياد عيد غرة الشهر وثانيه ورابعه وخامسه وثامنه وخامس عشـره وسابع عشره وتاسع عشريه وثلاثيه من كل شهـر وعيد أيام النسىء الخمسة، والقسم الرابع وفيـه تسعة أعياد خصـوصية، الأول عيد ظهور الشعـرى اليمانية فى غرة توت، الثانى عيـد (واك) وكان يعمل فى السابع عشر والثامن عشر من كل شهر، الثالث عيد المعبود (تحوت) أى هرمس وكان يعمل فى التـاسع عشر من نوت ، الرابع عيد السـفر فى النيل ، الخامس عـيد أوّل زيادة النيل وهو الشـهيـر الآن بموسم النقطة ، السادس عـيد السفـينة (ثبت) السابع العيد الكبير ، الثامن العيد الطيب وكان يعمل فوق الجبل ، التاسع عيد (عماشع) أى عيد الرمل الكبير . اهـ.

قال هيرودوتس المؤرخ وكـانت أعياد ومواسم المصـريين تعمل فى مدن متـفرقة بالبلاد البحرية والقـبلية من مصر مثل مدينة بسطة وصـاالحجر والمطرية (وبوتو) التى من آثارها الآن تلال موجودة فى سـاحل البحر المالح مما يلى بحيـرة البرلس ومدينة (بايرميس) التى لم يعلم الآن لها محل وكانت تلك المواسم والأعياد دينية وسياسية يحضـرها الملك أو من ينوب عنه من عائلته والملكة وخـلق كثير من الناس وأكـبرها يعمل على رأس كل ثلاثين سنة مرة وكان لمن تقع هذه الأعياد فى زمنه من الفراعنة الفخر العظيم والصيت البعيد.

قيل وكان يصدر من المصريين فى هذه الأعياد كثير من الفحش والفجور وكانت الأعياد المذكـورة مرتبطة بأوقات الزراعة فى كل سنة وأوّل أعيـادهم كان عند شروق كوكب الشـعرى اليمـانية فى أشعـة الشمس وميـقاته غرة توت وهو أول شـهورهم وكانوا يذبحون فيه واحدة من السـمان قرباناً لمعبوداتهم (إزيس) ويخرج الكاهن من معـبد مدينة (أبو) فى هياكل مـقدسة محـمولة على هوادج على أعناق جمـاعة من الكهنة يختلف عددهم من اثنى عشر إلى ستـة عشر بالنسبة إلى ثقل الهيكل وهكذا فى باقى المواسم وبعد مـضى أيام من هذا الشهر كان يعـمل موسم (تحوت) الشـهير (بهرمس) ولذلك كان يسـمى هذا الشهر باسمه وكـان من عوائدهم فى هذا الموسم أكل التين وشرب العسل ويقال بعد أكله (ما أحلى الحق).

ومن أعيادهم عيد كان يعمل فى السادس من بابه وهو عيد حمل (إزيس) بمولودها (هاربوخرات) يشيرون بذلك إلى وضع بذور الزرع فى الأرض بعد انحدار ماء النيل عنها وفى هذا الموسم كان يعمل طلسم فى عنق تمثال (إزيس) يسمونه (كلمة الحق) وفى الثامن عشر من هذا الشهر موسم (أمون رع) فى مدينة بايريس وكان من عادتهم فيه أن الكاهن فى الليلة المتقدمة عليه يأخذ الهيكل أى هيكل قدّيسهم ويضعه فى برزخ مذهب بموضع مقدّس لهم قريب من المعبد وفى الغد يقربون القرابين وبعد الفراغ منها عند زوال الشمس يقوم بعض الكهنة عند الهيكل ويقف الباقون عند باب المعبد وبأيديهم العصىّ والمساوق لمنع دخول الهيكل فى المعبد فإذا جاء حاملو الهيكل وجدوا باب المعبد مقفلا فيقع بينهم وبين من به من الكهنة وغيرهم مضاربة وقتال كبير ويجرح فيه كثير من الناس ويسيل دمهم ولا ينكفون عن القتال حتى يدخل الهيكل فى المعبد ويستقر فى مكانه وزعم الكهنة أنه لم يكن يحصل ضرر لأحد من تلك الجروح وكان المصريون يشيرون بهذه الأحوال إلى أن (حور) بن (إزيس) أراد الدخول على أمه ليزنى بها فمنعه حراسها من مرامه فجمع أحبابه وأصحابه وقاتل حتى غلبهم ونال مرامه وسرّ ذلك هو أن حرارة الشمس المعبر عنها (بإزيس) دخلت فى جوف الأرض لتخصبها وفى الثامن والعشرين من هذا الشهر كانوا يعملون أيضاً موسم عصا الشمس ويعنون بها تقدمها فى العمر ونقص حرارتها وضعف قوتها ولذلك جعلوها كأنها احتاجت إلى عصا تتوكأ عليها ويعدّون فى هذا الموسم موكباً تحمل فيه صورة عجلة صغيرة يطوفون بها حول المعبد سبع مرات إشارة إلى أن (إزيس) تبحث عن جثة زوجها (أزوريس) بعد أن قتلته (تيفون) وهى الريح الجنوبية.

وفى السابع والعشرين من هاتور كان يعمل فى المدن المعروفة الآن باسم بوصير عيد وقوع (أزوريس) فى قبضة (تيفون) عدوّه وإلقاء الثانى الأوّل فى النهر. ولذا كان هذا اليوم عندهم معدودا من أيام النحوس وفيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أرض الزراعة وانحصر فى مجراه بين ضفتيه.

وكانت مدة هذا الموسم أربعة أيام يدور فيها المصريون بثور قرونه مذهبة وعلى ظهره قطعة قماش من القطن أو الكتان مصبوغة باللون الأسود مشيرين بالثور إلى (إزيس) وبقطعة القماش إلى مصر لأن لونها بعد انحسار النيل عنها يكون أسود وكانوا بعد هذا الموسم يظهرون الحزن والكدر لنقص النيل ولغلبة الرياح الجنوبية المكنى عنها (بتيفون) على الرياح الشمالية فى ذلك الوقت ولقصر النهار بطول الليل

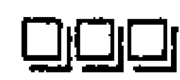
ولتجرد الأرض عن الخضرة وكان الحزن فى هذا الموسم عمومياً عند النساء والرجال لحزن (إزيس) على زوجها (أزوريس) وكانوا يكثرون فيه من الصلاة والصيام وتقريب القرابين من فحول البقر وكان من عادتهم أن لا يؤخذ من هذه القرابين بعد ذبحها إلا الجلد والأمعاء والفخذان والكتفان والرقبة ولحم الكفل وما عدا ذلك من الجثة يملأ بالدقيق والعسل والتين والعقاقير الطيبة الرائحة ويحرق بالنار ويزيدونه اشتعالاً بصب كثير من الزيت عليه، وفى ذلك الوقت تكثر النساء من الصياح والنوح والبكاء والعويل ويلطمن وجوههن وصدورهن ويقطعن شعورهن وبعد ذلك يأكل الناس ما أخذوا من لحوم القرابين. وكانوا يعملون فى هذا الموسم وغيره من بقية المواسم أعمالاً منكرة منها أن يجرح الرجال بعضهم بعضاً جروحاً بالغة وتشدخ النساء أفخاذهن بحجارة حادة حتى يسيل الدم من هذه الجروح إظهاراً لشدة الحزن والجزع . قال بعض الكتاب وقد أبطلت جميع هذه العادات قبل خروج بنى إسرائيل من أرض مصر.

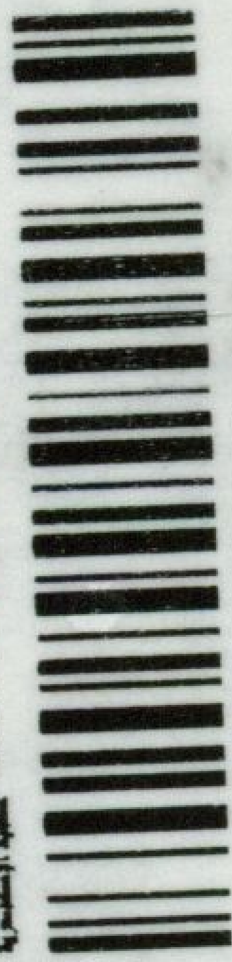
وفى الثالث والعشرين كان موسم دفن (أزوريس) يشيرون بذلك إلى انحباس النيل فى مجراه مبدأ زراعة الخريف. وفى اليوم الأول من شهر كيهك كان يعمل موسم عظيم فى مدينة إسنا لقدّيسهم بها ومن رسومهم فى هذا الموسم أن يظهروا جميع أوانى المعبد والحلى ويتقربوا بالخبز والنبيذ وغيره من المشروبات وبالأوز وفحول البقر وبسائر المزروعات على اختلافها. وفى اليوم التاسع من شهر طوبة كان موسم رجوع (إزيس) من بلاد فلسطين وكانت القرابين فيه من فطير فوقه صورة فرس البحر مسلسلة فى القيود وفى هذا اليوم خاصة كان يرخص لأهل مدينة عين شمس التى هى المطرية بأكل لحم التمساح وبعد هذا الموسم بأيام كان يعمل موسم تعويض مذاكير (أزوريس) بمثلها من الخشب والغالب أنهم كانوا يشيرون بذلك إلى غرس الأشجار فإنه يكون بعد هبوط النيل.

وفى التاسع عشر من هذا الشهر كانوا يتخذون بمدينة صا الحجر عيداً كبيراً مشهوراً بالوقدة التى كانت تعمل فيه، وكانوا يشيرون بها إلى زوال الظلمة التى عمت الأرض بموت (أزوريس) فكانت الكهنة يذهبون بحراً فى الليل صوب النيل فى موكب عظيم به خلق كثير حاملين هيكل (أزوريس) مزيناً بأنواع الزينة والحلى وفيه قدح صغير من الذهب يملئونه من النيل فى وقت معين وعند ذلك يقول الكاهن وجميع الحاضرين بصوت عال ها هو جسد (أزوريس) قد عثرنا به فكأنهم كانوا يشيرون بذلك إلى رجوع الشمس وكان يتخذ كل واحد منهم صورة هلال

يصنعها من الطين المعجون بماء النيل المعطر ببعض الأشياء الذكية وفى شهر أمشير كان عيد مشاهدة (إزيس)، (لأزوريس) يشيرون بذلك إلى ظهور المحصولات الصيفية على وجه الأرض، وكان لهم فى شهر برمودة أعياد أخرى ، أولها عيد تطهير (إزيس) قبل البذر ثانيها عيد الخصب ووقته سادس عشر هذا الشهر، وكانت تجعل فيه بهيكل (أزوريس) مذاكير مصنوعة من الخشب أو غيره على صورة أعضاء التناسل للإنسان وفى الغد من اليوم المذكور عيد دخول (أزوريس) فى القمر يعنون بذلك اجتماع الشمس والقمر عند الاعتدال ، ثالثها موسم ولادة (حور) فى الثامن عشر من هذا الشهر ، رابعها موسم قدّيستهم (نيت) فى مدينة (بويست) وهو موسم شهير ولعله هو الذى يعمل الآن فى جهة البرية للقديسة دميانة، وكان لهم فى شهر بؤنة عيد يتقربون فيه بفطير مرسوم عليه صورة حمار مسلسل يشيرون بذلك إلى تغلب (أزوريس) على (تيفون) أى إلى ابتداء النيل فى الزيادة ويزعمون أن تلك الزيادة ناشئة عما سكبته (إزيس) من الدموع وقت بكائها على (أزوريس) زوجها. قال هيرودوتس: وهذا الموسم هو موسم مولد الشمس الذى كان يعمل فى مدينة عين شمس لأن الانقلاب الصيفى يحصل فى هذا الآن وهو عبارة عن ابتداء الشمس فى النزول بعد انتهائها فى الصعود، وقد حافظ قبط مصر على عادة الاحتفال بليلة النقطة التى تكون فى الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر ، وكان لهم موسم فى شهر مسرى لمولد (هربوخرات) ويعرف عندهم بموسم السكوت وإشارته حلقة صغيرة كانت توضع على الفم ولعل هذا العيد هو عيد وفاء النيل، وكانوا يتقربون فيه بكلاب شقر كما كان الرومان واليونان يتقربون بها ثانى يوم مسرى إلى كوكب الشعرى . اهـ.

ولنرجع إلى الكلام على ملوك الدولة السابعة والعشرين وهى دولة الفرس التى قامت بعد انقراض دولة الفراعنة كما تقدم التنبيه على ذلك ونأتى على أخبار كل ملك منها ومن قام بعدها على الترتيب فنقول.




Bibliotheca Alexandrina
1240011